

نفس السكينة

المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا الفقه الزيدية

لقاضي القضاة الإمام
أبي السعود محمد بن محمد العمادى
المتوفى ٩٨٢ هـ

الجزء الثاني

الناشر
دار احياء التراث العربى
بيروت - لبنان

٢٨ — سورة القصص
(مكية وهي ثمان وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٨ القصص

طسم

٢٨ القصص

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ

٢٨ القصص

تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

٢٨ القصص

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِيعُ أِبْنَاءَهُمْ وَيَمَسْتَحِيءُ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ

(سورة القصص)

مكية وقيل لإلا قوله الذين آتيناهم الكتاب إلى قوله الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية

- ٢٤١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (طسم) (تلك آيات الكتاب المبين) قد مر ما يتعلق به من الكلام بالإجمال
- ٣ والتفصيل في أشباهه (تتلوا عليك) أي نقرأ بواسطة جبريل عليه السلام ويجوز أن تكون التلاوة مجازاً من التنزيل (من نبأ موسى وفرعون) مفعول تتلو أي تتلوا عليه بعض نبئهما (بالحق) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل تتلو أو من مفعوله أو صفة لمصدره أي بعض نبئهما ملتبسين أو متلبساً بالحق أو تلاوة ملتبسة بالحق (لقوم يؤمنون) متعلق بتتلوا وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لأنهم المنتفعون به (إن فرعون علا في الأرض) استئناف جار مجرى التفسير للجمل الموعود وتصديره بحرف التأكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده أي إنه تجبر وطغا في أرض مصر وجاوز الحدود الممهودة في الظلم والعدوان (وجعل أهلها شيعاً) أي فرقا يشيعونه في كل ما يريد من الشر والفساد أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته أو أصنافاً في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويسخره فيه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لثلاث تنفق كلمتهم (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو إسرائيل والجملة إما حال من فاعل جعل أو صفة لشيعاً أو استئناف وقوله تعالى (يذبح أبنائهم ويستحي نساءهم) يدل منها وكان ذلك لما أن كاهناً قال له يولد في بني إسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك إلا لغاية حققة إذ لو صدق فما فائدة القتل وإن كذب فما وجهه (إنه كان من المفسدين) أي الراسخين في الإفساد ولذلك اجتراً على مثل تلك العظيمة

وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ ٢٨ القصص
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيْهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقَبِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا
رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ٢٨ القصص

- من قتل المعصومين من أولاد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (ونريد أن نمن) أى نفضل (على الذين استضعفوا في الأرض) على الوجه المذكور بإنجائهم من بأسه وصيغة المضارع في نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على إن فرعون علا الخ لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبا أو حال من يستضعف بتقدير المبتدأ أى يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة الإرادة للاستضعاف مقارنة المراد لهما أن تعلق الإرادة للن تعلق استقبالي على أن منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز إجرأوها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع الضمير لإبانة قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم السابقة المبينة لها (ونجعلهم أئمة) يقتدى بهم في أمور الدين بعد أن كانوا أتباعا مسخرين لآخرين (ونجعلهم الوارثين) لجميع ما كان منتظما في سلك ملك فرعون وقومه وراثته معودة فيا بينهم كما ينبى عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم أئمة مع تقدمها عليه زماناً لا انحطاط رتبته عن الإمامة ولثلاث ينفصل عنه مابعد مع كونه من روادفئه أعنى قوله تعالى (ونمكن لهم في الأرض) ٦ الخ أى نسلطهم على مصر والشام بتصرفون فيهما كيفما يشاءون وأصل التمكين أن تجعل الشيء مكاناً يتمكن فيه (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم) أى من أولئك المستضعفين (ما كانوا يحذرون) ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وملكهم على يدهم ولود منهم وقرى يرى بالياء ورفع مابعد على الفاعلية (وأوحينا إلى أم موسى) بإلهام أرويا (أن أرضعيه) ما أمكنك إخفاؤه (فإذا خفت عليه) بأن يحس به الجيران عند بكانه وينموا عليه (فالقبه في اليم) في البحر وهو النيل (ولا تخافي) عليه ضيعة بالفرق ولا شدة (ولا تحزني) إن أرادوه إليك (عن قريب بحيث تأمنين عليه) وجاعلوه من المرسلين (والجملة تعليل للنهى عن الخوف والحزن وإيثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها أى إنا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة روى أن بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحمالى بنى إسرائيل كانت مصافية لأم موسى عليه السلام فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع على الأرض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتكم إلا لأقبل مولودك وأخبر فرعون ولكنى وجدت لا بنك في قلبى محبة ما وجدت مثلاً لا أحد فاحفظه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة فألقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئاً فخرجوا وهى لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله تعالى النار عليه برداً وسلاماً فلما الخ فرعون في طلب الولدان أوحى الله تعالى إليها ما أوحى وقد روى أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردى مطلى بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى :

فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمُنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا

٢٨ القصص

خَطِيعِينَ ﴿٨﴾

وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَخَذَهُ وَلَدًا وَهُمْ

٢٨ القصص

لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

٨

(فالتقطه آل فرعون) فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها من الأمر بالإلقاء قد حذفتموه لا على دلالة الحال وإيداناً بكمال سرعة الامتثال أى فآلقته فى اليم بعد ما جعلته فى التابوت حسبما أمرت به فالتقطه آل فرعون أى أخذوه أخذ اعتناء به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس إليه وكان بها برص شديد عجزت الأطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ إلا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الإنس يوم كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غداً فرعون فى مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذى كان فرعون مصر فى زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من بنى إسرائيل من سبط موسى عليه الصلاة والسلام وقيل كانت هتمته حكاة السهيل وأقبلت بنت فرعون فى جواربها حتى جلست على شاطئ النيل فإذا بتابوت فى النيل تضربه الأمواج فتعلق بشجرة فقال فرعون اتنوني به فابتدروا بالسفن فأحضره بين يديه فعا لجوا فتحه فلم بقدروا عليه وقصدوا كسره فأعيام فنظرت آسية فرأت نوراً فى جوف التابوت لم يره غيرهما فعالجته ففتحته فإذا هى بصبي صغير فى مهده وإذا نور بين عينيه وهو يمص إبهامه لبناً فآلتى الله تعالى محبته فى قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون إلى ريقه فلطخت به برصها فبرأت من ساعتها وقيل لما نظرت إلى وجهه رأت فقال الغواة من قوم فرعون إننا نظن أن هذا هو الذى نحذر منه رمى فى البحر فرقامنك فامته فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتى واللام فى قوله تعالى (ليكون لهم عدواً وحزناً) لام العاقبة أبرز مدخولها فى معرض العلة لالتقاطهم تشبيهاً له فى الترتب عليه بالفرض الحامل عليه وقرىء حزناً وهما الغتان كالسقم والسقم جعل عليه الصلاة والسلام نفس الحزن إيداناً بقوة سببته لحزنهم (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أى فى كل ما يأتون وما يذرون فلا غرو فى أن قتلوا لأجله ألوفاً ثم أخذوه يربونه ليسكب ويفعل بهم ما كانوا يحذرون . روى أنه ذبح فى طلبه عليه الصلاة والسلام تسعون ألف وليد أو كانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوم على أيديهم فاجملة اعتراضية لتأكيد خطيئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرىء خاطئين على أنه تخفيف خاطئين أو على أنه بمعنى متعدين الصواب إلى الخطأ (وقالت امرأة فرعون) أى لفرعون حين أخرجه من التابوت (قرة عينى ولك) أى هو قرة عين لنا لما أنهما لما رأياه أحباؤه ولما ذكر من بره ابنته من البرص ريقه وفى الحديث أنه قال لك لالى ولو قال لى كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها (لا تقتلوه) خاطبته بلفظ الجمع تعظيماً ليساعدها فيما تريده (عسى

٩

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

٢٨ القصص

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّهِ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾

٢٨ القصص

وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُمْ نَصِيحُونَ ﴿١٢﴾

٢٨ القصص

- أن ينفعنا) فإن فيه محابيل اليمين ودلائل النجاة وذلك لما رأيت فيه من العلامات المذكورة (أو نتخذه ولداً) أى تبناه فإنه خليف بذلك (وهم لا يشعرون) حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً وقالت امرأته كبت وكبت وهم لا يشعرون بأنهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني له وقوله تعالى إن فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطيئتهم وقيل حال من أحد ضميرى تتخذه على أن الضمير للناس أى وهم لا يعلمون أنه اغبرنا وقد تبنيناه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً) صفراً من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون لقوله تعالى وأندتهم هواء أى خلاه لا عقول فيها ويعصده أنه قرى فرغاً من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أى هدر وقيل فارغاً من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها أن فرعون عطف عليه وتبناه وقرى مؤسسى بالهمز إجراء للضممة في جارة الواو مجرى ضميتها فهمزت كما في وجوه (إن كادت لتبدي به) أى إنها كادت لتظهر بموسى أى بأمره وقصته من فرط الحيرة والدهشة أو الفرح بتبنيه (لولا أن ربطنا على قلبها) بالصدر والثبات (لتكون من المؤمنين) أى المصدقين بوعد الله تعالى أو من الواثقين بحفظه لا بتبني فرعون وقطفه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه (وقالت لأخته) مريم ١٠ والتعبير عنها بأخوته عليه الصلاة والسلام دون أن يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتنال بالامر (قصيه) أى اتبع أثره وتبعى خبره (فبصرت به) أى أبصرت به (عن جنب) عن بعد وقرى بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى (وهم لا يشعرون) أنها تقصه وتتعرف حاله أو أنها أخته (وحرمتنا عليه المراضع) أى منعناه أن يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ١٢ ترضع أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه أعنى الثدي (من قبل) أى من قبل قصها أثره (فقالت) عند رؤيتها لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بأمره وطلبهم من يقبل ثديها (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) أى لأجلكم (وهم له ناصحون) لا يقصرون فى إرضاعه وتربيته روى أن هامان لما سمعه منها قال إنها لتعرفه وأهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتى بمن يكفله فأتت بأمه وموسى على يد فرعون يبكى وهو يملأه فدفعه إليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من أنت منه فقد أبى كل ندى إلا نديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتى بصبي إلا قبلني

فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

٢٨ القصص

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٩﴾

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَىٰ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿٣٠﴾

٢٨ القصص

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٣١﴾

٢٨ القصص

- ١٣ فقره في يدها وأجرى عليها فرجعت به إلى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى (فرددناه إلى أمه كي تقر عينها) بوصول ولدها إليها (ولا تحزن) بفرقه (ولتعلم أن وعد الله) أي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين (حق) لاخلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الأمر كذلك فيرتابون فيه أو أن الغرض الأصلي من الرد عليها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون (ولما بلغ أشده) أي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة فإن العقل يكمل حينئذ وروى أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين (واستوى) أي اعتدل قداه أو عقله (آتيناها حكما) أي نبوة (وعلما) بالدين أو علم الحكما والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجمل فيه وهو أوفق لنظم القصة لأنه تعالى استنباه بعد الهجرة
- ١٤ في المراجعة (وكذلك) ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه (نجزي المحسنين) على إحسانهم (ودخل المدينة) أي مصر من قصر فرعون وقيل منف أو حابين أو عين شمس من نواحيها (على حين غفلة من أهلها) في وقت لا يعتاد دخولها أو لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته) أي ممن شايعه على دينه وهم بنو إسرائيل (وهذا من عدوه) أي من مخالفيه ديناً وهم القبط والإشارة على الحكاية (فاستغاثه الذي من شيعته) أي سأله أن يغيبه بالإطاعة كما ينبغي عنه تعديته بعلى وقرى استعانه (على الذي من عدوه فوكزه موسى) أي ضرب القبطى بجمع كفه وقرىء فلكزه أي فضر به صدره (فقضى عليه) فقتله وأصله أنهى حياته من قوله تعالى وقضينا إليه ذلك الأمر (قال هذا من عمل الشيطان) لأنه لم يكن مأموراً بقتل الكفار أو لأنه كان مأموراً فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وإنما عده من عمل الشيطان وسماه ظالماً واستغفر منه جرياً على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر (إنه عدو مضل مبين)
- ١٦ ظاهر العداوة والإضلال (قال) توسيطه بين كلاميه ﷺ لإبانه ما بينهما من المخالفة من حيث إنه مناجاة

قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ٢٨ القصص

فَاصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ ٢٨ القصص

فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ أَرِيدُ أَنْ تُقَاتِلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ
إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ٢٨ القصص
وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَىٰ
لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ٢٨ القصص

- ودعاء بخلاف الأول (رب إني ظلمت نفسي) أي بقتله (فاغفر لي) ذنبي (فغفر له) ذلك (إنه هو الغفور الرحيم) أي المبالغ في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم (قال رب بما أنعمت علي) إما قسم محذوف الجواب ١٧
أي أقسم بإنعامك علي بالمغفرة لاتوبين (فلن أكون) بعد هذا أبدأ (ظهيراً للمجرمين) وما استعطف أي بحق إنعامك علي اعصمني فلن أكون معيناً لمن تؤدي معاوته إلى الحرم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام لم يستثن فابتلي به مرة أخرى وهذا يؤيد الأول وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة أعين أوليائك فلن أستعملها في مظاهرة أعدائك (فاصبح في المدينة خائفاً يترقب) يترصد ١٨
الاستقادة أو الاجناد (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) أي يستغيثه برفع الصوت من الصراخ (قال له موسى إنك لغوي مبين) أي بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر (فلما أن أراد) موسى ١٩
(أن يبطش بالذي هو عدو لهما) أي لموسى وللإسرائيل إذ لم يكن علي دينهما ولأن القبط كانوا أعداء لبني إسرائيل علي الإطلاق وقرى يبطش بضم الطاء (قال) أي الإسرائيلي ظاناً أنه عليه الصلاة والسلام يبطش به حسبما يوهمه تسميته إياه غوباً (ياموسى أريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس) قالوا لما سمع القبطي قول الإسرائيلي علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فأنطلق إلى فرعون فأخبره بذلك وأمر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطي (إن تريد) أي ما تريد (إلا أن تكون جباراً في الأرض) وهو الذي يفعل كل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله تعالى (وما تريد أن تكون من المصلحين) بين الناس بالقول والفعل (وجاء رجل ٢٠
من أقصى المدينة) أي كان من آخرها أو جاء من آخرها (يسمى) أي يسرع صفة لرجل أو حال منه علي أن الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فإن تخصصه يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان (قال ياموسى إن الملائكة ياتمرون بك ليقتلوك) أي يتشاورون بسببك فإن كلام المتشاورين بأمر الآخرين وباتمر (فاخرج) أي من المدينة (إني لك من الناصحين) اللام للبيان *

٢٨ القصص

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

٢٨ القصص

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ

٢٨ القصص

مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

٢٨ القصص

فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾

- ٢١ لما أن معموله الصلة لا يتقدمها (مخرج منها) أى من المدينة (خائفاً يترقب) لحوق الظالمين (قال رب نجني من القوم الظالمين) خلصني منهم واحفظني من لحوقهم (ولما توجه تلقاء مدين) أى نحو مدين وهى قرية شبيب عليه السلام سميت باسم مدين بن إبراهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام (قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل) توكل على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرائق فأخذ فى الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا فى الآخرين وقيل خرج حافياً لا يعيىش إلا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاء ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به إلى مدين (ولما ورد ماء مدين) أى وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منه (وجد عليه) أى فوق شفيرها (أمة) جماعة كثيفة (من الناس يسقون) أى مواشيهم (ووجد من دونهم) أى فى موضع أسفل منهم (امراتين تذودان) أى تمنعان ماعهما من الأغنام عن التقدم إلى البئر كيلا تختلط بأغنامهم مع عدم الفائدة فى التقدم (قال) عليه السلام لهما حين رأهما على ما هما عليه من التأخر والذود (ما خطبكما) ما شأنكما فيما أنتما عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقى كدأب هؤلاء (قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء) أى هاتئنا أن لا نسقى حتى يصرف الرعاء مواشيهم بعديها عن الماء مجزاً عن مساجلتهم وحذراً عن مخالطة الرجال لا أنا لا نسقى اليوم إلى تلك الغاية وحذف مفعول السقى والذود والإصدار لما أن الغرض هو بيان تلك الأفعال أنفسها إذ هى التى دعت موسى عليه السلام إلى ما صنع فى حقهما من المعروف فإنه عليه الصلاة والسلام إنما رحمهما لكونهما على الذياد للعجز والعفة وكونهم على السقى غير مباين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما ومسقيهم إبلًا مثلاً وقرىء لا نسقى من الإسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرغاء وأما الرعاء فجمع قياسى كصيام وقيام وقوله تعالى (وأبونا شيخ كبير) إبراء منهم للعذر إليه عليه السلام فى توليها السقى بأنفسهما كأنهما قالتا إنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ كبير السن قد اضعهفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقى إلى أن يقضى الناس أوطارهم من الماء (فسقى لهما) رحمة عليهما والكلام فى حذف مفعوله كما مر آنفاً روى أن الرعاء كانوا يضعون على رأس البئر حجراً لا يقله إلا سبعين رجلاً وقيل عشرة وقيل أربعون وقيل مائة فافله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحت والجوع ولعله

فَجَاءَتْهُ إِحَدُهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا
جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ ٢٨ القصص

عليه الصلاة والسلام زاحمهما في السقي لهما فوضعا الحجر على البئر لتعجيزه عليه الصلاة والسلام عن ذلك فإن الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام غب ماشا هدا لهما سارعا إلى السقي لهما وقد روى أنه دفعهم عن الماء إلى أن سقى لهما وقيل كانت هناك بئر أخرى عليها الصخرة المذكورة وروى أنه عليه الصلاة والسلام سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم وقالوا استق بها أو كان لا ينزعها إلا أربدون فاستقى بها وحسبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما وأصدرهما (ثم تولى إلى الظل) الذي كان هناك (فقال رب إنى لما أنزلت إلى) *
أى أى شئ أنزلته إلى (من خير) جل أو قل وحمله الآكثرون على الطعام بمعونة المقام (فقير) أى محتاج *
ولنضمه معنى السؤال والطالب جىء بلام الدخالة لتقوية العمل وقيل المعنى لما أنزلت إلى من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا فى الدنيا لأنه كان فى سعة من العيش عند فرعون قاله عليه الصلاة والسلام إظهاراً للبحج والشكر على ذلك (لجاءته إحداها) قيل هى كبراهما واسمها صفوراء أو صفراء وقيل ٢٥ صفراهما واسمها صفيراء أى جاءته عقيب ما رجعتا إلى أبيهما روى أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغناهما حفل بطن قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحما فسقى لنا فقال لإحداها اذهبي فادعيه لى وقوله تعالى (تمشى) حال من فاعل جاءته وقوله تعالى (على استحياء) متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشى أى جاءته تمشى كائنه على استحياء فعناه أنها كانت على استحياء حالى المشى والمجئى معاً لا عند المجئى فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخففة أى شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها (قالت) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجئها إياه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فإذا قالت له عليه الصلاة والسلام فقيل قالت (إن أبى يدعوك ليجزيك أجرا ما سقيت لنا) أى جزاء سقيك لنا أسندت الدعوة إلى أبيها وعللتها بالجزاء لئلا يوم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة مالا يخفى روى أنه عليه الصلاة والسلام أجابها فانطلقا وهى أمامه فألزقت الريح ثوبها بمجسدها فوصفته فقال لها امشى خلفى وانعنى لى الطريق ففعلت حتى أتيا دار شعيب عليهما السلام (فلما جاءه *
وقص عليه القصص) أى ما جرى عليه من الخبر المقصوص فإنه مصدر سمي به المفعول كالعلل (قال *
لا تخف نجوت من القوم الظالمين) الذى يلوح من ظاهر النظم الكريم أن موسى عليه السلام إنما أجاب المستدعية من غير تلعم ليتبرك رؤبة شعيب عليه السلام ويستظهر برأيه لا لياخذ بمعروفه أجرا حسبا صرحت به الأيرى إلى ما روى أن شعبيا لما قدم إليه طعاما قال إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهباً ولا نأخذ على المعروف ثمناً ولم يتناول حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة

قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ٢٨ القصص

قَالَ إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَجَجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا
فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ٢٨ القصص

قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ٢٨ القصص

من أولاد يعقوب عليه السلام ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم لاسيما في دار نبي من أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام وقيل ليس بمستنكر منه عليه الصلاة والسلام أن يقبل الأجر لا لاضطرار الفقر والفاقة وقد روى عن عطاء بن السائب أنه عليه السلام رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عليه السلام إنما فعله ليكون ذريعة إلى استدعائه لا إلى استيفاء الأجر (قالت إحداهما) وهي التي استدعته إلى أبيها وهي التي زوجها من موسى عليهما السلام (يا أبت استأجره) أي لرعى الغنم والقيام بأمرها (إن خير من استأجرت القوي الأمين) تعليل جار مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار وللبالغة في ذلك جمل خير اسماً لأن وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على أنه أمين مجرب روى أن شعبياً عليه السلام قال لها وما أعليك بقوته وأمانته فذكرت ما شاهدت منه عليه السلام من إقلال الحجر ونزع الدلو وأنه صوب رأسه حتى بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه (قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني) أي تكون أجيراً لي أو تثبيني من أجرت كذا إذا أثبتته إياه فقوله تعالى (ثماني حجج) على الأول ظرف وعلى الثاني مفعول به على تقدير مضاف أي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد أنه يقال أجرت داري وملوكي غير ممدود وأجرت ممدوداً والأول أكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفاً والممنى على أن تأجرني نفسك وقوله تعالى ثماني حجج ظرف كالوجه الأول (فإن أتمت عشراً) في الخدمة والعمل (فمن عندك) أي فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الإلزام عليك وهذا من شعب عريض لرأيه على موسى عليهما السلام واستدعاء منه للعقد لا لإنشاء وتحقيق له بالفعل (وما أريد أن أشق عليك) بإلزام إتمام العشر أو المناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال واشتقاق المشقة من الشق فإن ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في إطاقته ويوزع رأيك في مزاولته (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه الصلاة والسلام بالاستثناء التبرك به وتفويض أمره إلى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى (قال ذلك بيني وبينك) مبتدأ وخبر أي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعاً لا يخرج عنه واحد منا لا أنا عما شرطت على ولا أنت عما شرطت على نفسك وقوله تعالى (أيما الأجلين) أي أكثرهما أو أفسرهما (قضيت) أي وفتيك بأداء الخدمة فيه (فلا عدوان على) تصريح بالمراد وتقرير لأمر الخيرة أي لا عدوان على بطلب الزيادة على ما قضيته من الأجلين وتعميم انتفاء العدوان لكلا الأجلين بصدد المشاركة مع عدم تحقق العدوان في أكثرهما رأساً للقصد إلى التسوية بينهما في الانتفاء

فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ ٢٨ القصص

أى كالا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان أو أيما الأجلين قضيت فلا لائم على يعنى كالا لائم على فى قضاء الاكثر لا لائم على فى قضاء الاقصر فقط وقرىء أى الأجلين ما قضيت فما مزيدة لتأكيد القضاء كالا أنها فى القراءة الأولى مزيدة لتأكيد إيهام أى وشياعها وقرىء أيما بسكون الياء كقول من قال [تنظرت نصرأ والسماكين أيهما * على من الغيث استهلت مواطره] (والله على ما نقول) من الشروط الجارية بيننا (وكيل) شاهد وحفظ فلا سبيل لأحد منا إلى الخروج عنه أصلا وليس ما حكى * عنهما عليهما الصلاة والسلام تمام ما جرى بينهما من الكلام فى إنشاء عقد النكاح وعقد الإجارة وإيقاعهما بل هو بيان لما عزم عليه وانفقا على إيفاءه حسبما يتوقف عليه مساق القصة إجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين فى تلك الشريعة تفصيلا روى أنهما لما أتيا العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى وكانت عنده عصى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فأخذ عصا هبط بها آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب عليه السلام فسها وكان مكفوفاً ففطن بها فقال خذ غيرها فواقع فى يده لإلهى سبع مرات فعلم أن له شأنًا وقيل أخذها جبريل عليه السلام بعد موت آدم عليه السلام فكانت معه حتى لقي بها موسى عليه السلام ليلاً وقيل أودعها شعيباً ملكاً فى صورة رجل فأمر بنته أن تأتبه بعصافاته بها فرددها سبع مرات فلم يقع فى يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنهم أودعته فتبعه فاختصم فيها ورصيا أن يحكم بينهما أول طالع فاتهما الملك فقال ألقياها فن رفعهما ففى له فعا لجها الشيخ فلم يطعمها ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضى الله تعالى عنه ما كانت إلا عصا من الشجر اعترضها اعتراضاً وعن السكبي رحمه الله الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما أصبح قال له شعيب صلوات الله وسلامه عليهما إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلا وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنبيهاً أخشاه عليك وعلى الغنم فأخذت الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كفها ومشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام فإذا بالتنين قد أقبل لخاربه العصا حتى قتلته وهادت إلى جنب موسى عليه السلام دامية فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع إلى شعيب عليهما السلام مس الغنم فوجد هاملأى البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى عليه السلام بالشأن ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنًا وقال له إني وهبت لك من نتاج غنمى هذا العام كل أدرع ودعاء فأوحى إليه فى المنام أن اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما أخطأت واحدة إلا وضعت أدرع ودعاء فوق له بشرطه والفاء فى قوله تعالى (فلما قضى موسى الأجل) فصيحة أى فعقد العقدين وبأمر موسى ٢٩ ما التزمه فلما أتم الأجل (وسار بأهله) نحو مصر بإذن من شعيب عليهما السلام روى أنه عليه الصلاة والسلام قضى أبعد الأجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود إلى مصر فاستأذنه فى

فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾

٢٨ القصص

وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَرَّ يُعَقِّبُ يَمْوِسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ
مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾

٢٨ القصص

أَسْلَمْتُ بِدَعَاكِ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَكَرَكَ
بُرْهَانًا مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾

٢٨ القصص

ذلك فأذن له فخرج بأهله (أنس من جانب الطور) أي أبصر من الجهة التي تلى الطور (ناراً قال لأهله
امكثوا إني آنست ناراً على آتيةكم منها بخبر) أي بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه (أو جذوة) أي عود غليظ
سواء كانت في رأسه نار أو لا قال قائلهم [باتت حواطب ليل يلتمسن لها] جزل الجذوى غير حوار ولا
دعر [وقال] وألقي على قبس من النار جذوة * شديداً عليها حرها وإلتها بها [ولذلك بين بقوله تعالى (من
النار) وقرىء بغير الجيم وبضمها وكلمها لغات (لعلكم تصطلون) أي تستدفنون (فلما أتاها) أي النار
التي آنسها (نودي من شاطئ الوادى الأيمن) أي أتاه النداء من الشاطئ الأيمن بالنسبة إلى موسى عليه
السلام (في البقعة المباركة) متصل بالشاطئ أو صلة لنودي (من الشجرة) بدل اشتغال من شاطئ لأنها
كانت نابتة على الشاطئ (أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين) وهذا وإن خالف لفظاً لما في طه والنمل
لكنه موافق له في المعنى المراد (وأن ألقى عصاك) عطف على أن ياموسى وكلاهما مفسر لنودي والفاء في
قوله تعالى (فلما رآها تهتز) فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلاً على دلالة الحال عليها وإشعاراً
بغاية سرعة تحقق مدلولاتها أي فالتقاها نصارت ثعباناً فاهتزت فلما رآها تهتز (كأنها جان) أي في سرعة
الحركة مع غاية عظم جثتها (ولى مدبراً) أي منهزماً من الخوف (ولم يعقب) أي لم يرجع (ياموسى) أي
٣١ قيل ياموسى (أقبل ولا تخف إنك من الآمنين) من المخاوف فإنه لا يخاف لدى المرسلون (أسلمك يدك في
جيبك) أي أدخلها فيه (تخرج بيضاء من غير سوء) أي عيب (واضمم إليك جناحك) أي يدبك
المبسوطتين لتتقي بهما الحية كالخائف الفرع يادخال اليمنى تحت العضد الأيسر واليسرى تحت الأيمن
أو يادخالهما في الجيب فيكون تكرير الغرض آخره أن يكون ذلك في وجه العدو لإظهار جراءة ومبدأ
لظهور معجزة ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعباناً استعارة من حال الطائر
فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه (من الرهب) أي من أجل الرهب أي إذا عراك
الخوف فافعل ذلك تجلداً وضبطاً لنفسك وقرىء بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات
(فذكرك) إشارة إلى العصا واليد وقرىء بتشديد النون فالتخفف مثني ذاك والمشدد مثني ذلك (برهانتان)
حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل إذا أبيض ويقال

٢٨ القصص

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٢٣﴾

وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٢٤﴾ ٢٨ القصص

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيِّتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعُكُمَا
الْغَالِبُونَ ﴿٢٥﴾ ٢٨ القصص

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا

الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ ٢٨ القصص

وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ

الظَّالِمُونَ ﴿٢٧﴾ ٢٨ القصص

للرأة البيضه برهه ونظيره تسمية الحجة سلطاناً من السليط وهو الزيت لإنارتها وقيل هو
 فعال لقولهم برهن ومن في قوله تعالى (من ربك) متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان أى كائنان
 منه تعالى (إلى فرعون ومائه) واصلان ومنهيان إليهم (إلهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن حدود
 الظلم والعدوان فكانوا أحقاء بأن نرسلك إليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين (قال رب إني قتلت منهم
 ٣٣ نفساً فأخاف أن يقتلون) بمقابلتها (وأخى هرون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردهاً) أى معينا
 ٣٤ وهو في الأصل اسم ما يعان به كالدفع وقرىء رداً بالتخفيف (يصدقني) بتخليص الحق وتقرير الحجة
 بتوضيحها وتزييف الشبهة (إني أخاف أن يكذبون) وإساقى لا يطاوعنى عند الحاجة وقيل المراد تصديق
 القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب وقرىء يصدقني بالجزم على أنه جواب
 الأمر (قل سنشد عضدك بأخيك) أى سنقويك به فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاوله الأمور
 ٣٥ ولذلك يعبر عنه باليد وشدها بشدة العضد (ونجعل لكما سلطاناً) أى تسلطاً وغبلة وقيل حجة وإس
 بذاك (فلا يصلون إليكما) باستيلاء أو محاجة (بآياتنا) متعلق بمحذوف قد صرح به في مواضع آخر
 أى اذهبا بآياتنا أو بنجعل أى نسلطكما بآياتنا أو بمعنى لا يصلون أى تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم
 وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبين في قوله تعالى (أتأمنون من أتبعكم الغالبون) بمعنى أنه صلة
 لما يبينه أو صلة له على أن اللام للتعريف لا بمعنى الذى (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) أى واخحات
 ٣٦ الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام منه تعالى والمراد بها العصا واليد إذ هما اللذان أظهرهما موسى
 عليه السلام إذذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قدم سره في سورة طه (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى)
 أى سحر مغلغل لم يفعل قبل هذا مثله أو سحر عمله ثم تقريه على الله تعالى أو سحر موصوف بالاقتراء كسائر
 أصناف السحر (وما سمعنا بهذا) أى السحر أو ادعاء النبوة (في آياتنا الأولى) أى واقعاً في أيامهم (وقال ٣٧

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأْتِيهَا أَمْلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْتَمُنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾

٢٨ القصص

وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾

٢٨ القصص

فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاظْطَرَّ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾

٢٨ القصص

وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٣١﴾

٢٨ القصص

موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) يريد به نفسه وقرىء قال بغير واو لأنه جواب عن مقامهم ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن السامع بينهما فميز صحيحهما من الفاسد (ومن تكون له عاقبة الدار) أى العاقبة المحمودة فى الدار وهى الدنيا وعاقبتها الأصلية هى الجنة لأنها خلقت مجازاً إلى الآخرة ومنزعة لها والمقصود بالذات منها الثواب وأما العقاب فمن نتائج أعمال العصاة وسينات الغواة وقرىء يكون بالياء التحتانية (إنه لا يفلح الظالمون) أى لا يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى) قاله اللعين بعد ما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من أمرهم ما كان (فأوقدلى يا هامان على الطين) أى اصنع آجراً (فاجعل لى) منه (صرحاً) أى قصرأ رفيعاً (لعلى اطلع إلى إله موسى) كأنه توهم أنه لو كان لكان جسماً فى السماء يمكن الرقى إليه ثم قال (وإنى لأظنه من الكاذبين) أو أراد أن يبنى له رسداً يترصد منه أو ضاع الكواكب فىرى هل فيها ما يبدل على بعثة رسول وتبدل دولته وقيل المراد بنفى العلم بنفى المعلوم كما فى قوله تعالى قل أنتم تقولون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض فإن معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فإنها لازمة لتحقيق معلوماتها فيلزم من انتفاء انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذها على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه يابى وسط الكلام (واستكبر هو وجنوده فى الأرض) أرض مصر (بغير الحق) بغير استحقاق (وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون) بالبعث للجزاء وقرىء بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعاً والاول من رجع رجعاً وهو الانسب بالمقام (فأخذناه وجنوده) عقيب ما بلغوا من الكفر والعتو أقصى الغايات (فنبذناهم فى اليم) قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شأن الآخذ وتهويله واستحقار المأخوذ المنبوذين مالا يخفى كأنه تعالى أخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم فى البحر ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (فاظطر كيف كان عاقبة الظالمين) وبينها للناس ليعتبروا بها (وجعلناهم) أى صيرناهم فى عهدهم (أمة يدعون) الناس (إلى النار) إلى ما يؤدى إليها من الكفر والمعاصى أى قدوة يقتدى بهم أهل الضلال لما صرفوا اختيارهم إلى تحصيل تلك الحالة وقيل

وَاتَّبَعْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ ٢٨ القصص

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ٢٨ القصص

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ ٢٨ القصص

سبحانم أمة دعاء إلى النار كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً فلا نسب حيث أن يكون الجمل بعدهم فيما بين الأمم وتكون الدعوة إلى نفس النار وقيل معنى الجمل منع الألفاظ الصارفة عن ذلك (وبوم القيامة لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) طرداً وإبعاداً من الرحمة ولعننا من اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام والمؤمنون خلفاً عن سلف (ويوم القيامة هم من المقبوحين) من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكورة كزرقعة العيون وسواد الوجه قاله ابن عباس رضى الله عنهما يقال قبحه الله وقبحه إذا جعله قبيحاً وقال أبو عبيدة من المقبوحين من المهلكين ويوم القيامة إما متعلق بالمقبوحين على أن اللام للتعريف لا بمعنى الذى أو بمحذوف يفسره ذلك كأنه قيل وقبحوا يوم القيامة نحو لعلكم من القالين (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) هم أقوام نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان كون إيثاتها بعد إهلاكهم للإشعار بمساس الحاجة الداعية إليه تمهيداً لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية إلى إنزال القرآن الكريم على رسول الله ﷺ فإن إهلاك القرون الأولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطلاس آثارها وأحكامها المؤدية إلى اختلال نظام الدالم وفساد أحوال الأمم المستدعين للتشريع الجديد بتقرير الأصول الباقية على مر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير أحوال الأمم الحالية الموجبة للاعتبار كأنه قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة إلى إيثاتها (بصائر للناس) أى أنوار ألقوا بهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عمياً عن الفهم والإدراك بالكلية فإن البصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما أن البصر نور العين الذى به تبصر (وهدى) أى هداية إلى الشرائع والأحكام التى هى سبيل الله تعالى (ورحمة) حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على أنه نفس البصائر والهدى والرحمة أو على حذف المضاف أى ذا بصائر الخ وقيل على العلة أى آتينا الكتاب للبصائر والهدى والرحمة (لعلهم يتذكرون) ليكونوا على حال يرجى منه التذكر وقد مر تحقيق القول في ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله تعالى (وما كنت بجانب الغربي) شروع في بيان أن ٤٤ إنزال القرآن الكريم أيضاً واقع في زمان شدة مساس الحاجة إليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحياً صادقا من عند الله عز وجل ببيان أن الوقوف على ما فصل من الأحوال لا يتسنى

وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا
كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾

٢٨ القصص

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾

٢٨ القصص

إلا بالمشاهدة أو التعلم من شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين أنه بوحى من علام الغيوب لا محالة على
طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم الآية أى وما كنت بجانب الجبل
الغربي أو المكان الغربي الذى وقع فيه الميقات على حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه أو الجانب
الغربي على إضافة الموصوف إلى الصفة كمسجد الجامع (إذ قضينا إلى موسى الأمر) أى عهدنا إليه
وأحكمنا أمر نبوته بالوحى وإيتاء التوراة (وما كنت من الشاهدين) أى من جملة الشاهدين للوحى وم
السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبه التوراة له في الألواح
٤٥ فتخبره للناس (ولكننا أنشأنا قرونًا) أى ولكننا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونًا كثيرة (فتطاول
عليهم العمر) وتتمادى الأيام فتغيرت الشرائع والأحكام وعميت عليهم الأنبياء لاسيما على آخرهم فانتضى
الحال التشريع الجديد فأوحينا إليك لحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجب به وقوله تعالى (وما
كنت ثاويًا في أهل مدين) نفي لاحتجال كون معرفته عليه الصلاة والسلام للقصة بالسمع من شاهدها
أى وما كنت مقيمًا في أهل مدين من شعيب والمؤمنين به وقوله تعالى (تتلو عليهم) أى تقرأ على أهل
مدين بطريق التعلم منهم (آياتنا) الناطقة بالقصة إما حال من المستكن في ثاويًا أو خبر ثان لكنت
٤٦ (ولكننا كنا مرسلين) إياك وموحين إليك تلك الآيات ونظائرهما (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا)
أى وقت ندائنا موسى إني أنا الله رب العالمين واستنبأنا إياه وإرسالنا له إلى فرعون (ولكن رحمة من
ربك) أى ولكن أرسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة كاتمة منك والناس وقيل
عليك وقيل عرفاك ذلك وليس بذلك كما ستعرفه والالتفات إلى اسم الرب للإشعار بعلّة الرحمة وتشريفه
ﷺ بالإضافة وقد اكتفى عن ذكر المستدرك هنا بذكر ما يوجب من جمته تعالى كما اكتفى عنه في الأول
بذكر ما يوجب من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصاً على ما هو المقصود وإشعاراً بأنه المراد فيهما
أيضاً وقه در شأن التنزيل وقوله تعالى (لتنذر قوماً) متعلق بالفعل المعلن بالرحمة فهو ما ذكرنا من
إرساله ﷺ بالقرآن حتماً لما أنه المعلن بالإلزام لا لتعليم ما ذكر وقرىء رحمة بالرفع على أنه خبر مبتدأ
محذوف وقوله تعالى (ما أتاكم من نذير من قبلك) صفة لقوماً أى لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك
وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة أو بينك وبين إسماعيل بناء على أن دعوة موسى وعيسى عليهما
السلام كانت مختصة ببني إسرائيل (لعلمهم يتذكرون) أى يتعظون بإنذارك وتغيير الترتيب الوقوعى بين

وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

٢٨ القصص

فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوْ لَرَّ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾

٢٨ القصص

قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾

٢٨ القصص

قضاء الأمر والنواه في أهل مدين والنداء للتنبيه على أن كلا من ذلك برهان مستقل على أن حكايته ﷺ للقصة بطريق الوحي الإلهي ولو ذكر أولا نفي ثوانه ﷺ في أهل مدين ثم نفي حضوره ﷺ عند النداء ثم نفي حضوره عند قضاء الأمر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد على ما ذكر كما في سورة البقرة (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أي عقوبة (بما قدمت أيديهم) أي بما اقترعوا ٤٧ من الكفر والمعاصي (فيقولوا) عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على أن مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وإنما ذكره في حيزها للإبذان بأنه السبب الملجئ لهم إلى قولهم (ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا) أي هلا أرسلت إلينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات (فتتبع آياتك) الظاهرة على يده وهو جواب لولا الثانية (ونكون من المؤمنين) بها وجواب لولا الأولى • محذوف ثمة بدلالة الحال عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند إصابة عقوبة جايانهم التي قدموها ما أرسلناك لكن لما كان قولهم ذلك محققا لا محيد عنه أرسلناك قطعاً لمعاذيرهم بالكلية (فلما جاءهم) أي أهل مكة ٤٨ (الحق من عندنا) وهو القرآن المنزل عليه ﷺ (قالوا) تعنتاً واقترعوا (لولا أوتي) يعنونه ﷺ (مثل ما أوتي موسى) من الكتاب المنزل جملة وأما اليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) رد عليهم وإظهار لكون ما قالوه تعنتاً محضاً لا طلباً لما يرشدكم إلى الحق أي ألم يكفروا من قبل هذا القول بما أوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى (قالوا) استئناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد من الإنكار السابق وبيان كيفية وقوله تعالى (سحران) خبر لمبتدأ محذوف أي هما يعنون ما أوتي محمد وما أوتي موسى عليهما السلام سحران (تظاهرا) أي تعاونا بتصديق كل واحد منهما الآخر وذلك أنهم بعثوا رهطاً منهم إلى رؤساء اليهود في عبد لهم فسألهم عن شأنه ﷺ فقالوا إننا نجد في النوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبرهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى (وقالوا إنا بكل) أي بكل واحد من الكتابين (كافرون) تصریح بكفرهم • بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحراً وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرى سحران تظاهرا يعنون موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم هذا هو الذي تستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل ألا ترى إلى قوله تعالى (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) بما أوتياه ٤٩

فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى
مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

٢٨ القصص

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

٢٨ القصص

الَّذِينَ آمَنُوا مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

٢٨ القصص

وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ٢٨ القصص
أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُسْفِقُونَ ﴿٥٤﴾

٢٨ القصص

- من التوراة والقرآن وسميتوهما سحرين فإنه نص فيما ذكر وقوله تعالى (أتبعه) جواب للأمر أى إن
• أتوا به أتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتى به من يدل بوضوح -جته- وسنوح محجته لأن الإتيان بما هو
• أهدى من الكذابين أمر بين الاستحالة فيوسع دائرة الكلام للتبكيث والإلحاح (إن كنتم صادقين) أى
• فى أنهما سحران مختلفان وفى إيراد كلمة إن مع امتناع صدقهم نوع تهكم بهم (فإن لم يستجيبوا لك) أى
فإن لم يفعلوا ما كلفتهم من الإتيان بكذاب أهدى منهما كقوله تعالى فإن لم تفعلوا وإنما عبر عنه بالاستجابة
إيذاً بأنه ﷺ على كمال أمن من أمره كأن أمره ﷺ لهم بالإتيان بما ذكر دعاء لهم إلى أمر يريد وقوعه
والاستجابة تنعدي إلى الدعاء بنفسه وإلى الداعى باللام فيحذف الدعاء عند ذلك غالباً ولا يكاد يقال
استجاب الله له دعاءه (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) الزائدة من غير أن يكون لهم متمسك ما أصلاً إذ لو
كان لهم ذلك لأنوا به (ومن أضل ممن اتبع هواه) استفهام إنكارى للنفى أى لا أضل ممن اتبع هواه (بغير
هدى من الله) أى هو أضل من كل ضال وإن كان ظاهر السبك لنفى الأصل لا لنفى المساوى كما مر فى
نظائره مراراً وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله تعالى لزيادة التقرير والإشباع فى التشنيع والتضليل
وإلا فقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك
• فى اتباع الهوى والإعراض عن الآيات الهادية إلى الحق المبين (ولقد وصلناهم القول) وقرئ بالنخفيف
أى أنزلنا القرآن عليهم متواصلاً بعضه إثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة أو متتابعاً وعداً
• ووعيداً قصصاً وعبراً ومواعظ ونصائح (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون بما فيه (الذين آتيناهم الكتاب
• من قبله) أى من قبل إتيان القرآن (هم به يؤمنون) وهم مؤمنوا أهل الكتاب وقيل أربعون من أهل
• الإنجيل اثنان وثلاثون جاموا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام (وإذا يتلى) أى القرآن عليهم (قالوا
• آمنا به إنه الحق من ربنا) أى الحق الذى كنا نعرف حقيقته وهو استئناف إيمان ما أوجب إيمانهم وقوله
• تعالى (إننا كنا من قبله) أى من قبل نزوله (مسلمين) بيان لكون إيمانهم به أمراً متقادماً العهد لما شاهدوا ذكره
• فى الكتب المنقذة وأنهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن (أولئك) الموصوفون بما ذكر من النعوت

وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾

٢٨ القصص

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ٢٨ القصص
وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطُفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ٢٨ القصص

- (يؤتون أجرهم مرتين) مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن (بما صبروا) بصبرهم وثباتهم
- على الإيمانين أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده أو على أذى من هاجرهم أهل دينهم ومن المشركين (ويدرون بالحسنة السيئة) أي يدفعون بالطاعة المعصية لقوله ﷺ وأتبع السيئة الحسنة تمحها (وما رزقناهم ينفقون) في سبيل الخير (وإذا سمعوا اللغو) من اللاغين (أعرضوا عنه) عن اللغو تكريماً
- ٥٥ كقوله تعالى وإذا مروا باللغو مروا كراماً (وقالوا) لهم (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم) بطريق التاركة والتوديع (لا نبتغي الجاهلين) لا نطلب محبتهم ولا نريد مخالطتهم (إنك لا تهدي) هداية موصلة
- ٥٦ إلى البغية لا محالة (من أحببت) من الناس ولا تقدر على أن تدخله في الإسلام وإن بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود (ولكن الله يهدي من يشاء) أن يهديه فيدخله في الإسلام (وهو أعلم بالمهتدين) بالمستعدين لذلك والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله ﷺ وقال له يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله قال له يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدى لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف (وقالوا إن تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) نزلت في الحرث بن عثمان
- ٥٧ ابن نوفل بن عبد مناف حيث أتى النبي ﷺ فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف إن أتبعناك وخالفنا العرب وإنما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا فرد عليهم بقوله تعالى (أو لم نمكن لهم حرماً آمناً) أي ألم نعصمهم ولم نجعل مكانهم حرماً ذا أمن لحرمة البيت الحرام الذي تتناحر العرب حوله وهم آمنون (يجي إليه) وقرىء تجي أي تجمع وتحمل إليه (ثمرات كل شيء) من كل أوب والجملة صفة أخرى لحرماً دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة (رزقاً من لدنا) فإذا كان حالهم ما ذكرهم عبدة أصنام فكيف يخافون التخطف إذا ضمو إلى حرمة البيت حرمة التوحيد (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي جهلة لا يتفكرون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله تعالى إذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقاً على أنه مصدر مؤكدة بمعنى يجي أو حال من ثمرات على أنه بمعنى مرزوق لتخصصها بالإضافة ثم بين أن الأمر بالعكس

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَبَلَغَتْ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ
الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾

٢٨ القصص

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ إِنَّا إِنَّا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى
إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

٢٨ القصص

وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ ؕ قَتَلْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُمْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ؕ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ٢٨ القصص

- ٥٨ وأنهم أحقوا بأن يخافوا بأس الله تعالى بقوله (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) أى وكثير من أهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء فى الأمن وخفض العيش والدعة حتى أشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم (فلكم مساكنهم) خاوية بما ظلموا (لم تسكن من بعدهم) من بعد تدميرهم (إلا قليلا) أى إلا زماناً قليلاً إذ لا يسكنها إلا المارة يوماً أو بعض يوم أو لم يبق من يسكنها إلا قليلاً من شؤم معاصيهم (وكننا نحن الوارثين) منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر ذات أيديهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفاً بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم أو ياخمار زمان مضاف إليه أو بجعله مفعولاً لبطرت بتضمنين معنى كفرت (وما كان ربك مهلك القرى) بيان للعناية الربانية لإثر بيان إهلاك القرى المذكورة أى وما صح وما استقام بل استحال فى سنته المبينة على الحكم البالغة أو ما كان فى حكمه الماضى وقضائه السابق أن يهلك القرى قبل الإنذار بل كانت عادته أن لا يهلكها (حتى يبعث فى أمها) أى فى أصلها وقصبتها التى هى أعمالها وتوابعها لكون أهلها أظلم وأنبل (رسولاً يتلو عليهم آياتنا) الناطقة بالحق ويدعوهم إليه بالترغيب والترهيب وذلك لإلزام الحجة وقطع المذعة بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك والالتفات إلى نون العظمة لترية المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى (وما كما مهلكى القرى) عطف على ما كان ربك وقوله تعالى (إلا وأهلها ظالمون) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى وما كنا مهلكين لأهل القرى بعد ما بعثنا فى أمها رسولاً يدعوهم إلى الحق ويرشداهم إليه فى حال من الأحوال إلا حال كونهم ظالمين بنكذيب رسولنا والكفر بآياتنا فالتبع غاية لعدم صحة الإهلاك بموجب السنة الإلهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الإهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه
- ٦٠ فى سورة بنى إسرائيل (وما أوتيتهم من شيء) من أمور الدنيا (فتناع الحياة الدنيا وزينتها) أى فموشى شأته أن يتمتع ويتزين به أياماً قليلة (وما عند الله) وهو الثواب (خير) فى نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة عن شوائب الآلم وبهجة كاملة طارئة عن سمة الهم (وأبقى) لأنه أبدي (أفلا تعقلون) ألا تفكرون فلا تعقلون هذا الأمر الواضح فتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير وقرىء بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء سوء صلبهم الإعراض عن مخاطبتهم .

أَفَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

٢٨ القصص

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾

٢٨ القصص

قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا بَانًا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾

٢٨ القصص

- (أفن وعدناه وعداً حسناً) أى وعداً بالجنة فإن حسن الوعد بحسن الموعود (فهو لاقية) أى مدركة
لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى واذلك جرى بالجملة الاسمية المفيدة لتحقيقه البتة وعطفت بالغاء
المنبئة عن معنى السببية (كن متعناه متاع الحياة الدنيا) الذى هو مشوب بالآلام منقص بالانكدار
مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الأولى ترتيب إنكار التشابه بين أهل الدنيا وأهل الآخرة على
ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحياة الدنيا وبين ما عند الله تعالى أى بعدهم التفاوت الظاهر يسوى
بين الفريقين وقوله تعالى (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) عطف على متعناه داخل معه فى حيز الصلة
مؤكد لإنكار التشابه ومقرر له كأنه قيل كن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم نحضره أو أحضرناه يوم القيامة
النار أو العذاب وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق حتماً وفى جملة من جملة المحضرين من التهوريل
مالا يخفى وثم للتراخي فى الزمان أو فى الرتبة وقرئ ثم هو بسكون الهاء تشبيهاً للنفصل بالمتصل
(ويوم يناديهم) منصوب بالعطف على يوم القيامة لاختلافهما عنواناً وإن اتحدا ذاتاً أو بإضمار اذكر
(فيقول) تفسير للنداء (أين شركائى الذين كنتم تزعمون) أى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان
مما تقة بدلالة الكلام عليهما (قال) استئناف مبنى على حكاية السؤال كأنه قيل فإذا صدر عنهم حينئذ
فقبل قال (الذين حق عليهم القول) وهم شركاؤهم من الشياطين أو رؤسائهم الذين اتخذوهم أرباباً
من دون الله تعالى بأن أطاعوهم فى كل ما أمرهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول أنه ثبت
مقتضاه وتحقيق مؤداه وهو قوله تعالى لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وغيره من آيات
الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للأتباع أيضاً لاصالتهم فى الكفر واستحقاق العذاب
حسباً يشعر به قوله تعالى لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم ومسارعتهم إلى الجواب مع كون
السؤال للعبدة إما لتفطنهم أن السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالإضلال وجزمهم بأن العبدة
سيقولون هؤلاء أضلونا وإما لأن العبدة قد قالوه اعتذاراً أو هؤلاء إنما قالوا ما قالوا رداً لقولهم إلا
أنه لم يحك قول العبدة إيجازاً لظهوره (ربنا هؤلاء الذين أغوينا) أى هم الذين أغويناكم فحذف
الراجع إلى الموصول ومرادهم بالإشارة ببيان أنهم يقولون ما يقولون بمحض منهم وأنهم غير
قادرين على إنكاره ورده وقوله تعالى (أغويناكم كما غوينا) هو الجواب حقيقة وما قبله تهديد له أى

وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٢٨﴾ القصص

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٩﴾ القصص

فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٣٠﴾ القصص

فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٣١﴾ القصص

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٢﴾ القصص

ما أكرهناهم على الغي وإنما أغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والإلجاء فغوا باختيارهم غياً مثل غينا باختيارنا ويجوز أن يكون الذين صفة لاسم الإشارة وأغويناهم الخبر (تبرأنا إليك) منهم وما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى (ما كانوا إيانا يعبدون) أي ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ماصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا أي تبرأنا من عبادتهم إيانا (وقيل ادعوا شركاءكم) إيمانهم كما بهم أو تبكيبتا لهم (فدعوم) لفرط الخيرة (فلم يستجيبوا لهم) ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة (ورأوا العذاب) قد غشيهم (لو أنهم كانوا يهتدون) لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب أو إلى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو لتمنى أي تمنوا لو أنهم كانوا مهتدين (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتُم المرسلين) عطف على ما قبله ٦٤ ستلوا أولاً عن إشرأكم وثانياً عن جوابهم للرسول الذين نهوم عن ذلك (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) أي صارت كالعمى عنهم لانهتدى إليهم وأصله فعموا عن الأنباء وقد عكس للمبالغة والتنبيه على أن ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل إليه من خارج فإذا أخطأ لم يكن له حيلة إلى استحضاره وتعمدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه والمراد بالأنباء إما ما طالب منهم بما أجابوا به الرسول أو جميع الأنباء وهي داخلة فيه دخولا أولياً وإذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يفوضون العلم في ذلك المقام الهائل إلى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غاية المستول فما ظنك بأولئك الضلال من الأمم (فهم لا يتساءلون) ٦٥ لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب لفرط الدهشة أو العلم بأن الكل سواء في الجمل (فأما من تاب) من الشرك (وآمن وعمل صالحاً) أي جمع بين الإيمان والعمل الصالح (فعسى أن يكون من المفلحين) أي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعمى للتحقيق على عادة الكرام أو للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الإفلاح (وربك يخلق ما يشاء) أن يخلقه (ويختار) ما يشاء اختياره من غير إيجاب عليه ولا منع له أصلاً (ما كان لهم الخيرة) أي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى أنه نزل في قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ ٢٨ القصص

وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ٢٨ القصص

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَضِيَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ ٢٨ القصص

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ٢٨ القصص

وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ٢٨ القصص

- لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل إليهم وقيل معناه ويخار الذي كان لهم فيه الخير والصلاح (سبحان الله) أى تنزه بذاته تنزهها خاصاً به من أن ينازعه أحد أو يزاحم اختياره اختيار (وتعالى عما يشركون) عن إشرأكم أو عن مشاركة ما يشركونه به (وربك يعلم ما تكن صدورهم) كعداوة رسول الله ﷺ وحقدكم عليه (وما يعلنون) كالطعن فيه (وهو الله) أى المستحق للعبادة (لإله إلا هو) لا أحد يستحقها إلا هو (له الحمد فى الأولى والآخرة) لأنه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة بحمده المؤمنون فى الآخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجاً بفضلِهِ والتذاذاً بحمده (وله الحكم) أى القضاء النافذ فى كل شئ من غير مشاركة فيه لغيره (وإليه ترجعون) بالبعث لا إلى غيره (قل) تقريراً لما ذكر (أرايتم) أى أخبرونى (إن جعل الله عليكم الليل سرمداً) دائماً من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما فى دلاص من الدلاص يقال درج دلاص أى ملساء لينته (إلى يوم القيامة) بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول الأفق الغائر (من إله غير الله) صفة لإله (بأيتكم بضياء) صفة أخرى له عليها يدور أمر التبسكيت والإلزام كما فى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض وقوله تعالى فمن يأيتكم بما معين ونظائرهما خلا أنه قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل إله الخ لإيراد التبسكيت والإلزام على زعمهم وقرئ بضياء بهمزتين (أفلا تسمعون) هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا له وتعملوا بموجبه (قل أرايتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة) بإسكانها فى وسط السماء أو بتحريكها على مدار فوق الأفق (من إله غير الله) بآيتكم بليل تسكنون فيه) استراحة من متاعب الاشتغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصوداً بذاته ظاهر الاستنباع لما ينط به من المنافع (أفلا تبصرون) هذه المنفعة الظاهرة التى لا تخفى على من له بصر (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) أى فى الليل (ولتبتغوا من

وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾

٢٨ القصص

وَتَزْعُمَانِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

٢٨ القصص

إِنْ قُرُونٌ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾

٢٨ القصص

فضله) في النهار بأنواع المكاسب (ولعلكم تشكرون) ولكي تشكروا نعمته تعالى فعل ما فعل أولئك
 ٧٤ تعرفوا نعمته تعالى وتشكروه عليها (ويوم يناديهم) منصوب باذكر (فيقول أين شركائي الذين كنتم
 تزعمون) تفرغ إثر تفرغ الإشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله عز وجل من الإشراف كالاشياء أدخل
 ٧٥ في مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تعالى (وتزعنا) عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على
 التحقق أو حال من فاعله يا خمار قد والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله
 أي أخرجنا (من كل أمة) من الأمم (شهاداً) نبياً يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف إذا
 جئنا من كل أمة بشهيد (فقلنا) لكل أمة من تلك الأمم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدعون به
 (فعلوا) يومئذ (أن الحق لله) في الإلهية لا يشاركه فيها أحد (وضل عنهم) أي غاب عنهم غيبة الضائع
 ٧٦ (ما كانوا يفترون) في الدنيا من الباطل (إن قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه يصر بن قاهت
 ابن لاوي بن يعقوب عليه السلام وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهت وقيل كان موسى عليه السلام
 ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق
 السامري وقال إذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرود فإلى وروى أنه لما جاوز بهم موسى عليه
 السلام البحر وصارت الرسالة والخبيرة والقربان لهرود وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى
 الأمر لكما ولست على شيء إلى متى أضرب قال موسى عليه السلام هذا صنع الله تعالى قال لا أصدقك حتى
 تأتي بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل أن يجيء كل واحد بعصا فخرمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل
 إليه فيها فكانوا يحرسون عصيمهم بالليل فأصبحوا فإذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر فقال قارون ما هو
 • بأعجب مما نصنع من السحر وذلك قوله تعالى (فبغى عليهم) فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره
 • أو ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني إسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكر منه في حق موسى
 وهرون عليهما السلام (وآتيناه من الكنوز) أي الأموال المدخرة (ما إن مفاتيحه) أي مفاتيح صناديقه
 وهو جمع مفتاح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحداه المفتاح بالفتح (لتنوء بالعصبة أولى
 القوة) خبر إن والجملة صلة ما هو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله والعصبة والعصابة
 الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه كداسر في قوله تعالى إن رحمة الله

وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

٢٨ القصص

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

٢٨ القصص

- قريب من المحسنين (إذ قال له قومه) منصوب بتنوء وقيل ينبغي ورد بأن البغى ليس مقيداً بذلك الوقت .
 وقيل بآتيائه ورد بأن الإيتاء أيضاً غير مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو أظهر الفرح ويجوز
 أن يكون منصوباً بما بعده من قوله تعالى قال إنما أوتيته وتكون الجملة مقررته لبغيه (لا تفرح) أى لا تبطر
 والفرح في الدنيا مذموم مطلقاً لأنه نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة
 مفارقة لا محالة يوجب الترححاً ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلى النهي ههنا بكونه مانعاً من
 محبته عزو علا فقيل (إن الله لا يحب الفرحين) أى بزخارف الدنيا (وابتغ) وقرىء وابتغ (فما آتاك الله) ٧٧
 من الغنى (الدار الآخرة) أى ثواب الله تعالى فيها يصرفه إلى ما يكون وسيلة إليه (ولا تنس) أى لا تترك
 ترك المنسى (نصيبك من الدنيا) وهو أن تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك (وأحسن) أى إلى عباد
 الله تعالى (كما أحسن الله إليك) فيما أنعم به عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله إليك بالإعلاء
 (ولا تبغ الفساد في الأرض) نهي عما كان عليه من الظلم والبغى (إن الله لا يحب المفسدين) لسوء أفعالهم
 (قال) مجيباً لنا صمحيه (إنما أوتيته على علم عندى) كأنه يريد به الرد على قولهم كما أحسن الله إليك لإتيائه ٧٨
 عن أنه تعالى أنعم عليه بتلك الأموال والذخائر من غير سبب واستحقاق من قبله أى فضلك به على
 الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم في موقع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم
 بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدقائق وعندى
 صفة له أو متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى أو فى ظنى ورأى (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من
 القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً) توبيخ له من جهة الله تعالى على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع
 علمه بذلك قراءة في التوراة وتلقياً من موسى عليه السلام وسماطاً من حفاظ التواريخ وتجب منه فالمعنى
 ألم يقرأ التوراة ولم يعلم ما فعل الله تعالى بأضرابه من أهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتروا به أو رد
 لا دعائه العلم وتعظمه به بنى هذا العلم منه فالمعنى أعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يبق به نفسه مصارع
 المهالكين (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كأن قارون لما هدده
 بذكر إهلاك من قبله عن كان أقوى منه وأغنى أكد ذلك بأن بين أن ذلك لم يكن مما يخص أولئك
 المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة .

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾

٢٨ القصص

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾

٢٨ القصص

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾

٢٨ القصص

- ٧٩ (نخرج على قومه) عطف على قالوما بينهم اعتراض وقوله تعالى (في زينته) إمامتعلق بخرج أو بمحذوف هو حال من فاعله أي نخرج عليهم كائناً في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحل والديباج وقيل في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات وهو أول يوم رثي فيه المعصفر (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) من المؤمنين جرياً على سنن الجبلية البشرية من الرغبة في السعة واليسار (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون) وعن قتادة أنهم تمنوه ليتقربوا به إلى الله تعالى وينفقوه في سبل الخير وقيل كان المتمدنون قوماً كفاراً (إنه لذو حظ عظيم) تعليل لتعظيمهم وتأكده (وقال الذين أوتوا العلم) أي بأحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وإنما لم يوصفوا بإرادة ثواب الآخرة تنبيهاً على أن العلم بأحوال النشأتين يقتضي الإعراض عن الأولى والإقبال على الثانية حتماً وأن تمنى المتمدنين ليس إلا لعدم عليهم بهما كما ينبغي (ويلكم) دعاء بالهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى (ثواب الله) في الآخرة (خير) مما تتمنونه (لمن آمن وعمل صالحاً) فلا يليق بكم أن تتمنوه غير مكشفين بثوابه تعالى (ولا يلقيها) أي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء أو الثواب فإنه بمعنى المثوبة أو الجنة أو الإيمان والعمل الصالح فإنهما في معنى السيرة والطريقة (إلا الصابرون) أي على الطاعات وعن الشهوات (نخسفنا به وبداره الأرض) روى أنه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد لحسبه فاستكثره فعمد إلى أن يفضح موسى عليه السلام بين بني إسرائيل لجعل لبغى من بغايا بني إسرائيل ألف دينار وقيل طشتاً من ذهب مملوء ذهباً فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيباً فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصناً رجناه فقال قارون قال ولو كنت قال إن بني إسرائيل يزعمون أنك لجرت بفلاة فاحضرت فناشدها عليه السلام أن تصدق فقالت جعل لي قارون جملاً على أن أرميك بنفسى فخر موسى ساجداً لربه يبكي ويقول يارب إن كنت رسولك فأغضب لي فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليزِم مكانه ومن كان معي فليعتزل

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ
وَيَقْدِرُ لَوْ أَنَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ ٢٨ القصص
تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ٢٨ القصص
مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ٢٨ القصص

عنه فاعزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى
الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وهم ينادونه عليه الصلاة والسلام بالله تعالى وبالرحم
وهو لا يلتفت إليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنما
دعا عليه موسى عليه الصلاة والسلام ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله
(فما كان له من فئة) جماعة مشفقة (ينصرونه من دون الله) بدفع العذاب عنه (وما كان من المنتصرين)
أى الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر أى منعه فامتنع (وأصبح الذين تمنوا
٨٢ مكانه) منزلته (بالأمس) منذ زمان قريب (يقولون ويكان الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر)
أى يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيئته لا لكرامة توجب البسط ولا لهُوان يقتضى القبض
ويوكان عند البصريين مركب من وى للتعجيب وكان للتشبيه والمعنى ما أشبه الأمر أن الله ييسط الخ
وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويك وأن وتقديره ويك أعلم أن الله وإنما يستعمل عند التنبيه على الخطأ
والتندم والمعنى أنهم قد تنبهوا على خطيئهم في تمنهم وتندموا على ذلك (لولا أن من الله علينا) بعدم إعطائه
إيانا ما تمنيناه وإعطائنا مثل ما أعطاه إياه وقرىء لولا من الله علينا (لخسف بنا) كما خسف به وقرىء
لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرىء لانخسف بنا كقولك انقطع به وقرىء
لنخسف بنا (ويكانه لا يفلح الكافرون) لنعمة الله تعالى أو المكذبون برسله وبما وعدوا من ثواب
الآخرة (تلك الدار الآخرة) إشارة تعظيم وتفخيم كأنه قيل تلك التى سمعت خبرها وبلغك وصفها
٨٣ (نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض) أى غلبة وتسلطاً (ولا فساداً) أى ظلماً وعدواناً على العباد
كدأب فرعون وقارون وفى تعليق الموعد بترك إرادتهم لا بترك أنفسهم ما يزيد تحذيرهم منها وعن على رضى
الله عنه إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها (والعاقبة)
الحميدة (للمتقين) أى الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الأفعال والأقوال (من جاء بالحسنة فله)
٨٤ بمقابلتها (خير منها) ذاتاً ووصفاً وقدرأ (ومن جاء بالسئنة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) وضع فيه
الموصول والظاهر موضع الضمير لتعجيز حالهم بتكرير إسناد السئنة إليهم (إلا ما كانوا يعملون) أى
إلا مثل ما كانوا يعملون لحذف المثل وأقيم مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة .

إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾

٢٨ القصص

وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾

٢٨ القصص

وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾

٢٨ القصص

وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

٢٨ القصص

- ٨٥ (إن الذي فرض عليك القرآن) أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل به (لرادك إلى معاد) أي معاد معاد تمتد إليه أعتاق الهمم وترنو إليه أحداق الأسم وهو المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على أنه تعالى قد وعده وهو بمكة في أذية وشدة من أهلها أنه يهاجر به منها ثم يعيده إليها بمن ظاهر وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم عليه السلام فنزل جبريل عليه السلام فقال له أنشأت إلى مكة قال نعم فأوحاها إليه (قل رب أعلّم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يدل عليه أعلّم أي يعلم وقيل بأعلم على أنه بمعنى عالم (ومن هو في ضلال مبين) وما استحقه من العذاب والإذلال يعني بذلك نفسه والمشرّكين وهو تقرير للعيد السابق وكذا قوله تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب) أي سيردك إلى معادك كما ألقى إليك الكتاب وما كنت ترجوه (إلا رحمة من ربك) ولكن ألفاه إليك رحمة منه ويجوز أن يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قيل وما ألقى إليك الكتاب إلا رحمة أي لأجل النرحم (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) بمداراتهم والتحمل عنهم والإجابة إلى طلبتهم (ولا يصدنك) أي الكافرون (عن آيات الله) أي عن قراءتها والعمل بها (بعد إذ أنزلت إليك) وفرضت عليك وقرئ يصدنك من أصد المنقول من صد اللّازم (وادع) الناس (إلى ربك) إلى عبادته وتوحيده (ولا تكونن من المشرّكين) بمساعدتهم في الأمور (ولا تدع مع الله إلّا آخر) هذا وما قبله للتبسيط والإلهاب وقطع أطماع المشرّكين عن مساعدته عليه الصلاة والسلام لهم وإظهار أن المنهى عنه في القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلا (لا إلّا هو) وحده (كل شيء هالك إلا وجهه) إلا ذاته فإن ما عداه كائنات ما كان ممكن في حد ذاته عرضة للملاك والعدم (له الحكم) أي القضاء النافذ في الخلق (وإليه ترجعون) عند البعث للجزاء بالحق والعدل. عن النبي ﷺ من قرأ طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقا.

٢٩ - سورة العنكبوت

(مكية وهي تسع وستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢٩ العنكبوت

الْم

٢٩ العنكبوت

أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢٠﴾

وَلَقَدْ فْتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢١﴾ ٢٩ العنكبوت

(سورة العنكبوت)

مكية وهي تسع وستون آية

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم) الكلام فيه كالذي مر مراراً في نظائره من الفوائح الكريمة خلا أن ما بعده لا يحتمل أن يتعلق به تعلقاً إعرابياً (أحسب الناس) الحسبان ونظائره لا يتعلق بما في المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء أو انتفاء شيء عن شيء بحيث يتحصل منها مفعولاه إما بالفعل كما في عامة المواقع وإما بنوع تصرف فيها كما في الجمل المصدرة بأن والواقعة صلة للوصول الاسم أو الحرفي فإن كلا منها صالحة لأن يسبك منها مفعولاه لأن قوله تعالى أحسب الناس (أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) في قوة أن يقال أحسبوا أنفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد أن يقولوا آمنا أو أن يقال أحسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا حاصل متحققاً والمعنى إنكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق أنه تعالى يمتحنهم بمشاق التكليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشبهه النفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الأنفس والأموال ليميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويمجازيهم بحسب مراتب أعمالهم فإن مجرد الإيمان وإن كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روى أنها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين جزعوا من أذية المشركين وقيل في حمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبوامرأته وهو أول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله ﷺ سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة (ولقد فتنا الذين من قبلهم) متصل بقوله تعالى ٣ أحسب أو بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى أن ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافها والمعنى أن الأمم الماضية قد أصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو أشد مما أصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الآيات وعن النبي ﷺ قد كان من قبلكم يؤخذ في موضع المنقار

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٩﴾ العنكبوت

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ العنكبوت

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ العنكبوت

على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب
 • ما يصرفه ذلك عن دينه (فليعلمن الله الذين صدقوا) أى فى قولهم آمناً (وليعلنن الكاذبين) فى ذلك والفاء
 لترتيب ما بعدها على ما يفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والاتفات إلى الاسم
 الجليل لإدخال الروعة وترية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التأكيد والتقرير أى فوالله ليتعلقن عليه
 بالامتحان تعلقاً حاليّاً يتميز به الذين صدقوا فى الإيمان الذى أظهره والذين هم كاذبون فيه مستمرّون
 على الكذب ويترتب عليه أجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن أو ليجازين وقرىء
 وليعلنن من الأعلام أى وليعرفنهم الناس أو ليسمنهم بسمه يعرفون بها يوم القيامة كيباض الوجوه
 ٤ وسوادها (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) أى يفوتونا فلا تقدر على مجازاتهم بمساوى
 أعمالهم وهو ساد مسد مفعولى حسب لاشتماله على مسند ومسند إليه وأم منقطعة وما فيها من معنى بل
 للإضراب والانتقال عن التوبيخ بإنكار حسابهم متروكين غير مفتونين إلى التوبيخ بإنكار ما هو أبطل من
 الحساب الأول وهو حسابهم أن لا يجازوا بسيناتهم وهم وإن لم يحسبوا أنهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا
 نفوسهم بذلك لكنهم حيث أصرّوا على المعاصى ولم يتفكروا فى العاقبة نزّلوا منزلة من يطمع فى ذلك كما فى
 قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده (ساء ما يحكمون) أى بنس الذى يحكمونه حكمهم ذلك أو بنس حكما يحكمونه
 ٥ حكمهم ذلك (من كان يرجو لقاء الله) أى يتوقع ملاقة جزائه ثواباً أو عقاباً أو ملاقة حكمه يوم القيامة وقيل
 يرجو لقاء الله عز وجل فى الجنة وقيل يرجو ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل لقاءه تعالى عبارة عن الوصول
 إلى العاقبة من تاقى ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك الحال بحال عبد قدم على سيده
 بعد عهد طويل وقد علم مولاه بجميع ما كان يأتى ويذر فإما أن يلقاه ببشر وكرامة لما رضى من أفعاله
 • أو بضده لما سخطه (فإن أجل الله) الأجل عبارة عن غاية زمان ممتد عينت لأمر من الأمور وقد يطلق
 • على كل ذلك الزمان والأول هو الأشهر فى الاستعمال أى فإن الوقت الذى عينه تعالى لذلك (لآت)
 لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لأن أجزاء الزمان على التقضى والتصرم دائماً فلا بد من
 إتيان ذلك الجزاء أيضاً البتة وإتيان وقته موجب لإتيان اللقاء حتماً والجواب محذوف أى فليختر من
 الأعمال ما يؤدى إلى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه إلى سوء العذاب كما فى قوله تعالى فمن كان يرجو
 لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر إلى
 • ما يحقق أمله ويصدق رجاءه أو ما يوجب القربة والزانى (وهو السميع) لا أقوال العباد (العليم) بأحوالهم
 ٦ من الأعمال الظاهرة والعقائد (ومن جاهد) فى طاعة الله عز وجل (فإنما يجاهد لنفسه) لعود منفعتها

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

٢٩ العنكبوت

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرَجِعِكَ فَانِيتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٠﴾

٢٩ العنكبوت

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٣١﴾

٢٩ العنكبوت

- إليها (إن الله لغني عن العالمين) فلا حاجة له إلى طاعتهم وإنما أمرهم بها تعريضا لهم للثواب بموجب رحمته (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) الكفر بالإيمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات (ولنجزيهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي أحسن جزاء أعمالهم لا جزاء أحسر أعمالهم فقط (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا) أي بإيتاء والديه وإيلائهما فعلا ذا حسن أو ما هو في حد ذاته حسن ٨ لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى بحري مجرى أمر معنى وأصرفا غير أنه يستعمل فيما كان في الأمور به نفع عائد إلى المأمور أو غيره وقيل هو بمعنى قال فاعلمني وقلنا أحسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بضمير على تقدير قول مفسر للتوصية أي وقلنا أولهما أو افعلا بهما حسنا وهو أوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا وإحسانا (وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم) أي بالهيته عبر عن نفيا بنفي العلم بها للإيدان بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه (فلا تطعهما) في ذلك فإنه لا طاعة لخلق في معصية الخالق ولا بد من إضمار القول إن لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهم بمجاهدتهم في التكليف إشعار بأن موجب النهي فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الأولوية (إلى مرجعكم) أي مرجع من آمن منكم ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عقى (فأنيتكم بما كنتم تعملون) بأن أجازي كلا منكم بعمله إن خيرا أو نجيها وإن شرا فشر ٩ والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه عند إسلامه حيث حلفت أمه حمنة بنت أبي سفيان ابن أمية أن لا تنتقل من الضح إلى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يترد فلبثت ثلاثة أيام كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الأحقاف وقيل نزلت في عياض بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نزل المدينة فخرج أبو جهل والحريث أخواه لأمه أسماء فتزلا بعياض وقال له إن من دين محمد ﷺ صلة الأرحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوى بيتا حتى تراك فاخرج معنا وقتلنا منه في الذروة والغارب واستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخذلانك ولك على أن أقسم مالي بيني وبينك فإزالا به حتى أطاعهما وعصى عمر رضي الله عنه فقال عمر رضي الله عنه أما إذا عصيتني فخذنا قتي فليس في الدنيا بغير يلحقها فإن رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا إلى البيداء قال أبو جهل إن ناقى قد كنت فاحملني معك فنزل ليوطىء لنفسه وله فأخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به إلى أمه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد (والذين آمنوا وعملوا

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ
 نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ العنكبوت
 وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿٣٠﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَاهُمْ بِحَامِلِينَ مِّنْ خَطِيئَتِهِمْ
 مِن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿٣١﴾ العنكبوت

- الصالحات لندخلهم في الصالحين) أى في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال في الصلاح منتهى درجات
 المؤمنين وغاية مآول أنبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وأدخلني برحمتك
 في عبادك الصالحين وقال في حق إبراهيم عليه السلام وإنه في الآخرة لمن الصالحين أو في مدخل الصالحين
 ١٠ وهو الجنة (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُوذِيَ في الله) أى في شأنه تعالى بأن عذبهم الكفرة
 على الإيمان (جعل فتنة الناس) أى ما يصيبه من أذيتهم (كعذاب الله) في الشدة وال هول فيرتد عن الدين
 مع أنه لا قدر لها عند نفحة من عذابه تعالى أصلا (وإن جاء نصر من ربك) أى فتح وغنيمة (ليقولن)
 بضم اللام نظراً إلى معنى من كما أن الأفراد فيما سبق بالنظر إلى لفظها وقرىء بالفتح (إنا كنا معكم)
 أى مشايعين لكم في الدين فأشركوا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا إذا مسهم أذى من الكفار
 وافقوم وكانوا يكتمنونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين)
 أى بأعلم منهم بما في صدورهم من الإخلاص والنفاق حتى يفعلوا ما يفعلون من الارتداد والإخفاء عن
 ١١ المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الأوفق لما سبق ولما لحق من قوله تعالى (وليعلن الله
 الذين آمنوا) أى بالإخلاص (وليعلن المنافقين) سواء كان كفرهم بأذية الكفرة أولا أى ليجزيهم
 ١٢ بما لهم من الإيمان والنفاق (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) بيان لحلمهم للؤمنين على الكفر بالاستمالة
 بعد بيان حلمهم لهم عليه بالأذية والوعيد وصفهم بالكفر ههنا دون ما سبق لما أن مساق الكلام لبيان
 • جناباتهم وفيما سبق لبيان جنابة من أضلوه واللام للتبليغ أى قالوا مخاطبين لهم (اتبعوا سبيلنا) أى
 اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع الذي هو المشى خلف ماش آخر تنزيلا
 • للسلك منزلة السالك فيه أو اتبعونا في طريقتنا (ولنحمل خطاياكم) أى إن كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها
 بالبعث كما تقولون وإنما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين له على أمرهم بالاتباع للبالغة في تعليق الحمل
 بالاتباع والوعد بتخفيف الأوزار عنهم إن كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى (وما هم بحاملين من
 خطاياهم من شيء) وقرىء من خطيئاتهم أى وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا أن يحملوا كلها
 • على أن من الأولى للتبيين والثانية مزيدة للاستفراق والجملة اعتراض أو حال (إنهم لكاذبون) حيث
 أخبروا في ضمن وعدم الحمل بأنهم قادرون على إنجاز ما وعدوا فإن الكذب كما يتطرق إلى الكلام باعتبار

وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٩﴾ العنكبوت
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ
ظَالِمُونَ ﴿٣٠﴾

العنكبوت ٢٩

فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾

العنكبوت ٢٩

وإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

العنكبوت ٢٩

منطوقه يتطرق إليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى أنبئني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين
(وليحملن أثقالهم) بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة من المضرة لأنفسهم بعد بيان عدم منفعة ١٣
لخطيئهم أصلا والتعبير عن الخطايا بالأثقال الإيذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمرة
أى وبالله ليحملن أثقال أنفسهم كاملة (وأثقالا) آخر (مع أثقالهم) لما تسببوا بالإضلال والحمل على
الكفر والمعاصي من غير أن ينتقص من أثقال من أضلوه شيء ما أصلا (وليسألن يوم القيامة) سؤال
تقريع وتبكيت (عما كانوا يفترون) أى يخلقونه في الدنيا من الأكاذيب والآباطيل التى من جملتها كذبهم
هذا (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) شروع في بيان افتتان الأنبياء ١٤
عليهم الصلاة والسلام بأذية أمهم إثر بيان افتتان المؤمنين بأذية الكفار تأكيذا للإنكار على الذين
يحسبون أن يتركوا بمجرد الإيمان بلا ابتلاء وحنأ لهم على الصبر فإن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أمهم من فنون المكارة وصبروا عليها فلأن يصبر هؤلاء أولى وأحرى
قالوا كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين عاما بعث على رأس أربعين سنة ودعا قومه تسعةائة وخمسين
سنة وحاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم
الدلالة على كمال العدد فإن تسعةائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الألف من تخجيل طول
المدة فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله ﷺ وتثبيته على ما كان عليه من مكابدة ما يناله من الكفرة
وإظهار ركابة رأى الذين يحسبون أنهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميز لما في التكرير من نوع بشاعة
(فأخذهم الطوفان) أى عقب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما يطوف بالشيء على كثرة وشدة
من السيل والريح والغلام وقد غلب على طوفان الماء (وهم ظالمون) أى والحال أنهم مستمررون على الظلم لم
يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعوا عما هم عليه من الكفر والمعاصي هذه
المدة المتبادية (فأنجيناه) أى نوحا عليه السلام (وأصحاب السفينة) أى ومن ركب فيها معه من أولاده ١٥
وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم إناث (وجعلناها)
أى السفينة أو الحادثة والقصة (آية للعالمين) يتعظون بها (وإبراهيم) نصب بالعطف على نوحا وقيل ١٦
• • • - أبى السعود ج ٧ •

إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ٢٩ المنكبوت
وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا أبلغ المبين ﴿١٨﴾ ٢٩ المنكبوت
أولم يروا كيف يبيد الله الخلق ثم يعيده ۖ إن ذلك على الله يسير ﴿١٩﴾ ٢٩ المنكبوت

- يا ضمار اذكر وقرىء بالرفع على تقدير ومن المرسلين إبراهيم (إذ قال لقومه) على الأول ظرف للإرسال
- أى أرسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال إلى درجة التكميل
- حيث قصدى لإرشاد الخلق إلى طريق الحق وعلى الثانى بدل اشتغال من إبراهيم (اعبدوا الله) أى وحده (واقوه) أن تشركوا به شيئاً (ذلكم) أى ما ذكر من العبادة والتقوى (خير لكم) أى مما أنتم عليه
- ومعنى التفضيل مع أنه لا خيرية فيه قطعاً باعتبار زعمهم الباطل (إن كنتم تعلمون) أى الخير والشر وتميزون أحدهما من الآخر أو إن كنتم تعلمون شيئاً من الأشياء بوجه من الوجوه فإن ذلك كافى فى الحكم بخيرية ما ذكره من العبادة والتقوى (إنما تعبدون من دون الله أوثاناً) بيان لبطلان دينهم وشريته
- ١٧ فى نفسه بعد بيان شريته بالنسبة إلى الدين الحق أى إنما تعبدون من دونه تعالى أوثاناً هى فى نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك (وتخلقون إفكاً) أى وتكذبون كذباً حيث تسمونها آلهة وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله تعالى أو تعملونها وتحتونها للإفك وقرىء تخلقون بالتشديد للتكثير فى الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون بحذف إحدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وتخرس وقرىء إفكاً على أنه مصدر كالكذب واللعب أو نعت بمعنى خلقاً ذا إفك (إن الذين تعبدون من دون الله) بيان لشرية ما يعبدونه من حيث إنه لا يكاد يمجدهم نفعاً (لا يملكون لكم رزقاً) أى لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئاً من الرزق (فابتغوا عند الله الرزق) كله فإنه هو الرزاق ذو القوة المتين (واعبدوه) وحده (واشكروا له) على نعمائه متوسلين إلى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للزبد (وإليه ترجعون) أى بالموت ثم بالبعث لا إلى غيره فافعلوا ما أمرتكم به وقرىء ترجعون من رجوع رجوعاً (وإن تكذبوا) أى تكذبون فيما أخبرتكم به من أنكم إليه ترجعون بالبعث (فقد كذب أمم من قبلكم) تعليل للجواب
- أى فلا تضرونى بتكذيبكم فإن من قبلكم من الأمم قد كذبوا من قبل من الرسل وهم شيت وإدريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئاً وإنما ضار أنفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أى التبليغ الذى لا يبقى معه شك وما عليه أن يصدق قومه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرنى تكذيبكم بعد ذلك أصلاً (أولم يروا كيف
- ١٨
- ١٩
- يبدى الله الخلق) كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للإنكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لإنكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر أى ألم ينظروا

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

٢٩ العنكبوت

يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾

٢٩ العنكبوت

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾

٢٩ العنكبوت

- ولم يعلموا علماً جازياً مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة أى قد علموا ذلك وقرىء بصيغة الخطاب لتشديد الإنكار وتأكيده وقرىء يبدأ وقوله تعالى (ثم يعيده) عطف على أولم يروا ليعيدى لعدم وقوع الرؤية عليه فهو لإخبار بأنه تعالى يعيد الخلق * قياساً على الإبداء وقد جوز العطف على يعيدى بتأويل الإعادة بإنشائه تعالى كل سنة مثل ما أنشأ في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فإن ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب (إن ذلك) أى ما ذكر من الإعادة (على الله يسير) إذ لا يفترق فعله إلى شيء أصلاً (قل سيروا في الأرض) ٢٠ أمر لإبراهيم عليه السلام أن يقول لهم ذلك أى سيروا فيها (فانظروا كيف بدأ الخلق) أى كيف خلقهم ابتداء على أطوار مختلفة وطبائع متغايرة وأخلاق شتى فإن ترتيب النظر على السير في الأرض مؤذن بتتبع أحوال أصناف الخلق الفاطنين في أقطارها (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الأولى التي شاهدتموها والتعبير عن الإعادة التي هي محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة أولى للتنبيه على أنهما شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسماً من حيث إن كلامهما اختراع وإخراج من العدم إلى الوجود ولا فرق بينهما إلا بالأولية والآخرة وقرىء النشأة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرأفة ومحملها النصب على أنها مصدر مؤكد لينشئ بمحذف الزوائد والأصل الإنشاء أو بمحذف العامل أى ينشئ فينشأون النشأة الآخرة كما في قوله تعالى وأنبأها نباتاً حَسَنًا والجملة معطوفة على جملة سيروا في الأرض داخلة معها في حيز القول وإظهار الاسم الجليل وإيقاعه مبتدأ مع إضماره فبدأ لإبراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الإعادة بالإشارة إلى علة الحكم وتكرير الإسناد وقوله تعالى (إن الله على كل شيء قدير) * تعطيل لما قبله بطريق التحقيق فإن من علم قدرته تعالى على جميع الأشياء التي من جملتها الإعادة لا يتصور أن يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعد ما أخبر به (يعذب) أى بعد النشأة الآخرة (من يشاء) أن يعذبه وهم المنكرون لهاحتماً (ويرحم من يشاء) أن يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تسكلمة لما قبلها وتقديم التعذيب لما أن التهيب أنسب بالمقام من الترغيب (وإليه تـُـقْلَبُونَ) عند ذلك لا إلى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة (وما أنتم بمُعْجِزِينَ) له تعالى عن إجراء حكمه وقضائه عليكم (في الأرض ولا في السماء) أى بالتواري في الأرض أو الهبوط في مهاديها ولا بالتحصن في السماء التي هي أفسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا أو

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَكُونُ مِنْهُمْ رَحِمَةٌ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ النكبات
فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ النكبات

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَوْدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ
بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣١﴾ النكبات

- القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف معطوف على أنتم أي ولا من في السماء (وما لكم من
دون الله من ولي ولا نصير) بحر سكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الأرض أو ينزل من السماء ويدفعه عنكم
٢٣ (والذين كفروا بآيات الله) أي بدلائله التكوينية والتزيلية الدالة على ذاته وصفاته وأفعاله فدخل
فيها الشاة الأولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا أولياً وتخصيصها بدلائل وحدانيته
• تعالى لا يناسب المقام (ولقائه) الذي تنطق به تلك الآيات (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته
تعالى ولقائه (يذسوا من رحمتي) أي يياسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه أو يذسوا منها
• في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء (وأولئك لهم عذاب أليم) وفي تكرير اسم الإشارة وتكرير الإسناد
وتكثير العذاب ووصفه بالآليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى أي أولئك الموصوفون
بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباللباس من رحمة الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك
٢٤ الأوصاف القبيحة عذاب لا يقادر قدره في الشدة والإيلام (فما كان جواب قومه) بالنصب على أنه خبر
كان واسمها قوله تعالى (إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره
وليس المراد أنه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج إبراهيم عليه السلام إلا هذه المقالة الشنيعة كما
هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل إن ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة
• الأخيرة وإلا فقد صدر عنهم من الخرافات والباطيل ما لا يحصى (فأنجاه الله من النار) الفاء فصيحة
أي فأنقذه في النار فأنجاه الله تعالى منها بأن جعلها عليه عليه الصلاة والسلام برداً وسلاماً حسبما بين في
مواضع أخر وقد مر في سورة الأنبياء بيان كيفية إلقائه عليه الصلاة والسلام فيها وإنجائه تعالى إياه
• تفصيلاً قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع أصلاً (إن في ذلك) أي في إنجائه منها (لايات) بينة عجبية
هي حفظه تعالى إياه من حرها وإخادها في زمان يسير وإنشاء روض في مكانها (لقوم يؤمنون) وأما
٢٥ من عدام فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغائم آثارها محرومون (وقال) أي إبراهيم عليه السلام
مخاطباً لهم (إنما اتخذتم من دون الله آثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي لتوادوا بينكم وتتواصلوا
لا اجتماعكم على عبادتها واتلافكم ثانياً مفعولي اتخذتم محذوف أي أو ثانياً آلهة ويجوز أن يكون مودة هو
المفعول بتقدير المضاف أو بتأويلها بالمودودة أو بجعلها نفس المودة مبالغة أي اتخذتم أو ثانياً سبب المودة

فَعَاْمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾
 وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ
 فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾
 وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَنَا تُؤْمِنُونَ بِالْفَحِشَةِ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ ٢٩ العنكبوت

بينكم أو مودودة أو نفس المودة وقرىء مودة منونة منصوبة ناصبة الظرف وقرئت بالرفع والإضافة على أنها خبر مبتدأ محذوف أى هى مودودة أو نفس المودة أو سبب مودة بينكم والجملة صفة أو ثانياً أو خبر إن على أن ماصدرية أو موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الأول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرىء لقد تقطع بينكم على أحد الوجهين وقرىء إنما مودة بينكم والمعنى أن اتخاذكم إياها مودة بينكم ليس إلا فى الحياة وقد أجرىتم أحكامه حيث فعلتم ما فعلتم لأجل مودتكم لها انتصار أمتى كما بنى عنه قوله تعالى وانصروا آلهمكم (ثم يوم القيامة) تنقلب الأمور ويبدل التواد تباعضاً والتلاطف تلاعناً حيث (يكفر بعضكم) وهم العبد (ببعض) وهم الأولاد (ويلعن بعضكم بعضاً) أى يلعن كل فريق منكم ومن الأولاد حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر (وما أكرم النار) أى هى منزل لكم الذى تأوون إليه ولا ترجعون منه أبداً (وما لكم من ناصرين) يخلصونكم منها كما خلصنى ربى من الداء الذى ألقيتونى فيها وجمع الناصر لوقوعه فى مقابلة الجمع أى ما لأحد منكم من ناصر أصلاً (فآمن له لوط) أى صدقه فى جميع مقالاته لا فى نبوته وما دعا إليه من ٢٦ التوحيد فقط فإنه كان منزهاً عن الكفر وما قيل إنه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغى أن يحمل على ما ذكرنا أو على أن يراد بالإيمان الرتبة العالية منها وهى التى لا يرتقى إليها إلا همم الأفراد الكمل ولوط هو ابن أخيه عليهما السلام (وقال لى مهاجر) أى من قومي (إلى ربى) إلى حيث أمرنى ربى (لأنه هو العزيز) الغالب على أمره فيمنعنى من أعدائى (الحكيم) الذى لا يفعل فعلاً إلا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرنى إلا بما فيه صلاحى روى أنه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه إلى حران ثم منها إلى الشام فزل فلسطين ونزل لوط سدوم (ووهبنا له إسحاق ويعقوب) ولداً وناقلة حين أيس من ٢٧ عجوز طافر (وجعلنا فى ذريته النبوة) فكثرت منهم الأنبياء (والكتاب) أى جنس الكتاب المتناول للكتب الأربعة (وآتيناه أجره) بمقابلة هجرته إلينا (فى الدنيا) بإعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء أهل الملل إليه والثناء والصلاة عليه إلى آخر الدهر (ولأنه فى الآخرة لمن الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح (ولوطاً) منصوب إما بالعطف على نوحاً أو على إبراهيم والكلام فى قوله تعالى (إذ ٢٨ قال لقومه) كالذى مر فى قصة إبراهيم عليه السلام (إنكم لتأتون الفاحشة) أى الفعل المتناهية فى القبح وقرىء أنكم (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) استئناف مقرر لكمال قبحها فإن إجماع جميع أفراد العالمين على التحاشى عنها ليس إلا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس .

أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا

أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾

٢٩ العنكبوت

قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

٢٩ العنكبوت

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا

ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾

٢٩ العنكبوت

قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوْطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنِ فِيهَا النَّجِيَّةُ وَأَهْلُهُ إِلَّا أَمْرَاتُهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ ٢٩ العنكبوت

- ٢٩ (أنتم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وتعرضون للسبالة أي بالفاحشة حيث روى أنهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النساء بالإعراض عن الحث وإتيان ما ليس بحث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال (وتأتون في ناديكم) أي تفعلون في مجلسكم الجامع لأصحابكم (المنكر) كالجوع والضراط وحل الإزار وغيرها مما لاخير فيه من الأفاعيل المنكرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الحذف بالحصى والرمى بالبندق والفرقة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الإزار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مريبهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل (فإكان جواب قومه إلا أن قالوا اتينا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) أي فإكان جواباً من جهتهم شيء من الأشياء إلا هذه الكلمة الشنيعة أي لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان أوعدهم فيها بالعذاب وأما ما في سورة الأعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم الآية وما في سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم الآية فهو الذي صدر عنهم بعده هذه المرة وهي للمرة الأخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عليه الصلاة والسلام وقد مر تحقيقه في سورة الأعراف (قال رب أنصرني) أي بإزالة العذاب المتوعد (على القوم المفسدين) بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدم والإصرار عليها ٣١ واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وإنما وصفهم بذلك مبالغة في استئزال العذاب عليهم (ولما جاءت رسلاً إبراهيم بالبشرى) أي بالبشارة بالولد والثافلة (قالوا) أي لإبراهيم عليه السلام في تضاعيف الكلام حسياً فصل في سورة هود وسورة الحجر (إنا مهلكوا أهل هذه القرية) أي قرية سدوم والإضافة لثنية لأن المعنى على الاستقبال (إن أهلها كانوا ظالمين) تعليل للإهلاك بإصرارهم على الظلم وتناديهم ٣٢ في فتون الفساد وأنواع المعاصي (قال إن فيها لوطاً) فكيف تهلكونها (قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيته وأهله) أرادوا أنهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فيها بل هم لم يتعرض لإبراهيم عليه السلام من أتباعه المؤمنين وأنهم معشون بشأنهم أتم اعتناء حسبانهم عنه تصدير الوعد بالنجية بالقسم أي والله لننجينه وأهله (إلا امرأته كانت من الغابرين) أي الباقيين في العذاب أو القرية .

وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ يَوْمٍ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَاهْلِكَ
إِلَّا أَمْرَاتِكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾

٢٩ العنكبوت

إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾

٢٩ العنكبوت

وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

٢٩ العنكبوت

وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾

٢٩ العنكبوت

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينَ ﴿٣٧﴾

٢٩ العنكبوت

- (ولما أن جاءت رسلنا) المذكورون بعد مفارقةهم لإبراهيم عليه السلام (لوطاً سيئاً بهم) اعتراه المساء ٣٣
بسببهم مخافة أن يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة أن صلة لنا كيد ما بين القطعين من الاتصال (وضاق بهم
ذرعاً) أى ضاق بشأنهم وتدير أمرهم ذرعاً أى طاقته كقولهم ضاقت يده وبإزاره رجب ذرعاً بكذا
إذا كان مطبقاً به قادراً عليه وذلك أن طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع (وقالوا) ريثما شاهدوا
فيه غايل التضجر من جهنم وعانوا أنه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والى حتى آلت به الحال إلى
أن قال لو أن لى بكم قوة أو أوى إلى ركن شديد (لا تخف) أى من قومك علينا (ولا تحزن) أى على شيء
وقيل ياهلا كنا لإيام (إنا منجوك واهلك) بما يصيبهم من العذاب (إلا أمرأتك كانت من الغابرين)
وقرى لتنجينك ومنجوك من الإنجاء وأياً ما كان فحل الكاف الجر على المختار ونصب أهلك بإضمار فعل
أو بالعطف على محلهما باعتبار الأصل (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء) استئناف مسوق ٣٤
لبیان ما أشير إليه بوعدهم بالنتيجة من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذى يلقى المذنب أى يزيجه من قولهم
ارتجز إذا ارتجس واضطرب وقرى منزلون بالتشديد (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم المستمر (ولقد
تركنا منها) أى من القرية (آية بينة) هى قصتها العجيبة وآثار ديارها الخربة وقيل الحجارة المطورة
فإنها كانت باقية بعدها وقيل الماء الأسود على وجه الأرض (لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم فى
الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بما تركنا أو بينة (وإلى مدين أخاهم شعيباً) متعلق بمضمر معطوف على ٣٦
أرسلنا فى قصة نوح عليه السلام أى وأرسلنا إلى مدين شعيباً (فقال يا قوم اعبدوا الله) وحده (وارجوا
اليوم الآخر) أى توقعوه وما سيقع فيه من فنون الأهوال وافعلوا اليوم من الأعمال ما تأمنون غائلته
وقيل وارجوا ثوابه بطريق إقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف (ولا تعثوا فى
الأرض مفسدين) (فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أى الزلزلة الشديدة وفى سورة هود وأخذت الذين
ظلموا الصيحة أى صيحة جبريل عليه السلام فإنها الموجبة للرجفة بسبب تمويجها للهواء وما يجاورها من

وَعَادًا وَثُمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ
وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

٢٩ العنكبوت

وَقَرُّونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا
سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾

٢٩ العنكبوت

فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

٢٩ العنكبوت

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْيُوتِ لَيَبُتُّ
الْعَنْكَبُوتَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

٢٩ العنكبوت

٢٨ الأرض (فأصبحوا في دراهم) أي بلبدهم أو منازلهم والإفراد لأن اللبس (جامعين) باركين على الركب
ميتين (وعاداً وثموداً) منصوبان يا ضمائر فعل بنبى عنه ما قبله أي أهلكنا وقرىء ثموداً بتأويل الحى (وقد
تبين لكم من مساكنهم) أي وقد ظهر لكم إهلاكنا إياهم من جهة مساكنهم بالنظر إليها عند اجتيازكم
بها ذهاباً إلى الشام وإياباً منه (وزين لهم الشيطان أعمالهم) من فنون الكفر والمعاصي (فصددهم عن
عن السبيل) السوى الموصل إلى الحق (وكانوا مستبصرين) متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم
لم يفعلوا ذلك أو متبينين أن العذاب لاحق بهم يا خبر الرسل عليهم الصلاة والسلام لهم ولكنهم لجوا
حتى لقوا ما لقوا (وقارون وفرعون وهامان) معطوف على عاداً قيل تقديم قارون لشرف نسبه (ولقد
جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه إذا
فاته ولم يدركه ولقد أدركم أمر الله عز وجل أي إدراك فتداركوا نحو الدمار والهلاك (فكلاً) تفسير
لما بنبى عنه عدم سبقهم بطريق الإبهام أي فكل واحد من المذكورين (أخذنا بذنبه) أي عاقبناه بجنايته
لا بعضه دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول (فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً) تفصيل للأخذ أي ريحاً
حاصفاً فيها حصباء وقيل ملكار مام بهم أو هم قوم لوط (ومنهم من أخذته الصيحة) كعدين وثمود (ومنهم
من خسفنا به الأرض) كفارون (ومنهم من أغرقنا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم)
بما فعل بهم فإن ذلك محال من جهة تعالى (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالاستمرار على مباشرة
٤١ ما يوجب ذلك من أنواع الكفر والمعاصي (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أي فيما اتخذوه
متعمداً ومتكلاً (كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً) فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك أو هن من هذا
لأن له حقيقة وانتفاعاً في الجملة أو مثلهم بالإضافة إلى الموحد كمثلته بالإضافة إلى رجل نبى بيتاً من حجر
وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التأنيث وتأوّه

- ٢٩ العنكبوت إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾
- ٢٩ العنكبوت وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾
- ٢٩ العنكبوت خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾
- ٢٩ العنكبوت أَتُلِّ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

كناء طاغوت وجمع على عناكب وعنكبوتات وأما العنكب والعكب والإعكب فاسماء الجوع (وإن
أوهن البيوت لبنت العنكبوت) حيث لا يرى شيء بدايته في الوهن والوهي (لو كانوا يعلمون) أى شيئاً
من الأشياء لجزموا أن هذا مثلهم أو أن دينهم أوهى من ذلك ويجوز أن يجعل بيت العنكبوت عبارة عن
دينهم تحقيقاً للتمثيل فالمعنى وإن أوهن ما يعتمد به في الدين دينهم (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) ٤٢
على إضمار القول أى قل للكفرة إن الله الخ وما استفهامية منصوبة يدعون معلقة ليعلم ومن للتبيين أو
ناية ومن مزبذبة وشيء مفعول يدعون أو مصدرية وشيء عبارة عن المصدر أو موصولة مفعول ليعلم
ومفعول يدعون عائده المحذوف وقرئ تدعون بالناء والكلام على الأولين تجميل لهم وتأکید للثبوت
وعلى الأخيرين وعيد لهم (وهو العزيز الحكيم) تعليل على المعنيين فإن إشرارك ما لا يعد شيئاً بمن هذا
شأنه من فرط الغباوة وأن الجداد بالنسبة إلى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم وإتقان الفعل الغاية
القاصية كالمعدوم البحت وأن من هذه صفاته قادر على مجازاتهم (وتلك الأمثال) أى هذا المثل وأمثاله ٤٣
(نضربها للناس) تقريباً لما بعد من أفهامهم (وما يعقلها) على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد
(إلا العالمون) الراسخون في العلم المتدبرون في الأشياء على ما ينبغي وعنه ~~يقال~~ أنه تلا هذه فقال العالم
من عقل عن الله تعالى وعمل بطاعته واجتنب سخطه (خلق الله السموات والأرض بالحق) أى محققاً ٤٤
مراعياً للحكم والمصالح على أنه حال من فاعل خلق أو ملتبسة بالحق الذي لا يحيد عنه مستتبعة للنافع
الدينية والدينية على أنه حال من مفعوله فإنها مع اشتغالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على
شئونه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى (إن في ذلك لآية للمؤمنين) دالة لهم على ما ذكر
من شئونه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والإرشاد في خلقهم للكل لأنهم المنتفعون
بذلك (أتلى ما أوحى إليك من الكتاب) تقريباً إلى الله تعالى بقراءته وتذكراً لما في تضاعيفه من المعاني ٤٥
وتذكيراً للناس وحملهم على العمل بما فيه من الأحكام ومحاسن الآداب ومكارم الأخلاق (وأقم
الصلاة) أى داوم على إقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان أمره
عليه الصلاة والسلام بإقامتها متضمناً لأمر الأمة بها علل بقوله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي
 أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٩﴾
 وَكَذَلِكَ أُنزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ
 يُؤْمِنُ بِهِ ۖ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٥٠﴾

٢٩ العنكبوت

٢٩ العنكبوت

والمنكر) كأنه قيل وصل بهم إن الصلاة تنههم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهى عنها أنها سبب للانتباه
 عنهما لأنها مناجاة لله تعالى فلا بد أن تكون مع إقبال تام على طاعته وإعراض كلي عن معاصيه قال ابن
 مسعود وابن عباس رضي الله تعالى عنهما في الصلاة منتهى ومزدد عن معاصي الله تعالى فمن لم تأمره
 صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزد بصلاته من الله تعالى إلا بعداً وقال الحسن وقتادة من لم
 تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وروى أنس رضي الله عنه أن قى من الأنصار كان
 يصلي مع رسول الله ﷺ ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركب فوصف له ﷺ حاله فقال إن صلاته
 • ستهناه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله (ولذكر الله أكبر) أى وللصلاة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبر
 عنها به كما في قوله تعالى فاسمعوا إلى ذكر الله للإبذان بأن مافيهما من ذكر الله تعالى هو العمدية في كونها
 مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما
 ووعيده عليهما أكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته (والله
 يعلم ما تصنعون) منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة (ولا تجادلوا أهل الكتاب) من
 اليهود والنصارى (إلا بالتي هي أحسن) أى بالخصلة التي هي أحسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب
 بالكظم والمشغبة بالنصح والسورة بالآناة على وجه لا يبدل على الضعف ولا يؤدي إلى إعطاء الدنية وقيل
 منسوخ بآية السيف (إلا الذين ظلموا منهم) بالإفراط في الاعتداء والعناد أو بإثبات الولد وقولهم يد
 الله مغلوله ونحو ذلك فإنه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم (وقولوا آمناً بالذي أنزل إلينا) من القرآن
 (وأنزل إليكم) أى وبالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل وقد مر تحقيق كيفية الإيمان بهما في
 خاتمة سورة البقرة وعن النبي ﷺ لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمناً بالله وبكتبه وبرسله
 فإن قالوا باطلالهم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم (واللهنا وإلحكم واحد) لا شريك له في الألوهية
 (ونحن له مسلمون) مطيعون خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً
 من دون الله (وكذلك) تجريد الخطاب إلى رسول الله ﷺ وذلك إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده وما
 فيه من معنى البعد للإبذان بيبعد منزلة المشار إليه في الفضل أى مثل ذلك الإنزال البديع الموافق لإنزال
 سائر الكتب (أنزلنا إليك الكتاب) أى القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة
 بالحسنى (فالذين آتيناهم الكتاب) من الطائفتين (يؤمنون به) أريد بهم عبد الله بن سلام وأضرابه من
 أهل الكتابين خاصة كأن من عدمهم لم يتواتر الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه أو من تقدم عهد رسول الله

٤٦

٤٧

وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ وَبِمِثْلِكَ إِذَا لَا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ٢٩ العنكبوت
 بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ ٢٩ العنكبوت
 وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ ٢٩ العنكبوت
 أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ٢٩ العنكبوت

ﷺ منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابهم ما وتخصيصهم بإتياء الكتاب بالإيدان بأن من بعدهم من معاصري رسول الله ﷺ قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إيمانهم به مترتب على إزاله على الوجه المذكور (ومن هؤلاء) أي ومن العرب أو أهل مكة على الأول أو ممن في عصره ﷺ على الثاني (من يؤمن به) أي بالقرآن (وما يجحد بآياتنا) عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى وأضيفت إلى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها (إلا الكافرون) المتوغلون في الكفر المصممون عليه فإن ذلك يصددهم عن التأمل فيما يؤديهم إلى معرفة حقيقتها وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه (وما كنت تنلو من قبله) أي ما كنت قبل إزالنا إليك الكتاب تقدر على أن تنلو شيئاً من كتاب (ولا تخطه) أي ولا تقدر على أن تخطه (بميسك) حسبما هو المعتاد أو ما كانت عادتك أن تنطه (إذا لا رتاب المبطلون) أي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط أو ممن يعتادهما لا رتابوا وقالوا لعله النقطة من كتب الأوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب أصلاً وتسميتهم مبطلين في ارتباطهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته ﷺ عن ذلك (بل هو) أي القرآن (آيات بينات) واضحات ثابتة راسخة (في صدور الذين أوتوا العلم) من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه (وما يجحد بآياتنا) مع كونها كذا ذكر (إلا الظالمون) المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه) مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرى آية (قل إنما الآيات عند الله) ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لأحد في ذلك قطعاً (وإنما أنا نذير مبين) ليس من شأنى إلا الإنذار بما أوتيت من الآيات (أو لم يكفهم) كلام مستأنف وارد من جمته تعالى رداً على اقتراحهم وبياناً لبطلانه والهمزة الإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات (أنا أنزلنا عليك الكتاب) الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل عن مدارستها وممارستها (يتلى عليهم) في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان أو يتلى على اليهود بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك (إن في ذلك) الكتاب العظيم

قُلْ كَفَى بِاللّٰهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَالَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوْا بِاللّٰهِ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ ﴿٥٢﴾

٢٩ العنكبوت

وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْ لَا اَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ ﴿٥٣﴾

٢٩ العنكبوت

يَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْعَذَابِ وَاِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيْطَةٌ بِالْكَافِرِيْنَ ﴿٥٤﴾

٢٩ العنكبوت

الشان الباقي على مر الدهور (لرحمة) أى نعمة عظيمة (وذكرى) أى تذكرة (لقوم يؤمنون) أى لقوم مهمهم الإيمان لا التمتع كأوائك المقترحين وقيل إن ناساً من المؤمنين أتوا رسول الله ﷺ بكتف فيها بعض ما يقوله اليهود فقال كفى بها ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبهم إلى ما جاء به غير نبهم فزلت ٥٢ (قل كفى بالله بئني وبينكم شهيداً) بما صدر عني وعنكم (يعلم ما في السموات والأرض) أى من الأمور التي من جملتها شأني وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيداً (والذين آمنوا بالباطل) وهو ما يعبد من دون الله تعالى (وكفروا بالله) مع تعاضد موجبات الإيمان به (أولئك هم الخاسرون) المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان بأن ضيعوا الفطرة الأصلية والأدلة السمعية الموجبة للإيمان والآية من قبيل المجادلة بالناسي هي أحسن حيث لم يصرح بنسبة الإيمان بالباطل والكفر بالله والخسران إليهم بل ذكر على مناج الإيهام كافي قوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ٥٣ (ويستعجلونك بالعذاب) على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم أمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب ونحو ذلك (ولولا أجل مسمى) قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح (لجاءهم العذاب) المعين لهم حسبما استعجلوا به قيل المراد بالأجل يوم القيامة لما روى أنه تعالى وعذر رسول الله ﷺ أن لا يعذب قومه بعذاب الاستئصال وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بأجلهم وفيه بعد ظاهر لما أنهم ما كانوا يعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به (ولياتينهم) جملة مستأنفة مبينة لما أشير إليه في الجملة السابقة من مجيء العذاب عند محل الأجل أى وبالله لياتينهم العذاب الذي عين لهم عند حلول الأجل (بغته) أى فجأة (وهم لا يشعرون) أى يأتيناه ولعل المراد يأتيناه كذلك أنه لا يأتينهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والإجابة إلى مستولهم فإن ذلك إتيان برأيهم وشعورهم لا أنه يأتينهم وهم غارون آمنون لا يخطر ونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الأمم بيانا وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون لما أن إتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل ٥٤ (يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على أن ما استعجلوه عذاب الآخرة أى يستعجلونك بالعذاب والحال أن محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم كأنه قبل يستعجلونك بالعذاب وإن العذاب لمحيط بهم أى سيحيط بهم وإنما

يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ٢٩ العنكبوت

يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ٢٩ العنكبوت

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ٢٩ العنكبوت

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

نَعَمْ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٢٩ العنكبوت

جاء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الإحاطة واستمرارها أو تنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فإن الكفر والمعاصي الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل إن الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق ولا م الكافرين إما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمرة للإشعار بعلّة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولا أولياً (يوم يغشاهم العذاب) ظرف لمضمرة قد طوى ذكره إيداناً بغاية كثرتة وفضاعته كأنه ٥٥ قبل يوم يغشاهم العذاب الذي أشير إليه بإحاطة جهنم بهم يكون من الأحوال والأحوال ما لا ينفك به المقال وقيل ظرف للإحاطة (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) أي من جميع جهاتهم (ويقول) أي الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة أو بعض ملائكته بأمره (ذوقوا ما كنتم تعملون) أي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب (يعبادي ٥٦ الذين آمنوا) خطاب تشریف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من إقامة أمور الدين كما ينبغي لما نفع من جهة الكفرة وإرشادهم إلى الطريق الأسلم (إن أَرْضِي واسعة فيأبى فاعبدون) أي إذا لم يتيسر لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم إظهار دينكم فهاجروا إلى حيث يتيسر لكم ذلك وعنه عليه السلام من فريدينه من أرض إلى أرض ولو كان شبراً استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف إذ المعنى إن أَرْضِي واسعة إن لم تخلصوا العبادة لي في أرض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع إقادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص (كل نفس ذائقة الموت ٥٧ ثم إلينا ترجعون) جملة مستأنفة جاء بها حثاً على المسارعة في الامتثال بالأمر أي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكرهه فراجعة إلى حكمنا وجزائنا بحسب أعمالها فن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرىء يرجعون (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبؤنهم) (من ٥٨ الجنة غرفاً) أي علالي وهو مفعول ثانٍ للتبوءة وقرىء لنبؤنهم من الثواء بمعنى الإقامة فانتصاب غرفاً حيثئذ إما بإجرائه مجرى لنزولهم أو بنزع الخافض أو بتشبيهه الظرف الموقت بالمبهم كافي قوله تعالى لا تعدن لهم صراطك المستقيم (تجري من تحتها الأنهار) صفة لغرfa (خالدين فيها) أي في الغرف أو في الجنة (نعم أجر العاملين) أي الأعمال الصالحة والخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرىء فنعم

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ٢٩ العنكبوت

وَكَايِنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ٢٩ العنكبوت

وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَسَخَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٢٩ العنكبوت

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ٢٩ العنكبوت

وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ٢٩ العنكبوت

- ٥٩ (الذين صبروا) إما صفة للعاملين أو نصب على المدح أى صبروا على أذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق (وعلى ربهم يتوكلون) أى ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون إلا على الله تعالى
- ٦٠ (وكاين من دابة لا تحمل رزقها) روى أن النبي ﷺ لما أمر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة إلى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت أى وكمن دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها أولا تدخره وإنما تصبح ولا معيشة عندها (الله يرزقها وإياكم) ثم لأنها مع ضعفها وتوكلها وإياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء فى أنه لا يرزقها وإياكم إلا الله تعالى لأن رزق الكل بأسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة (وهو السميع) المبالغ فى السمع فيسمع قولكم هذا (العليم) المبالغ فى العلم فيعلم ضمائمكم (ولئن سألتهم) أى أهل مكة (من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله)
- ٦١ إذ لا سبيل لهم إلى إنكاره ولا إلى التردد فيه (فأنى يؤفكون) إنكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم العمل بموجبه أى فكيف يصرفون عن الإقرار بتفرد تعالى فى الإلهية مع إقرارهم بتفرد تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير (الله يبسط الرزق لمن يشاء) أن يبسطه له (من عباده ويقدر له) أى يقدر لمن يشاء أن يقدر له منهم كائناً من كان على أن الضمير منهم حسب إيهام مرجعه أو يقدر لمن يبسطه له على التعاقب (إن الله بكل شىء عليم) فيعلم من يليق يبسط الرزق فيبسطه له ومن يليق بقدره فيقدره له أو فيعلم أن كلا من البسط والقدر فى أى وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما فى وقته (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله)
- ٦٢ (معترفين بأنه الموجد للسكنات بأسرها أصولها وفروعها ثم إنهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يكاد يتوهم منه القدرة على شىء ما أصلاً) (قل الحمد لله) على أن جعل الحق بحيث لا يجترأه المبطلون على حجوده وأنه أظهر حجبتك عليهم وقيل على أن عصمك من أمثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده (بل أكثرهم لا يعلمون) أى شيئاً من الأشياء فذلك لا يعلمون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه أخس مخلوقاته وقيل لا يعلمون ما تريد بتحميدك عند مقامك ذلك .

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ ٢٩ العنكبوت

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ تَخْلُصِينَهُ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ٢٩ العنكبوت

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ٢٩ العنكبوت

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ

يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ٢٩ العنكبوت

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ ٢٩ العنكبوت

- (وما هذه الحياة الدنيا) إشارة تحقير وازدراء الدنيا وكيف لا وقد قال رسول الله ﷺ لو كانت الدنيا
 ٦٤ تزن عند الله جناح بعوضة ماسق الكافر منها شربة ماء (إلا هو ولعب) أى إلا كما يلعب ويلعب به الصبيان
 يجتمعون عليه ويبتجعون به ساعة ثم يتفرقون عنه (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان) أى لهى دار الحياة
 الحقيقية لا متناع طريان الموت والفناء عليها أو هى فى ذاتها حياة للبالغة والحيوان مصدر حي سمي به
 ذو الحياة وأصله حيوان فقلبت الياء الثانية واوألما فى بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم
 للحيوان ولذلك اختير على الحياة فى هذا المقام المقتضى للبالغة (لو كانوا يعلمون) أى لما آثروا عليها الدنيا
 التى أصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال (فإذا ركبوا فى الفلك)
 ٦٥ متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعذب بنفسه كما فى قوله تعالى
 والخيول والبغال والحمير ليركبوها واستعماله ههنا فى أمثاله بكلمة فى للإبذان بأن المركوب فى نفسه من قبيل
 الأمكنة وحركته قسرية غير إرادية كما مر فى سورة هود والمعنى أنهم على ما وصفوا من الإشراف إذا ركبوا
 فى البحر ولقوا شدة (دعوا الله تخلصينهم له الدين) أى كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين حيث
 لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد عنهم إلا هو (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون)
 ٦٦ أى فاجتو المعادة إلى الشرك (ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا) أى فاجتو الإشراف ليكونوا كافرين
 بما آتيناهم من نعمة الإنجاء التى حقها أن يشكروها (فسوف يعلمون) أى عاقبة ذلك وغائلته حين يرون العذاب
 (أو لم يروا) أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا (أنا جعلنا) أى بلدنا (حرما آمنا) مصوناً من النهب والتعدى
 ٦٧ سالماً أهله من كل سوء (ويخطف الناس من حولهم) أى والحال أنهم يختلسون من حولهم قتلا وسبياً
 إذ كانت العرب حوله فى تغاور وتناهب (أفبالباطل يؤمنون) أى أبعد ظهور الحق الذى لا ريب فيه
 بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق (وبنعمة الله يكفرون) وهى المستوجبة للشكر حيث يشركون به
 ٦٨ غيره وتقديم الصلة فى الموضعين لإظهار كمال شناعة ما فعلوا (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) بأن

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٩﴾

وعم أن له شريكا أى هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبك النظم دالا على نفي الأظلم من غير تعرض
 • لنفي المساوى وقد مر مراراً (أو كذب بالحق لما جاءه) أى بالرسول أو بالقرآن وفى لما تسفيه لهم
 بأن لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا إلى التكذيب أثر ذى أثر (أليس فى جهنم مثوى
 للكافرين) تقرير لثوابهم فيها كقول من قال [الستم خير من ركب المطايا] أى ألا يستوجبون الثواب
 فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح أو إنكاروا استبعاد لا جرائهم
 على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة أى ألم يعلموا أن فى جهنم مثوى للكافرين حتى
 ٦٩ اجترأوا هذه الجراءة (والذين جاهدوا فىنا) أى فى شأننا ولو جهنا خالصاً أطلق المجاهدة ليعم جهاد
 الأعداء الظاهرة والباطنة (لنهديهم سبلنا) سبل السير إلينا والوصول إلى جنبنا أو لنزيدهم هداية إلى
 سبل الخير وتوفيقها لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه
 • الله علم ما لم يعلم (وإن الله لمع المحسنين) معية النصر والمعونة . عنه عليه السلام من قرأ سورة العنكبوت كان له
 من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين .

٣٠ - سورة الروم

(مكية وهي ستون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٠ الروم

الْم

٣٠ الروم

غَلَبَتِ الرُّومُ

٣٠ الروم

فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ

٣٠ الروم

فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ

(سورة الروم)

مكية إلا قوله فسبحان الله الآية . وهي ستون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) (الم) الكلام فيه كالذي مرفى أمثاله من القوايح الكريمة (غلبت الروم) ٢، ١ (في أدنى الأرض) أى أدنى أرض العرب منهم إذ هى الأرض المعهودة عندهم وهى أطراف الشام ٣ أوفى أدنى أرضهم من العرب على أن اللام عوض عن المضاف إليه قال مجاهد وهى أرض الجزيرة وهى أدنى أرض الروم إلى فارس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الأردن وفلسطين وقرىء أدانى الأرض (وم) أى الروم (من بعد غلبهم) أى من بعد مغلوبيتهم وقرىء بسكون اللام وهى لغة كالجلب والجلب (سيغلبون) أى سيغلبون فارس (في بضع سنين) روى أن فارس غزوا الروم فوافوهم ٤ بأذعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشتوا بالمسلمين وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ونحن وأميون وقد ظهر لإخواننا على إخوانكم فلنظفروا عليكم فقال أبو بكر رضى الله عنه لا يقرر الله أعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له أبى بن خلف اللعين كذبت أجمل يئتنا أجلا أنا جيك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل منهما وجعلا الأجل ثلاث سنين فأخبر به أبو بكر رسول الله ﷺ فقال البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزيدوه في الخطر وماده في الأجل لجمعها مائة قلوص إلى تسع سنين ومات أبى من جرح رسول الله ﷺ وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديدية وقيل كان النصر للفرقيين يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبى لجأ به رسول الله ﷺ فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار وهذه الآيات من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث أخبرت عن الغيب الذى لا يعلمه إلا العالم الحكيم وقرىء غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون على البناء للمفعول والمعنى أن الروم

٣٠ الروم

يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾

٣٠ الروم

وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

٣٠ الروم

يَعْلَمُونَ ظَهَرَ مِنْ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ﴿٧﴾

غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزا هم المسلمون في السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم بإضافة الغلب حينئذ إلى الفاعل (فه الأمر من قبل ومن بعد) أى فى أول الوقتين وفى آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كأنه قيل من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى أن كلام من كونهم مغلوبين أولاً وغالبين آخرأ ليس إلا بأمر الله تعالى وقضائه وتلك الأيام نداؤها بين الناس وقرىء من قبل ومن بعد بالجزم من غير تقدير مضاف إليه واقتطاعه كأنه قيل قبلاً وبعداً بمعنى أولاً وآخرأ (ويومئذ) أى يوم إذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم (بفرح المؤمنين) (ينصر الله) وتغلبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيط من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله إظهار صدق المؤمنين فيما أخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل نصره تعالى أنه ولي بعض الظالمين بعضاً وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا وفل كل منهم شوكة الآخر وفى ذلك قوة وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو الأنسب لقوله تعالى (ينصر من يشاء) أى من يشاء أن ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فإنه استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى (فه الأمر من قبل ومن بعد) (وهو العزيز) المبالغ فى العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء أن ينصر عليه كائناً من كان (الرحيم) المبالغ فى الرحمة فينصر من يشاء أن ينصره أى فريق كان والمراد بالرحمة هى الدنيوية أما على القراءة المشهورة فظاهر لما أن كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الآخروية وأما على القراءة الأخيرة فلأن المسلمين وإن كانوا مستحقين لها لكن المراد ههنا نصرهم الذى هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه فى الاعتبار (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لأن ما قبله فى معنى الوعد كأنه قيل وعد الله وعدأ (لا يخلف الله وعده) أى وعد كان بما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالة الكذب عليه سبحانه وإظهار الاسم الجليل فى موقع الإضمار لتعميل الحكيم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز أن تكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كأنه قيل وعد الله وعدأ غير مخلف (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أى ماسبق من شئونه تعالى (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملذذاتها وسائر أحوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لأهوائهم المستدعية لآنها كمهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل فإنهما ليسما علموه منها بل من أفعالهم المنزبة على علومهم وتنكير ظاهراً للتحقير والتخسيس

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾

٣٠ الروم

- دون الواحدة كما توهم أى يعلمون ظاهراً حقيراً خسيساً من الدنيا (وهم عن الآخرة) التى هى الغاية القصوى والمطلب الأسنى (هم غافلون) لا يخطرورنها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يودى إلى معرفتها *
- من أحوالها ولا يتفكرون فيها كما سيأتى والجملة معطوفة على يعلمون وإيرادها اسمية الدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية تكرير للأولى أو مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الأولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الآخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة تقريراً لجهالتهم وتشبيهاً لهم بالبهائم المقصور إدراكاتها من الدنيا على ظواهرها الخسيسة دون أحوالها التى هى مبادئ العلم بأمور الآخرة وإشعاراً بأن العلم المذكور وعدم العلم رأساً سيان (أولم يتفكروا) إنكار واستقباح لقصر ٨
- نظرم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى (فى أنفسهم) ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة كونه فى غيرها لتحقيق أمره وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى (ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما) الخ متعلق إما
- بالعلم الذى يؤدى إليه التفكر ويدل عليه أو بالقول الذى يترتب عليه كما فى قوله تعالى ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً أى أعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط أو أقصروا النظر عليه ولم يحدثوا التفكر فى قلوبهم فاعلموا أنه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التى هم من جملتها
- ملتبسة بشئ من الأشياء (إلا) ملتبسة (بالحق) أو يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه لئلا يثار ما علوه *
- والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق أن يثبت لا محالة لا يثنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذى هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها وأحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلوه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة أخباره التى من جملتها إحيائهم بعد الفناء بالحياة الأبدية ومجازاتهم بحسب أعمالهم غيب ماتبين المحسن من المسىء وامتازت درجات أفراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على أنظارهم فيما نصب فى المصنوعات من الآيات والدلائل والآمارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسرهُ ﷺ بقوله أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله وقدم تحقيقه فى أوائل سورة هود عليه السلام
- وقوله تعالى (وأجل مسمى) عطف على الحق أى وبأجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من أن تنتهى *
- إليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة هذا وقد جوز أن يكون قوله تعالى فى أنفسهم صلة للتفكر على معنى أولم يتفكروا فى أنفسهم التى هى أقرب المخلوقات إليهم وهم أعلم بشئونها وأخبر بأحوالها منهم بأحوال ما عداها فتدبروا ما أودعها الله تعالى ظاهراً وباطناً من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الإهمال

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا
الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِيَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٠﴾

٣٠ الروم

ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَفْتَوْا السَّوْءَ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ٣٠ الروم

- وأنه لا بد لها من انتهاء إلى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر أمرها على الإحسان إحساناً وعلى الإساءة
مثلاً حتى يعلموا عند ذلك أن سائر الخلائق كذلك أمرها جار على الحكمة والتدبير وأنه لا بد
لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت وأنت خير بأن أمر معاد الإنسان ومجازاته بما عمل من الإساءة
والإحسان هو المقصود بالذات والمحتاج إلى الإثبات لجعله ذريعة إلى إثبات معاد ما عداه مع كونه
بمعدل من الجزاء تمكيس الأمر فتدبر وقوله تعالى (وإن كثيراً من الناس ب لقاء ربهم لكافرون)
تذييل مقرر لما قبله ببيان أن أكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن أحوال الآخرة والإعراض
عن التفكير فيما يرشدهم إلى معرفتها من خلق السموات والأرض وما بينهما من المصنوعات بل هم
منكرون جاحدون ب لقاء حسابته تعالى وجزائه بالبعث (أولم يسيرا) توبيخ لهم بعدم اتعاظهم بمشاهدة
أحوال أمثالهم الدالة على طاعتهم وما لهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام
أى أقعدوا فى أما كنهم ولم يسيرا (فى الأرض) وقوله تعالى (فينظروا) عطف على يسيرا داخل فى
حكم التقرير والتوبيخ والمعنى أنهم قد ساروا فى أقطار الأرض وشاهدوا (كيف كان عاقبة الذين من
قبلهم) من الأمم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى (كانوا أشد منهم قوة) الخ بيان لمبدأ أحوالهم
وما لها يعنى أنهم كانوا أقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا أشد منهم قوة (وأثاروا الأرض)
أى قلبوها للزراعة والحرق وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك (وعمروها) أى عمرها
أولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبناء وغيرها مما يعد عمارة لها (أكثر مما عمروها) أى
عمارة أكثر كما وكيفاً وزماناً من عمارة هؤلاء إياها كيف لا وهم أهل واد غير ذى زرع لا تبسط لهم
فى غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم إذ
مدار أمرها على التبسط فى البلاد والتسلط على العباد والتقلب فى أكناف الأرض بأصناف التصرفات
وهم ضعفة ملجئون إلى واد لا تنفع فيه يخافون أن يتخطفهم الناس (وجاءتهم رسالهم بالبينات)
بالمعجزات أو الآيات الواضحات (فما كان الله ليظلمهم) أى فكذبوهم فأهلكهم فما كان الله ليهلكهم من
غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم مع أن إهلاكه تعالى إياهم بلا جرم ليس من الظلم فى
شئ على ما تقرر من قاعدة أهل السنة لإظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بإبرازه فى معرض ما يستحيل
صدوره عنه تعالى وقد مر فى سورة الأنفال وسورة آل عمران (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بأن
اجترأوا على اقتراف ما يوجب من المعاصى العظيمة (ثم كان عاقبة الذين أساءوا) أى عملوا السيئات

٣٠ الروم

اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

٣٠ الروم

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾

٣٠ الروم

وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾

٣٠ الروم

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومَذِّبَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾

٣٠ الروم

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

وضع الوصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالإساءة والإشعار بعلّة الحكم (السوأي) أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات وأفظها التي هي العقوبة بالنار فإنما تأنيث الأسوأ كالحسنى تأنيث الأحسن أو مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كأنها نفس السوأي وهي مرفوعة على أنها اسم كان وخبرها عاقبة وقرىء على العكس وهو أدخل في الجزالة وقوله تعالى (أن كذبوا بآيات الله) علة لما أشير إليه من تعذيبهم الدنيوى والأخروى أى لأن كذبوا أو بأن كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام ومعجزاته الظاهرة على أيديهم وقوله تعالى (وكانوا بها يستهزئون) عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وإيراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل وقيل (الله يبدأ الخلق) أى ينشئهم (ثم يعيده) بعد الموت بالبعث (ثم إليه ترجعون) إلى موقف الحساب ١١ والجزاء والالتفات للبالغة في الترهيب وقرىء بالياء (ويوم تقوم الساعة) التي هي وقت إعادة الخلق ١٢ ورجعهم إليه (يبلس المجرمون) أى يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال ناظرته فأبلس إذا سكنت وأيس من أن يحتج وقرىء بفتح اللام من أبلسه إذا ألجمه وأسكته (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) يحير ونهم ١٣ من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع أى لم يكن لواحد منهم شفيع أصلا (وكانوا بشركائهم كافرين) أى بالهيتهم وشركتهم لله سبحانه حيث وقفوا على كنه أمرهم وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وليس بذلك إذ ليس في الإخبار به فائدة يعتد بها (ويوم تقوم الساعة) أعيد لتمويله وتفضيع ما يقع فيه وقوله تعالى (يومئذ يتفرقون) تهويل له لآثر تهويل وفيه رمز إلى أن التفرق يقع في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم وإعادتهم ورجعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم إلى فريقين المؤمنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) تفصيل وبيان ١٥ لأحوال ذينك الفريقين والروضة كل أرض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال حبره إذا سره سرور آتمل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحجير التحسين واختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسارفعن ابن عباس ومجاهد بكرمون وعن قتادة

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِفَآيَتِنَا وَلِقَآئِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ٣٠ الروم

فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ٣٠ الروم

وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ٣٠ الروم

ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن بكر بن عباس التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي ﷺ أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم أعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال ﷺ يا أعرابي إن في الجنة لنهرأ حافتاها لأبكار من كل بيضاء خوصانية يتغنين بأصوات لم يسمع الخلاق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت أبا الدرداء رضى الله عنه بم يتغنين قال بالتسبيح وروى إن في الجنة لا شجارا عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك الاجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لما اتوا طربا (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا) التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل (ولقاء الآخرة) ١٦ صرح بذلك مع اندارجه في تكذيب الآيات للاعتناء بأمره وقوله تعالى (فأولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب بآياته تعالى وبلقاء الآخرة للإبذان بكال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالشار إلى الإشعار ببعد منزلاتهم في الشر أى أولئك الموصوفون بما فصل من القبايح (في العذاب محضرون) على الدوام ١٨، ١٧ لا يغيبون عنه أبداً (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) (وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون) إثر ما بين حال فريقي المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالآيات والماله من الثواب والعذاب أمروا بما ينجي من الثاني ويفضى إلى الأول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى على نعمه العظام وتقديم الأول على الثاني لما أن النخلة متقدمة على النخلة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أى إذا علمتم ذلك فسيحوا الله تعالى أى نزوه عما ذكر سبحانه أى تسبيحه اللائق به في هذه الأوقات واحمدوه فإن الإخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من أهل السموات والأرض في معنى الأمر به على أبلغ وجه وأكده وتوسيطه بين أوقات التسبيح للاعتناء بشأنه والإشعار بأن حقهما أن يجمع بينهما كما ينبغي عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك وقوله ﷺ من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر وقوله ﷺ من قال حين يصبح وحين يمسى سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه وقوله ﷺ كلتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات والأحاديث وتخصيصهما بتلك الأوقات للدلالة على أن ما يحدث فيها من آيات قدرته وأحكام

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٢٠﴾ ٣٠ الروم

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢١﴾ ٣٠ الروم

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ ٣٠ الروم

رحمته ونعمته شواهد ناطقة بنزله تعالى واستحقاقه الحمد وموجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى وعشياً عطف على حين تسمون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الأسلوب لما أنه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك أنه ليس من الأوقات التي تختلف فيها أحوال الناس وتتغير تغيراً ظاهراً أم صريحاً لو صفهم بالخروج عما قبلها والدخول فيها كالآوقات المذكورة فإن كلا منها وقت تتغير فيه الأحوال تغيراً ظاهراً أما في المساء والصباح فظاهر وأما في الظهيرة فلا نها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب القليلة كما مر في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلاة لا شتمها عليهم ما قد روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الآية جامعة للصلوات الخمس تسمون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشياً صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك ذهب الحسن إلى أنها مدنية إذ كان يقول إن الواجب بمكة ركعتان في أي وقت اتفقنا وإنما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على أنها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي آخره من خمس صلوات كل يوم وليلة . عن النبي ﷺ من سره أن يكال له بالقفيز الأول في قليل فسيبحان الله حين تسمون وحين تصبحون الآية وعنه ﷺ من قال حين يصبح فسيبحان الله حين تسمون وحين تصبحون إلى قوله تعالى وكذلك تخرجون أدرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي أدرك ما فاته في ليلته وقرى حين تسمون وحين تصبحون أي

- ١٩ تسمون فيه وتصبحون فيه (يخرج الحي من الميت) كالإنسان من النطفة والطير من البيضة (ويخرج الميت من الحي) النطفة والبيضة من الحيوان (ويحيي الأرض) بالنبات (بعدها موتها) يبسها (وكذلك) ومثل ذلك الإخراج (تخرجون) من قبوركم وقرى تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع تفصيل لقوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده (ومن آياته) الباهرة الدالة على أنكم تبعثون دلالة أوضح مما سبق فإن دلالة بدء خلقهم على إعادتهم أظهر من دلالة إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي ومن دلالة إحياء الأرض بعد موتها عليها (أن خلقكم) أي في ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مراراً من أن خلقه ﷺ منطوقاً على خلق ذرياته انطواءً إجمالياً (من تراب) لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما أنتم عليه في ذاتكم وصفاتكم (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) أي فاجأتكم بعد ذلك وقت كونكم بشراً تنتشرون في الأرض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الآية (ومن آياته) الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء (أن خلق لكم) أي ٢١

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ السِّنِّكُمْ وَالْوَلَدِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

٣٠ الروم

لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

لأجلكم (من أنفسكم أزواجاً) فإن خلق أصل أزواجكم حواء من ضلع آدم عليه السلام متضمن لخلقهم من أنفسكم على ما عرفته من التحقيق أو من جنسكم لا من جنس آخر وهو الأوفق لقوله تعالى (لتسكنوا إليها) أي لتألفوها وتميلوا إليها ولطمثنوا بها فإن المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما أن المخالفة من أسباب التفرق والتنافر (وجعل بينكم) أي بين الأزواج إما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب أو على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور أي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى لا تفرق بين أحد من رسله وقيل أو بين أفراد الجنس أي بين الرجال والنساء وبأباه قوله تعالى (مودعة ورحمة) فإن المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعاً أي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم تواداً وتراحماً من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة أو رحم قبل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا (إن في ذلك) أي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار ببعد منزلته (لآيات) عظيمة لا يكتنه كمها كثيرة لا يقادر قدرها (لقوم يتفكرون) في تضاعيف تلك الآفاعيل المتينة المبنية على الحكم الباقية والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على أن ما ذكر ليس بآية فذة كما ينبغي عنه قوله تعالى ومن آياته بل هي مشتملة على آيات شتى (ومن آياته) الدالة على ما ذكر من أمر البعث وما يتلوه من الجزاء (خلق السموات والأرض) إماماً من حيث إن القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها أظهر قدرة على إعادة ما كان حياً قبل ذلك وإماماً من حيث إن خلقهما وما فيهما ليس إلا لمعاش البشر ومعاذه كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً وقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليلوكم أيكم أحسن عملاً (واختلاف السننكم) أي لغاتكم بأن علم كل صنف لغته وألهمه وضعها وأقدره عليها أو أجناس نطقكم وأشكاله فإنك لا تكاد تسمع منطقتين متساويتين في الكيفية من كل وجه (وألوانكم) بدياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما أو تخطيطات الأعضاء وهيئاتها وألوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الأشخاص حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور المتلاقية لها في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وإن كانا في غاية التشابه وإنما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والأرض مع كونه من الآيات الأنفسية الحقيقية بالنظام في سلك ما سبق من خلق أنفسهم وأزواجهم للإيدان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تيمات خلقهم (إن في ذلك) أي فيما ذكر من خلق السموات والأرض واختلاف اللسنة والألوان (لآيات) عظيمة في أنفسها كثيرة في عددها (للعالمين) أي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها

وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾

٣٠ الروم

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

٣٠ الروم

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ
تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

٣٠ الروم

- إلا العالمون وقرى بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على أحد من الخلق
كافة (ومن آياته منامكم بالليل والنهار) لاستراحة القوى النفسانية وتقوى القوى الطبيعية (وابتغواكم
٢٣ من فضله) فيهما إبان كلام المنام وابتغاء الفضل يقع في الملوك وإن كان الأغلب وقوع الأول في الأول
والثاني في الثاني أو منامكم بالليل وابتغواكم النهار كما هو الممتد والموافق لساير الآيات الواردة في ذلك
خلا أنه فصل بين القرنين الأولين بالقرنين الآخرين لأنهما زمان والزمان مع ما وقع فيه كشمس
واحد مع إعادة اللف على الاتحاد (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) أى شأنهم أن يسمعوا الكلام
سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شئونه تعالى (ومن
٢٤ آياته يريكم البرق) الفعل إما مقدر بأن كما في قول من قال [ألا بهذا الزاجرى أحضر الوغى] أى أن
أحضر أو منزل منزلة المصدر به فسر المثل المشهور تسمع بالمعدي خير من أن تراه أو هو على حاله صفة
لحذوف أى آية يريكم بها البرق كقول من قال [وما الدهر إلا نار تان فنهما] أموت وأخرى أبتغى العيش
أكدح] أى فنهما تارة أموت فيها وأخرى أبتغى فيها أو ومن آياته شيء أو سبحانه يريكم البرق (خوفا)
من الصاعقة أو للمسافر (وطمعا) في الغيث أو للقيم ونصيبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فإن
إراءتهم البرق مستلزم لقرؤيتهم إياه أو للذكور نفسه على تقدير مضاف نحو إراءة خوف وطمع أو على
تأويل الخوف والطمع بالإخافة والإطماع كقولك فعلته رغما للشيطان أو على الحال نحو كلمته شفاها
(وينزل من السماء ماء) وقرى بالتخفيف (فيحيى به الأرض) بالنبات (بعد موتها) يبسها (إن في ذلك
لآيات لقوم يعقلون) فإنها من الظهور بحيث يكفي في إدراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط
أسبابها وكيفية تكوينها (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) أى بإرادته تعالى لقيامهما والتعبير عنها
٢٥ بالامر للدلالة على كمال القدرة والغنى عن المبادئ والأسباب وليس المراد بإقامتهما إنشاءهما لانه قد بين حاله
بقوله تعالى ومن آياته خلق السموات والأرض ولا إقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فإن ذلك من تلمات
إنشائها وإن لم يصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية
٨ - أبى السعود ج ٧

٣٠ الروم

وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ﴿٣٦﴾

وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ

٣٠ الروم

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه إلى أجلهما الذي نطق به قوله تعالى فيما قبل ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود أخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر أيضاً فقبل (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) فإنه كلام مسوق للإخبار بوقوع البعث ووجوده بعد انقضاء أجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كما قيل كأنه قيل ومن آياته قيام السموات والأرض على هياتهما بأمره تعالى إلى أجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم إذا دعاكم أي بعد انقضاء الأجل من الأرض وأنتم في قبوركم دعوة واحدة بأن قال أيها الموتى اخرجوا فاجانم الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ ينبعون الداعي ومن الأرض متعلق بدعاكم إذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من أسفل الوادي فطلع إلى لا تخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها

٢٦ (وله) خاصة (من في السموات والأرض) من الملائكة والثقلين خلقاً وملكاً وأصراً فليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه (كل له قانتون) أي متقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شئونه تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد موتهم وتكريره لزيادة التقرير والتأكيد لما بعده من قوله تعالى (وهو أهون عليه) أي يضافه إلى قدركم والقياس على أصولكم وإلا فهم عليه سواء وقيل أهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه إلى الإعادة لما أنها مؤولة بأن يعيد وقيل هو راجع إلى الخلق وليس بذلك وأما ما قيل من أن الإنشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والإعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتماً فكان أقرب إلى الحصول من الإنشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبممول من التحصيل إذ ليس المراد بأهوية الفعل أقرينته إلى الوجود باعتبار كثرة الأمور الداعية للفاعل إلى إيجاد وقوة اقتضاها لتعلق قدرته به بل أسهلية تأتبه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجباً بالغير ولا تفاوت في ذلك بين أن يكون ذلك التعليق بطريق الإيجاب أو بطريق الاختيار (وله المثل الأعلى) أي الوصف الأعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يداها فضلاً عما يساويها ومن فسره بقول لا إله إلا الله أراد به الوصف بالواحدانية (في السموات والأرض) متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى أنه تعالى قد وصف به وعرف فيهما على السنة الخلاق والسنة الدلائل وقيل متعلق بالأعلى وقيل بمحذوف هو حال منه أو من المثل أو من ضميره في الأعلى (وهو العزيز) القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن وإعادته

ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَارَزَقْنَكُمْ فَآتَتْكُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ تَخِيفَتَكُمُ أَنْفُسُكُمْ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ٣٠ الروم
بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ٣٠ الروم

- (الحكيم) الذي يجرى الأفعال على سنن الحكمة والمصلحة (ضرب لكم مثلا) يتدين به بطلان الشرك (من أنفسكم) أي منزعا من أحوالها التي هي أقرب الأمور إليكم وأعرفها عندكم وأظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الأولوية وقوله تعالى (هل لكم) الخ تصوير للمثل أي هل لكم (بما ملكت أيما نكم) من العبيد والإماء (من شركاء فيما رزقناكم) من الأموال وما يجرى مجراها بما تنصرفون فيها فمن الأولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام فقوله تعالى (فإنتم فيه سواء) تحقيق لمعنى الشركه وبيان لكونهم وشركاتهم متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على أن هناك محذوقا معطوفا على أنتم لا أنه عام للفريقين بطريق التغليب أي هل ترضون لأنفسكم والحال أن عبيدكم أمثالكم في البشرية وأحكامها أن يشاركوكم فيما رزقناكم وهو معار لكم فأنتم وهم فيه سواء تنصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم (تخافونهم) خبر آخر لأنتم أو حال من ضمير الفاعل في سواء أي تهابون أن تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم (تخيفتكم أنفسكم) أي خيفة كائنة مثل خيفتكم من الأحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية أي لا ترضون بأن يشاركوكم فيما هو معار لكم ماليكم وهم أمثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه بأيديكم ثم تعبدونه (كذلك) أي مثل ذلك التفصيل الواضح (نفصل الآيات) أي نبينها ونوضحها لا تفصيلا أدنى منه فإن التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وإبراز لا وابداء المركات على هيئة المأنوس فيكون في غاية الإيضاح والبيان (لقوم يعقلون) أي يستعملون عقولهم في تدبر الأمور وتخصيصهم بالذكر مع عموم تفصيل الآيات للكل لأنهم المنتفعون بها (بل اتبع الذين ظلموا) إعراض عن مخاطبتهم ومحاولة إرشادهم إلى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات ٢٩ واستعمال المقدمات الحققة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كأنه قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة بل اتبعوا (أهواءهم) الزائفة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بأنهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشئ في غير موضعه أو ظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد (بغير علم) أي جاهلين يبطلان ما أتوا مكبين عليه لا يوليهم عنه صارف حسبما يصرف العالم إذا اتبع الباطل عليه يبطلانه (فمن يهدي من أضل الله) أي خلق فيه الضلال بصرف اختياره إلى كسبه أي لا يقدر على هدايته أحد (وما لهم) أي لمن أضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى (من ناصرين) يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم من تبعائه وآفاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَافِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

٣٠ الروم

مُنْبِيِّينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾

٣٠ الروم

مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلٌّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

٣٠ الروم

٣٠ (فأقم وجهك للدين) تمثيل لإقباله على الدين واستقامته وثباته عليه واهتمامه بترتيب أسبابه فإن من أهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد إليه نظره وقوم له وجهه مقبلاً به عليه أى فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يميناً وشمالاً وقوله تعالى (حنيفاً) حال من المأمور أو من الدين (فطرة الله) الفطرة الخلقة وانتصابها على الإغراء أى الزموا أو عليكم فطرة الله فإن الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منييين والافراد فى أقم لما أن الرسول ﷺ إمام الأمة فأمره ﷺ مستتب لا مرمم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الإخلال به باتباع الهوى وتسويل الشياطين وقيل على المصدر أى فطر الله فطرة وقوله تعالى (التي فطر الناس عليها) صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالأمر فإن خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمسكهم من إدراكه أو عن ملة الإسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعاً فإنهم لو خلوا وما خلقوا عليه أدى بهم إليها وما اختاروا عليها ديناً آخر ومن غوى منهم فياغوا شياطين الإنس والجن ومنه قوله ﷺ حكاية عن رب العزة كل عبادى خلقت حنفاء فاجتالهم الشياطين عن دينهم وأمرهم أن يشركوا بى غيرى وقوله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى (لا تبدل خلق الله) تعليل للأمر بلزوم فطرته تعالى أو لوجوب الامتثال به أى لاصحة ولا استقامة لتبديله بالإخلال بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر أحد على أن يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بإزالتها رأساً ووضع فطرة أخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق والتمسك من إدراكه ضرورة أن التبديل بالمعنى الأول مقدور بل واقع قطعاً فالتعليل حينئذ من جهة أن سلامة الفطرة متحققة فى كل أحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الإخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان (ذلك) إشارة إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو إلى لزوم فطرة الله المستفاد من الإغراء أو إلى الفطرة إن فسرت بالملة والتذكير بتأويل المذكور أو باعتبار الخبر (الدين القيم) ٣١ المستوى الذى لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيصدون عنه صدوداً (منبيين إليه) حال من الضمير فى الناصب المقدر لفطرة الله أو فى أقم لعمومه الأمة حسبما أشير إليه وما بينهما اعتراض أى راجعين إليه من أناب إذا رجع مرة بعد أخرى وقوله تعالى (واتقوه) أى من مخالفة أمره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى (وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) المبدلين لفطرة الله تعالى ٣٢ تبديلاً (من الذين فرقوا دينهم) بدل من المشركين بإعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافاً فيما يعبدونه على

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

٣٠ الروم

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾

٣٠ الروم

أَمْ أُنْزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُمْ يَنْتَكُمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٢٥﴾

٣٠ الروم

وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٢٦﴾

٣٠ الروم

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

٣٠ الروم

- اختلاف أهوائهم وقائدة الإبدال التحذير عن الالتئام إلى حزب من أحزاب المشركين ببيان أن الكل على الضلال المبين وقرىء فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به (وكانوا شيعاً) أى فرقا تشايح كل منها إمامها الذى أضلها (كل حزب بما لديهم) من الدين المعوج المؤسس على رأى الزائغ والزعم الباطل (فرحون) مسرورون ظناً منهم أنه حق وأنى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعاً وقد جوز أن يكون فرحون صفة لكل على أن الخبر هو الظرف المقدم أغنى من الذين فرقوا ولا يخفى بعده (وإذا مس الناس ضر) أى شدة (دعوا ربهم منيبين إليه) راجعين إليه من ٢٣ دعاء غيره (ثم إذا أذاقهم منه رحمة) خلاصاً من تلك الشدة (إذا فريق منهم برهم) الذى كانوا دعوه منيبين إليه (يشركون) أى فاجأ فريق منهم الإشراف وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما أن بعضهم ليسوا كذلك كما فى قوله تعالى فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد أى مقيم على الطريق القصد أو متوسط فى الكفر لا نزاجاره فى الجملة (ليكفروا بما آتيناهم) اللام فيه للعاقبة وقيل للأمر التهديدى كقوله تعالى (فتمتعوا) ٢٤ غير أنه التفت فيه للبالغة وقرىء وليتمتعوا (فسوف تعلمون) عافية تتمتعكم وقرىء بالياء على أن تمتعوا ماض والانتفات إلى الغيبة فى قوله تعالى (أم أنزلنا عليهم) للإبذان بالإعراض عنهم وتعيد جناباتهم لغيرهم بطريق المباشرة (سلطاناً) أى حجة واضحة وقيل ذا سلطان أى ملكاً معه برهان (فهم ينتكلم) تكلم دلالة كافي قوله تعالى هذا كنابنا ينطق عليكم بالحق أو تكلم نطق (بما كانوا به يشركون) بأشراكهم به تعالى أو بالأمر الذى بسببه يشركون (وإذا أذقنا الناس رحمة) أى نعمة من محبة وسعة (فرحوا بها) بطراً وأشراً لا حمداً أو شكراً (وإن تصيبهم سيئة) شدة (بما قدمت أيديهم) بشؤم معاصيهم (إذا هم يقنطون) فاجتوا القنوط من رحمة تعالى وقرىء بكسر النون (أو لم يروا) أى ألم ينظروا ولم يشاهدوا (أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ٢٧ فالهم لم يشكروا ولم يحسبوا فى السراء والضراء كالمؤمنين (إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) فيستدلون

فَقَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾

٣٠ الروم

وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾

٣٠ الروم

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

٣٠ الروم

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

٣٠ الروم

- ٣٨ بها على قال القدرة والحكمة (فَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ) من الصلة والصدقة وسائر المبرات (والمسكين وابن السبيل) ما يستحقانه والخطاب للنبي ﷺ أو لمن بسط له كما تؤذن به الفاء (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) ذاته أو جهته ويقصدون بمعرفته إياه تعالى خالصاً أو جهة التقرب إليه لاجهة أخرى (وأولئك هم المفلحون) حيث حصلوا بما بسط لهم النعم المقيم (وما آتيتهم من ربا) زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرىء آتيتهم بالفتح أى غشيتهم أو رزقتهم من إعطاء ربا (ليربو في أموال الناس) ليزيد ويزكو في أموالهم (فلا يربو عند الله) أى لا يبارك فيه وقرىء لربوا أى ليزيدوا أو لتصيروا ذوى ربا
- (وما آتيتهم من زكاة يريدون وجه الله) أى تبتغون به وجهه تعالى خالصاً (فأولئك هم المضعفون) أى ذوو الأضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار أو الذين ضعفوا ثوابهم وأموالهم بالبركة وقرىء بفتح العين وفى تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ) أثبت له تعالى لوازم الألوهية وخواصها ونفاها رأساً عما اتخذوه شركاء له تعالى من الأصنام وغيرها مؤكداً بالإلكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوافق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى (سبحانه وتعالى عما يشركون) وقد جوز أن يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لأنه بمعنى من أفعاله ومن الأولى والثانية تفيضان شيوخ الحكم فى جنس الشركاء
- ٤١ والأفعال والثالثة مزيدة لتعميم المنق وكل منها مستقلة بال تأكيد وقرىء أنشركون بصيغة الخطاب (ظهر الفساد فى البر والبحر) كالجذب والموتان وكثرة الحرق والفرق وإخفاق الفاسدة ومحق البركات وكثرة المضار أو الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى البحور (بما كسبت أيدى الناس) بشؤم معاصيهم أو بكسبهم إياها وقيل ظهر الفساد فى البر بقتل قاييل أخاه هايل وفى البحر بأن جلندى

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ٣٠ الروم

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصْدَعُونَ ﴿٤٣﴾ ٣٠ الروم

مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ بِهِمْ يُمْهِدُونَ ﴿٤٤﴾ ٣٠ الروم

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ ٣٠ الروم

وَمِن ءَايَاتِهِ ۚ أَن يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ۚ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ٣٠ الروم

- كان يأخذ كل سفينة غصباً (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أى بعض جزائه فإن إتمامه فى الآخرة واللام للعة أو للعاقبة وقرىء لئذيقهم بالنون (لعلهم يرجعون) عما كانوا عليه (قل سيروا فى الأرض فانظروا ٤٢ كيف كان طاقبة الذين من قبل) ليشاهدوا آثارهم (كان أكثرهم مشركين) استئناف للدلالة على أن ما أصابهم لغزو الشرك فيما يدينهم أو كان الشرك فى أكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل منهم (فأقم وجهك للدين القيم) أى البالغ الاستقامة (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له) لا يقدر أحد على إردده (من ٤٣ الله) متعلق بآنى أو بمردلانه مصدر والمعنى لا يرد الله تعالى لتعلق إرادته القديمة بمجيئه (يومئذ يصدعون) أصله يصدعون أى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير (من كفر فعليه كفره) أى وبال كفره هو النار ٤٤ المؤبدة (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون) أى يسوون منزلاً فى الجنة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على الاختصاص (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) متعلق يصدعون وقيل يمهدون أى يتفرقون بفريق الله تعالى فريقين ليجزى كلا منهما بحسب أعمالهم وحيث كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات أبرز ذلك فى معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما أن الإثابة بطريق التفضل لا الوجوب وأشير إلى جزاء الفريق الآخر بقوله تعالى (إنه لا يحب الكافرين) فإن عدم محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة (ومن آياته أن يرسل الرياح) أى الشمال والسماء ٤٥ والجنوب فإنها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله ﷺ اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً وقرىء الریح على إرادة الجنس (مبشرات) بالمطر (وليذيقكم من رحمته) وهى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذى هو مع هبوبها واللام متعلقة يرسل وبالجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم بها وليذيقكم أو يحذوف يفهم من ذكر الإرسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لأمر آخر لا تعلق له بمنافعكم (ولتجربى الفلك) بسوقها ٤٦ (بأمره ولتبتغوا من فضله) بتجارة البحر (ولعلكم تشكرون) ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

٣٠ الروم

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾

٣٠ الروم

وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قِبَلِهِ لُمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

٣٠ الروم

- ٤٧ الغايات الجليلة (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم) كما أرسلناك إلى قومك (لجاءهم بالبينات) أي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك بيناتك والفاء في قوله تعالى (فانتقمنا من الذين أجرموا) فصيحة أي فكذبوهم فانتقمنا منهم وإنما وضع موضع ضمير الموصول للتنبيه على مكان المحذوف والإشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) مزيد تشریف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى أن ينصرهم وإشعار بأن الانتقام من الكفرة لأجله وقد يوقف على حقاً على أنه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الآية الكريمة بطريق الاعتراض بين ماسبق وما لحق من أحوال الرياح وأحكامها لإيثار الكفرة وتحذيرهم عن الإخلال بما واجب الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلمكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة بالمنوطة بإرسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل المطلوب بآلائك الآم من الانتقام (الله الذي يرسل الرياح) استئناف مسوق لبيان ما أجمل فيما سبق من أحوال الرياح (فتثير سحاباً فيبسطه) متصلاتارة (في السماء) في جوها (كيف يشاء) سائر أو واقعاً مطبقاً وغير مطبق من جانب دون جانب إلى غير ذلك (ويجعله كسفاً) تارة أخرى أي قطعاً وقرى بسكون السين على أنه مخفف جمع كسفة أو مصدر وصف به (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) في النارين (فإذا أصاب به من يشاء من عباده) أي بلادهم وأراضيهم (إذا هم يستبشرون) فاجتوا الاستبشار بمجيء الخصب (وإن كانوا) إن مخففة من إن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف أي وإن الشأن كانوا (من قبل أن ينزل عليهم) أي المطر (من قبله) تكرير للنا كيد والإيذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام بأسهم منه وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الإرسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح وأقرب من ذلك أن يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل لتفيد سرعة تقلب قلوبهم من اليأس إلى الاستبشار بالإشارة إلى غاية تقارب زمانيهما ببيان اتصال اليأس بالتزليل المتصل بالاستبشار بشهادة إذا الفجائية (لمبلسين) خبر كانوا واللام فارقة أي آيسين (فانظر إلى آثار رحمة الله) المترتبة على تنزيل المطر من النبات والأشجار وأنواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرى أثر

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ ٣٠ الروم

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ ٣٠ الروم

وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ٣٠ الروم

- بالتوحيد وقوله تعالى (كيف يحيي) أى الله تعالى (الأرض بعد موتها) فى حين النصب بنزع الخافض وكيف معلق لا نظر أى فانظر إلى إحيائه البديع للأرض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وأياً ما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التقيد لما يعقبه من أمر البعث وقرئ يحيى بالتأنيث على الإسناد إلى ضمير الرحمة (إن ذلك) العظيم الشأن الذى ذكر بعض شئونه (لحيى الموتى) لقادر على إحيائهم فإنه إحداث لمثل ما كان فى مواد أبدانهم من القوى الحيوانية كما أن إحياء الأرض إحداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية أو لحييهم البتة وقوله تعالى (وهو على كل شئ قدير) تذييل مقرر لمضمون ما قبله أى مبالغ فى القدرة على جميع الأشياء التى من جملتها إحيائهم لما أن نسبة قدرته إلى الكل سواء (ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه) أى الأثر المدلول عليه بالآثار أو النبات للمبر عنه بالآثار فإنه اسم جنس يعم القليل والكثير (مصفرأ) بعد خضرته وقد جوز أن يكون الضمير للسحاب لأنه إذا كان مصفرأ لم يطر ولا يخفى بعده واللام فى لئن موطنه للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء فى فرأوه فصبيحة واللام فى قوله تعالى (لظلوا) لام جواب القسم ساد مسد الجوابين أى وبالله لئن أرسلنا ريحاً حارة أو باردة فضربت ذرهم بالصغار فرأوه مصفرأ ليطان (من بعده يكفرون) من غير تعلم وفيه من ذمهم بعد تبيينهم وسرعة زلزلهم بين طرفى الإفراط والتفريط مالا يخفى حيث كان الواجب عليهم أن يتوكلوا على الله تعالى فى كل حال وبلغوا إليه بالاستغفار إذا احتبس عنهم القطر ولا يأسوا من دوح الله تعالى ويبادروا إلى الشكر بالطاعة إذا أصابهم برحمته ولا يفرطوا فى الاستبشار وأن يصبروا على بلائه إذا اعتري ذرهم آفة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الأمر وأبوا ما يجديهم وأنوا بما يرددهم (فإنك لا تسمع للموتى) لما أنهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق (ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) تقييد الحكم بما ذكر ليلى كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على أنهم جامعون لخصلتى سوء نبو أسمعهم عن الحق وإعراضهم عن الإصغاء إليه ولو كان فيهم أحداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جموعهما فإن الأصم المقل إلى للتكلم ربما يظن من أوضاعه وحركاته لشيء من كلامه وإن لم يسمعه أصلاً وأما إذا كان معرضاً عنه فلا يكاد يفهم منه شيئاً وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) سموا عمياً إما لفقدان المقصود الحقيقى من الإبصار أو لعمى قلوبهم وقرئ تهدى العمى (إن تسمع) أى ما تسمع (إلا من يؤمن بآياتنا) فإن إيمانهم يدعوهم إلى التدبر فيها وتلقيها بالقبول أو إلا من يعرف الإيمان بها ويقبل عليها إقبالا لا نقياً (فهم مسلمون) متقافون لما تأمرهم به من الحق

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

٣٠ الروم

وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾

٣٠ الروم

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾

٣٠ الروم

فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

٣٠ الروم

- ٥٤ (الله الذي خلقكم من ضعف) مبتدأ وخبر أي ابتداءكم بضعفاء وجعل الضعف أساس أمركم كقوله تعالى وخلق الإنسان ضعيفاً أي خلقكم من أصل ضعيف هو النطفة (ثم جعل من بعد ضعف قوة) وذلك عند بلوغكم الحلم أو تعلق الروح بأبدانكم (ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة) إذا أخذ منكم السن وقرىء بضم الصاد في الكل وهو أقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأناها على رسول الله ﷺ فأقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لأن المتقدم غير المتأخر (يخلق ما يشاء) من الأشياء التي من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة (وهو العليم القدير) المبالغ في العلم والقدرة فإن التردد فيما ذكر من الأطوار المختلفة من أوضح دلائل العلم والقدرة (ويوم تقوم الساعة) أي القيامة سميت بها لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا أو لأنها تقع بغتة وصارت علماً لها كالنجيم للثريا والكوكب للزهرة (يقسم المجرمون ما لبثوا) أي في القبور أو في الدنيا والأول هو الآخر لأن لبثهم مغيباً بيوم البعث كما سيأتي وليس لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث أربعون وهو محتمل للساعات والأيام والأعوام وقيل لا يعلم أي أربعون سنة أو أربعون ألف سنة (غير ساعة) استقلوا مدة لبثهم نسياناً أو كذباً أو تخميناً (كذلك كانوا يؤفكون) مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) في الدنيا من الملائكة والإنس (لقد لبثتم في كتاب الله) في علمه أو قضائه أو ما كتبه وعينه أو في اللوح أو القرآن وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ (إلى يوم البعث) ردوا بذلك ما قالوه وأيدوه باليمين كأنهم من فرط حيرتهم لم يدروا أن ذلك هو البعث الموهود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون أنه يكون بعد فناء الخلق كافة ويقدرّون لذلك زماناً مديداً وإن لم يعتقدوا تحققه فرد العالمون مقالهم ونههم على أنهم لبثوا إلى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها وبكتهم بالإخبار بوقوعها حيث قالوا (فهذا يوم البعث) الذي كنتم توعدون في الدنيا (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أنه حق فاستعجلون به استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قول من قال [قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا] ثم الففول فقد جئنا خراساناً [فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم] أي عذرهم وقرىء تنفع بالتاء محافظة على ظاهر اللفظ وإن توسط

٥٥

٥٦

٥٧

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا
أَنْتُمْ إِلَّا مُبْتَلَوْنَ ﴿٥٨﴾

٣٠ الروم

كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾

٣٠ الروم

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

٣٠ الروم

بينهما فاصل (ولا هم يستعجبون) لا يدعون إلى ما يقتضيه إعتابهم أى إزالة عتبتهم من التوبة والطاعة كما
دعوا إليه في الدنيا من قولهم استعجبني فلان فأعجبته أى استرضاني فأرضيته (ولقد ضربنا للناس في هذا
القرآن من كل مثل) أى وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم كل صفة كأنها في غرايتها مثل وقصصنا عليهم
كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصصهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد
اعتذارهم (ولئن جئتهم بآية) من آيات القرآن الناطقة بأمثال ذلك (ليقولن الذين كفروا) لفرط عتوم
وعنادهم وقساوة قلوبهم غاطبين للنبي ﷺ والمؤمنين (إن أنتم إلا مبطلون) أى مزورون (كذلك) ٥٨
مثل ذلك الطبع الفطري (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل
يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات ابتدعوها فإن الجمل المركب يمنع إدراك الحق ويوجب
تكذيب الحق (فاصبر) على ما تشاهد منهم من الأقوال الباطلة والأفعال السيئة (إن وعد الله حق) ٦٠
وقد وعدك بالنصرة وإظهار الدين وإعلاء كلمة الحق ولا بد من إنجازه والوفاء به لا محالة (ولا يستخفك)
لا يحملك على الخفة والقلق (الذين لا يوقنون) بما تتلو عليهم من الآيات البينة بتكذيبهم إياها وإبذانهم
لك بأباطيلهم التي من جملتها قولهم إن أنتم إلا مبطلون فإنهم شاكون ضالون ولا يستبعد منهم أمثال
ذلك وقرىء بالنون المخففة وقرىء ولا يستحقك من الاستحقاق أى لا يفتنك فيملكوك ويكونوا
أحق بك من المؤمنين وأياً ما كان فظاهر النظم الكريم وإن كان نهياً للكفرة عن استخفافه ﷺ
واستحقاقه لكنه في الحقيقة نهى له ﷺ عن التأثر من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية
كما في قوله تعالى ولا يجر منكم شأن قوم على أن لا تعدلوا. عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة الروم
كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله تعالى بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع
في يومه وليلته.

٣١ - سورة لقمان

مكية وهي أربع وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقمان ٣١

الْم ①

لقمان ٣١

تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ②

لقمان ٣١

هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ③

لقمان ٣١

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④

لقمان ٣١

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ⑤

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ

لقمان ٣١

لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ⑥

{ سورة لقمان }

- (مكية وقيل إلا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فإن وجوبها بالمدينة وهو ضعيف لأنه ينافي شرعيتها بمكة وقيل إلا ثلاثاً من قوله ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام وهي أربع وثلاثون آية)
- ٢٠١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ألم تلك آيات الكتاب) سلف بيانه في نظائره (الحكيم) أى ذى الحكمة لا شبيهه عليها أو هو وصف له بنعته تعالى أو أصله الحكيم منزله أو قائله لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فأنقلب مرفوعاً فاستكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعول قالوا أعقدت العين فهو عقيد أى معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل (هدى ورحمة) بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيها معنى الإشارة وقرئ بالرفع على أنها خبران آخران لاسم الإشارة أو مبتدأ محذوف (للبهسين) أى العاملين الحسنات فإن أريد بها مشاهيرها للمهودة فى الذين قوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله [الألمى الذى يظن بك الله ظناً كأن قدرأى وقد سما] وإن أريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لإظهار فضلها وإناقضها على غيرها وتخصيص الوجه الأول بصورة كون للوصول صفة للبهسين والوجه الأخير بصورة كونه مبتدأ عاماً لا وجه له (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم قطرى العلم والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيدة عليه (ومن الناس) على الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه

وَإِذَا تَنَزَّلَ عَلَيْهِ يَأْتِنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ لقمان

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٣١﴾ لقمان

- أو بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى (من يشتري لهو الحديث) موصولة أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو وبعض من الناس الذي يشتري أو فريق يشتري على أن مناط الإفادة والمقصود بالإصالة هو انصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآيات وهو الحديث ما يلحق بها معنى من المهمات كالأحاديث التي لا أصل لها والأساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا يخبر فيه من فضول الكلام والإضافة بمعنى من التبينة إن أريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعية إن أريد به الأهم من ذلك وقيل نزلت الآية في النضر بن الحرث اشترى كتب الأماجم وكان يحدث بها قريشاً ويقول إن كان محمد ﷺ يحدثكم بحديث حاد وثمود فانا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار والأكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهم على معاينة من أراد الإسلام ومنعه عنه (ليضل عن سبيل الله) أي دينه الحق الموصل إليه تعالى أو عن قراءة كتابه الهادي إليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء أي ليثبت ويستمر على ضلاله أو ليزداد فيه (بغير علم) أي بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل الشر بالخير المحض (ويتخذها) بالنصب عطفاً على يضل والضمير للسبيل فإنه مما يذكر ويؤنس وهو دين الإسلام أو القرآن أي ويتخذها (هرواً) مهزواً به وقرئ ويتخذها بالرفع عطفاً على يشتري وقوله تعالى (أولئك) إشارة إلى من واجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المقار إليه للإيذان ببعد منزلتهم في الشرارة أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للإضلال (لهم عذاب مهين) لما اتصفوا به من إهانتهم الحق بإثار الباطل عليه وترغيب الناس فيه (وإذا تنزل عليه) أي على المشتري ٧ أفرد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الأولى باعتبار لفظة من بعد ما جمع فيها بينهما باعتبار معناها (آياتنا) التي هي آيات الكتاب الحكيم وهدي ورحمة للمحسنين (ولي) أعرض عنها خير معتديها (مستكبراً) مبالغاً في التكبر (كان لم يسمعها) حال من ضمير ولي أو من ضمير مستكبراً والأصل كأنه لحذف ضمير القمان وخففت المثقلة أي مضى حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز إلى أن من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الأمور الموجبة للإقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال [كانك لم تخرج على ابن طريف] [كان في أذنيه وقراً] حال من ضمير لم يسمعها • أي مضى حاله حال من في أذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز أن يكونا استثنافين وقرئ في أذنيه بسكون الدال (فبشره بعذاب أليم) أي فأعلمه بأن العذاب المفرط في الإيلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال المؤمنين بآياته تعالى إثر بيان حال الكافرين بها ٨ أي الذين آمنوا بآياته تعالى وعملوا بموجبها (لهم) بمقابلة ما ذكر من إيمانهم وأعمالهم (جنت النعيم) أي

٣١ لقمان

خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾

خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَى أَنْ يَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

٣١ لقمان

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾

٣١ لقمان

هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾

- نعم جنات فمكس للبياضة والجملة خبر لأن والاحسن أن يجعل لهم هو الخبر لأن وجنات النعيم مرتفعاً به على القاطعية وقوله تعالى (خالدين فيها) حال من الضمير في لهم أو من جنات النعيم لاشتراكه على ضميريهما والعلل ما تعلق به اللام (وعده الله حقاً) مصدران مؤكداً الأول لنفسه والثاني لغيره لأن قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدم الله جنات النعيم فأكده معنى الوعد بالوعد وأما حقاً فمدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعاً لهم جنات النعيم (وهو العزيز) الذي لا يظلمه شيء ليعنه من إنجاز وعده أو تحقيق وعيده (الحكيم) الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة (خلق السموات بغير عمد) الخ استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قلعة التوحيد وتقريره وإبطال أمر الإشراك وتبكيك أهله والعمد جمع عمد كاهب جمع إهاب وهو ما يعمد به أي يستند يقال عمدت الحائط إذا دعمته أي بغير دعائم على أن الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى (ترونها) استئناف جرى به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معهود بمشاهدتهم لها كذلك أو صفة لعمد أي خلقها بغير عمد مرمية على أن التقيد للرمز إلى أنه تعالى عمدها بعمد لا ترونها هي عمد القدرة (وأتى في الأرض رواسى) بيان لصنعه البديع في قرار الأرض لإثبات صنعه الحكيم في قرار السموات أي أتى فيها جبالات ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الوعد (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم فإن بساطة أجزائها تقتضي تبدل أحيائها وأوضاعها لا متنازع اختصاص كل منها لذاته أو لشيء من لوازمه بحيث معين ووضع مخصوص (وبث فيها من كل دابة) من كل نوع من أنواعها (وأزلنا من السماء ماء) هو المطر (فأنبتنا فيها) بسبب ذلك الماء (من كل زوج كريم) من كل صنف كثير المنافع والالتفات إلى نون العظمة في الفعلين لإبراز مزيد الاعتناء بأمرها (هذا) أي ما ذكر من السموات والأرض وما تعلق بهما من الأمور المعدودة (خلق الله) أي مخلوقه (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) بما اتخذهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأروني متعلق به وقوله تعالى (بل الظالمون في ضلال مبين) لضراب عن تبكيكهم بما ذكر إلى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعي للإعراض عن غضايتهم بالمقدمات المعقولة الحق لا استحالة أن يفهموا منها شيئاً فيهدتوا به إلى العلم بطلان ما م عليه أو يتأثروا من الإلزام والتبكيك فيزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على أنهم بإشراكهم

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

لقمان ٣١

وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾

لقمان ٣١

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾

لقمان ٣١

- واضعون للشئ في غير موضعه ومتعدون عن الحدود وظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد
- (ولقد آتينا لقمان الحكمة) كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعواره من أولاد ١٢
- آزر ابن أخت أبوب عليه السلام أو خالته وعاش حتى أدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبته وقيل كان قاضياً في بني إسرائيل والجمهور على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملائكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب داود عليه السلام شهوراً وكان يسرد الدرر فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيماً وأن داود عليه السلام قال له يوماً كيف أصبحت فقال أصبحت في بدى غيرى فتفكر داود فيه فصعق صمعة وأنه أمره مولاه بأن يذبح شاة ويأتى بأطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد أيام أمره بأن يأتى بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضاً فسأله عن ذلك فقال هما أطيب شئ إذا طابا وأخبث شئ إذا خبثا ومعنى (أن اشكر الله) أى اشكر له تعالى على أن أن مفسرة فإن إيتاء الحكمة في معنى القول • وقوله تعالى (ومن يشكر) الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله موجب الامتثال بالامر أى ومن يشكر له تعالى (فإنما يشكر لنفسه) لأن منفعة التي هي ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها (ومن كفر فإن الله غنى) عن كل شئ فلا يحتاج إلى الشكر لينتضر بكفر من كفر (حميد) حقيق بالحمد وإن لم يحمده أحد أو محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكوراً لما أن الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه السلام الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فإثباته له تعالى إثبات للشكر له قطعاً (وإذ قال لقمان لابنه) أنعم وقيل ما ثاب (وهو يعظه ١٣
- يأبى) تصغير إشفاق وقرىء يا بني يأسكان الياء وبكسرهما (لا تشرك بالله) قيل كان ابنه كافراً فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لا تشرك جمل بالله قسمياً (إن الشرك لظلم عظيم) تعليل للنهى أو للاتهاء عن الشرك (ووصينا الإنسان بوالديه) الخ كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في أثناء وصية ١٤
- لقمان تأكيده لما فيها من النهى عن الشرك وقوله تعالى (حملته أمه) إلى قوله في عامين اعترض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى (وهنا) حال من أمه أى ذات وهن أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أى تن وهنا

وَأِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ
سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾

٣١ لقمان

يُنَبِّئُ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٣٢﴾

٣٢ لقمان

يُنَبِّئُ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ ﴿٣٣﴾

٣٣ لقمان

- وقوله تعالى (على ومن) صفة للبصير أي كأننا على ومن أي تضعف ضعفاً فوق ضعف فإنها لا تزال
• يتضاعف ضعفها وقرئ. وهنا على ومن بالتحريك يقال ومن يهن وهنا ومن يهن وهنا (وفضاه
في طامين) أي فطامه في تمام طامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي وعند أبي حنيفة رحمهما الله تعالى هي
• ثلاثون شهراً وقد بين وجهه في موضعه وقرئ. وفصله (أن اشكر لي ولوالديك) تفسير لوصينا وما
بينهما اعتراض مؤكداً للوصية في حقها خاصة ولذلك قال ^{بالحق} لمن قال له من أبر: أملك ثم أملك ثم أملك
ثم قال بعد ذلك ثم أباك (إلى المصير) تعليل لوجوب الامتنال أي إلى الرجوع لا إلى غيري فأجازيك
• هل ما صدر عنك من الكفر والكفر (وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به) أي بشركنه له
تعالى في استحقاق العبادة (علم فلا تطعهما) في ذلك (وصاحبهما في الدنيا معروفاً) أي صحاباً معروفاً رضي
الشرع ونقضيه المروءة (واتبع سبيل من أناب إلى) بالتوحيد والإخلاص في الطاعة (ثم إلى مرجعكم)
أي مرجعكم ومرجعهم ومرجع من أناب إلى (فأنبئكم) عند رجوعكم (بما كنتم تعملون) بأن أجازي
• ١٦ كلامكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى (يا أيها) الخ شروع في حكاية بقية وصايا لقمان إثر
تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتأكيداً بالاعتراض (إنها إن تك مثقال حبة من خردل) أي
إن الحصلة من الإساءة أو الإحسان إن تك مثلاً في الصغر كحبة الخردل وقرئ. برفع مثقال على أن
الضمير للقصة وكان تامة والتأنيث لإضافة المثقال إلى الحبة كما في قول من قال [كأشرفت صدر القناة من
• الدم] أو لأن المراد به الحسن أو السيئة (فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض) أي فتكن
مع كونها في أقصى غايات الصغر والقهارة في أخفى مكان وأحرزه بحرف الصخرة أو حيث كانت في العالم
• العلوي أو السفلي (يأت بها الله) أي يحضرها ويحاسب عليها (إن الله لطيف) يصل عليه إلى كل خفي
(خبير) بكنهه وبعد ما أمره بالتوحيد الذي هو أول ما يجب على الإنسان في ضمن النهي عن الشرك ونبيه على
قال علم الله تعالى وقدرته أمره بالصلاة التي هي أكمل العبادات تكبيلاً له من حيث العمل بعد تكبيله من
• ١٧ حيث الاعتقاد فقال مستبطلاً (يا أيها أم الصلاة) تكبيلاً لنفسك (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر)
تكبيلاً لغيرك (وأصبر على ما أصابك) من الفدائد والمحن لاسيما فيما أمرت به (إن ذلك) إشارة إلى

وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ لقمان
وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ لقمان
أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَخْرِقُكُمْ مَاءَ السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَمْسَحَ عَلَيْكُمْ لَبَنَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنُهُ
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ لقمان

كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لما مر مراراً من الإشعار ببعد منزلته في الفضل
(من هوم الأمور) أى بما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الأمور لما زيد منبتها مصدر أطلق على
المفعول وقد جرد أن يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فإذا عزم الأمر أى جد والجملة تعليل لوجوب
الامتنال بما سبق من الأمر واللهى وإيدان بأن ما بعدها ليس بمثابة (ولا تصعر خدك للناس) أى لا تمله ١٨
ولا تولم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوى
منه عنقه وقرىء ولا تصاعر وقرىء ولا تصعر من الإفعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه وأعلاه
(ولا تمش في الأرض مرحاً) أى فرحاً مصدر وقع موقع الحال أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أى
تمرح مرحاً أو لا تجل المرج والبطر (إن الله لا يحب كل مختالاً فخوراً) تعليل للنهى أو موجه وتأخير
الفخور مع كونه بمقابلة الصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشى مرحاً لرعاية الفواصل (واقصد في
مشيك) بعد الاجتناب عن المرح فيه أى توسط بين الديب والإسراع وعنه ^{١٩} سرعة المشى تذهب
بهاء المؤ من وقول مائشة في عمر رضى الله عنهما كان إذا مشى أسرع فالمراد به ما فوق ديب النماوت وقرىء
بقطع الهمة من أقصد الراعى إذا سدد سهمه نحو الرمية (واعضض من صوتك) وانقص منه واقصر
(إن أنكر الأصوات) أى أوحشها (لصوت الحمير) تعليل للأمر على أبلغ وجه وآكده مبنى على
تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالهاق وإفراط في التحذير عن رفع الصوت والتنفير
عنه وإفراد الصوت مع إضافته إلى الجمع لما أن المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من آحاد هذا
الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين أصوات سائر الأجناس وقوله تعالى (ألم تروا
أن الله يخسر لكم ما في السموات وما في الأرض) رجوع إلى سنن ما سلف قبل قصة لقمان من خطاب
المشركين وتوبيخ لهم على إصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير إما
جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له أعم من أن يكون منقاداً له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما
يريد كعامة ما في الأرض من الأشياء المسخرة للإنسان المستعملة له من الجراد والحيوان أولاً يكون
كذلك بل يكون سبباً للحصول مراده من غير أن يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات
من الأشياء التى نيطت بها مصالح العباد معاشاً ومعاداً وما جعله منقاداً للأمر مذلاً على أن معنى لكم

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ
يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾

٣١ لقمان

وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾

٣١ لقمان

وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ

٣١ لقمان

الْصُّدُورِ ﴿٢٣﴾

٣١ لقمان

نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾

- لأجلكم فإن جميع ما في السموات والأرض من الكائنات مسخر لله تعالى مستتعة لمنافع الخلق وما يستعمله الإنسان حسبما يشاء وإن كان مسخرأله بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى (وأصبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ أصيغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنت الغين أو الخاء أو القاف كما تقول في سلخ صالخ وفي سقر صقر وفي سالت صالغ وقرئ نعمه (ومن الناس من يجادل في الله) في توحيد وصفاته (بغير علم) مستفاد من دليل (ولا هدى) من جهة الرسول ﷺ (ولا كتاب منير) أنزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد (وإذا قيل لهم) أي لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى (اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا) يريدون به عبادة الأصنام (أولو كان الشيطان يدعوهم) أي آباءهم لا أنفسهم كما قيل فإن مدار إنكار الاتباع واستبعاده كون المتبعين تابعين للشيطان لا كون أنفسهم كذلك أي أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك (إلى عذاب السعير) فهم متوجهون إليه حسب دعوته والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون من سورة البقرة بما لا مزيد عليه (ومن يسلم وجهه إلى الله) بأن فوض إليه مجامع أموره وأقبل عليه بكلية وحيث عدى باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد (وهو محسن) أي في أعماله أت بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي وقدر في آخر سورة النحل (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي تعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من أراد أن يترقى إلى شاق جبل فتمسك بأوثق عرى الجبل المتدلى منه (وإلى الله) لا إلى أحد غيره (عاقبة الأمور) فيجازه أحسن الجزاء (ومن كفر فلا يحزنك كفره) فإنه لا يضرك في الدنيا ولا في الآخرة وقرئ فلا يحزنك من أحزن المنقول من حزن بكسر الزاي وليس بمستفيض (إلينا مرجعهم) لا إلى غيرنا (فننبئهم بما عملوا) في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما أن الأفراد في الأول باعتبار لفظها (إن الله عليم بذات الصدور) تلميح للتنبيه المعبر بها عن التعذيب (نمتعهم قليلاً) تمتعاً أو زماناً قليلاً فإن ما يزول وإن كان بعد أمد

وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

لقمان ٣١

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

لقمان ٣١

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

لقمان ٣١

مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

لقمان ٣١

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾

لقمان ٣١

- طويل بالنسبة إلى ما يدوم قليل (ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) يشغل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ ويضمر إلى الإحراق الضغطة والتضييق (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لغاية وضوح الأمر بحيث اضطروا إلى الاعتراف به (قل الحمد لله) على أن جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون أيضاً (بل أكثرهم لا يعلمون) شيئاً من الأشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعتراฟهم وقيل لا يعلمون أن ذلك يلزمهم (لله ما في السموات والأرض) فلا يستحق العبادة فيهما غيره (إن الله هو الغني) عن العالمين (الحمد) المستحق للحمد وإن لم يحمده أحد أو المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام) أي لو أن الأشجار أقلام وتوحيد الشجرة لما أن المراد تفصيل الأحاد (والبحر يمدّه من بعده) أي من بعد نفاد (سبعة أبحر) أي والحال أن البحر المحيط بسعته يمدّه الأبحر السبعة مداً لا ينقطع أبداً وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله (مانفدت كلمات الله) ونفدت تلك الأقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي وقرىء يمدّه من الإمداد بالياء والناء وإسناد المد إلى الأبحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه أعظم منها وأطم لأنها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية وإليها تنصب الأنهار العظام أولاً ومنها ينصب إلى البحر المحيط ثانياً وإيثار جمع الكلمة للإيذان بأن ما ذكر لا ينفك بالقليل منها فكيف بالكثير (إن الله عزيز) لا يعجزه شيء (حكيم) لا يخرج عن علمه وحكمته أمر فلا تنفذ كلماته المؤسسة عليهما (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) أي إلا خلقها وبعثها في سهولة التاني إذ لا يشغله شأن عن شأن لأن مناط وجود الكل تعلق إرادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله تعالى إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون (إن الله سميع) يسمع كل سميع (بصير) يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث (ألم تر) قيل الخطاب لرسول الله ﷺ وقيل عام لكل أحد ممن يصلح للخطاب وهو الآوفاً لما سبق وما لحق أي ألم تعلم علماً

ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣١﴾

- قوياً جانياً مجرى الرؤية (أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أى يدخل كل واحد منهما في الآخر ويضيفه إليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصاناً (وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما أن إبلاج أحد الملوك في الآخر متجدد في كل حين وأما تسخير النيران فأمر لا امدد فيه ولا تجدد وإنما التعدد والتجدد في آثاره وقد أشير إلى ذلك حيث قيل (كل يجرى) أى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الأيام جرياً مستمراً (إلى أجل مسمى) قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن رحمه الله فإنه لا ينقطع جريهما إلا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به ^{يولج} يجوز أن يكون حالاً من الشمس والقمر فإن جريهما إلى يوم القيامة من جملة ما في حيز رؤيته ^{يولج} هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والأجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة والقمر شهراً فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية إبلاج أحد الملوك في الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على مداراتها اليومية فكلما كان جريانهما متوجهاً إلى سمت الرأس تزداد القوس التي هي فوق الأرض كبراً فيزداد النهار طويلاً بانضمام بعض أجزاء الليل إليه إلى أن يبلغ المدار الذي هو أقرب المدارات إلى سمت الرأس وذلك عند بلوغها إلى رأس السرطان ثم ترجع متوجهة إلى التباعد عن سمت الرأس فلا تزال القوس التي هي فوق الأرض تزداد صغراً فيزداد النهار قصراً بانضمام بعض أجزائه إلى الليل إلى أن يبلغ المدار الذي هو أبعد المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها برج الجدى وقوله تعالى (وأن الله بما تعملون خبير) عطف على أن الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقديرى خصوص الخطاب وعمومه فإن من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير الفائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محبطاً بجلال أعماله ودقائقها (ذلك) إشارة إلى ما تلى من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلتها في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأن الله هو الحق) أى بسبب بيان أنه تعالى هو الحق إلهيته فقط ولا أجل لكونها ناطقة بحقيقة التوحيد (وأن ما يدعون من دونه الباطل) أى ولا أجل بيان بطلان إلهية ما يدعونه من دونه تعالى لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصریح بذلك مع أن الدلالة على اختصاص حقيقة الإلهية به تعالى مستنبعة للدلالة على بطلان إلهية ماعداه لإبراز كمال الاعتناء بأمر التوحيد والإيدان بأن الدلالة على بطلان ما ذكر ليست بطريق الاستنباع فقط بل بطريق الاستقلال أيضاً (وأن الله هو العلي الكبير) أى وبيان أنه تعالى هو المتفرع عن كل شيء المتسلط عليه فإن ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين لاختصاص العلم والكبرياء به تعالى أى بيان هذا وقيل ذلك أى ما ذكر من سعة العلم وشمول القدرة ومجائب الصنع واختصاص البارئ تعالى به بسبب أنه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته أو الثابت لإلهيته وأنه

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢١﴾

لقمان ٢١

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَظُلُومٍ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمْ يَنْجِهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَنُفِثَ مِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٢٢﴾

لقمان ٢٢

يُنَادِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْعًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢٣﴾

لقمان ٢٣

خير بأن حقيقته تعالى وعلوه وكبريائه وإن كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الأحكام المعدودة لكن بطلان إلهية الأصنام لا دخل له في المناطية قطعاً فلا مساغ لنظمه في سلك الأسباب بل هو تمكيس للأمر ضرورة أن الأحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لا أن بطلانها يقتضيها .

- (ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله) بإحسانه في تهيئة أسبابه وهو استنشاء آخر على باهر قدرته ٢١
وغاية حكمته وشمول إنعامه والباء إما متعلقة بتجرى أو بمقدر هو حال من فاعله أى ملتبسة بنعمته تعالى
وقرىء الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح والسكون (ليرىكم من آياته)
أى بعض دلائل وحدته وعلوه وقدرته وقوله تعالى (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) تعليل لما
قبله أى إن فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعبد
نفسه في التفكير في الأنفس والألق ويبالغ في الشكر على نعماته ومما صفتنا المؤمن فكانه قيل لكل مؤمن
(وإذا غشيهم) أى علام وأحاط بهم (موج كالظلل) كما يظل من جبل أو سحاب أو غيرهما وقرىء كالظلال ٢٢
جمع ظلة كقوله وقلال (دعوا الله مخلصين له الدين) لزوال ما ينافي الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم
من الدوام والشدة (فلما نجحهم إلى البر فمنهم مقتصد) أى مقيم على القصد السوى الذى هو التوحيد أو
متوسط في الكفر لا تزجأه في الجملة (وما يمجحد بآياتنا إلا كل ختار) غدار فإنه تقصص العهد الفطرى أو
رفض لما كان في البحر والحق أشد الغدر وأقبحه (كفور) مبالغ في كفران نعم الله تعالى (يا أيها الناس ٢٣
اتقوا ربكم وأخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده) أى لا يقضى عنه وقرىء لا يجزى من أجزأ إذا أغنى
والعائد إلى الموصوف محذوف أى لا يجزى فيه (ولا مولود) عطف على والد أو هو مبتدأ خبره (هو)
جاز عن والده شيئاً وتفسير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزى وقطع طمع من توقع من
المؤمنين أن يرفع أباه الكافر في الآخرة (إن وعد الله) بالثواب والعقاب (حق) لا يمكن إخلافه أصلاً
(فلا تغرَّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) أى الشيطان المبالغ في الغرور بأن يحملكم على المعاصى

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٤﴾

٣١ لقمان

٣٤ بتزيينها لكم وبرجيكم النوبة والمغفرة (إن الله عنده علم الساعة) علم وقت قيامها لما روى أن الحرث بن عمرو أتى رسول الله ﷺ فقال متى الساعة وإنى قد ألقيت حباتى فى الأرض فتى السماء تمطر وحمل امرأتى ذكر أم أثنى وما أعمل غداً وابن أموت فنزلت وعنه ﷺ مفاتيح الغيب خمس وتلا هذه الآية (وينزل الغيث) فى إبانته الذى قدره وإلى محله الذى عينه فى علمه وقرىء ينزل من الإنزال (ويعلم ما فى الأرحام) من ذكر أو أثنى تام أو ناقص (وما تدرى نفس) من النفوس (ماذا تكسب غداً) من خير أو شر وربما تعزم على شيء منهما فتفعل خلافه (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) كما لا تدرى فى أى وقت تموت . روى أن ملك الموت مر على سليمان عليهما السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديهم النظر إليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كأنه يريدنى فرأى الريح أن تحملنى وتلقينى ببلاد الهند ففعل ثم قال الملك لسليمان عليهما السلام كان دوام نظرى إليه تعجباً منه حيث كنت أمرت بأن أقبض روحه بالهند وهو عندك ونسبة العلم إلى الله تعالى والدراية إلى العبد للإيدان بأنه إن أعمل حيله وبذل فى التعرف وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وطاقته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرىء بأية أرض وشبهه سيويه تأنيهاً بتأنيث كل فى كلتن (إن الله عليم) مبالغ فى العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الأشياء التى من جملتها ما ذكر (خبير) يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها . عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقاً يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشرة بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر .

٣٢ — سورة السجدة

(مكية وآياتها ثلاثون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٢ السجدة

الْم

٣٢ السجدة

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ

٣٢ السجدة

يَهْتَدُونَ ﴿٣٣﴾

(سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الم) إما اسم للسورة فحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي هذا يسمى بـ الم والإشارة إليها قبل جريان ذكرها قد عرفت سرها وإما مسرود على نط التعديد فلا محل له من الإعراب وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) على الأول خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول
- ٢ مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ محذوف أي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر الم أي المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مراراً أن ما يجعل عنواناً للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الاتساع إليه وإذ لا عهد بالتسمية قبل لحقها الإخبار بها وقوله تعالى (لا ريب فيه) خبر ثالث على الوجه الأول وثان على الأخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى (من رب العالمين) متعلق بضمير هو حال من الضمير المجرور أي كأننا منه تعالى لا بتنزيل لأن المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر والأوجه حينئذ أنه الخبر ولا ريب فيه حال من الكتاب أو اعتراض والضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لا ريب في ذلك أي في كونه منزلاً من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى (أم يقولون افتراه) فإن قولهم هذا إنكار منهم لكونه من رب العالمين فلا بد أن يكون موده حكماً مقصود الإفادة لا قيداً للحكم بنفي الريب عنه وقد رد عليهم ذلك وأبطل حيث جرى بأم المنقطعة إنكاراً له وتعميماً منه لغاية ظهور بطلانه واستحالة كونه مفترى ثم أضرب عنه إلى بيان حقيقة ما أنكروه حيث قيل (بل هو الحق من ربك)
- ٣ بإضافة اسم الرب إلى ضميره ﷻ بعد إضافته فيما سبق إلى العالمين تشريراً له ﷻ ثم أبد ذلك ببيان غايته حيث قيل (لتندر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) فإن بيان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونها غاية حميدة مستتعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة إليها بما يقرر وجود الشيء ويؤكد له لا محالة وأقد كانت قریش أضل الناس وأحوجهم إلى الهداية بإرسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث إليهم

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٢﴾

٣٢ السجدة

يَذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٣٣﴾

٣٣ السجدة

ذَٰلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٣٤﴾

٣٤ السجدة

من رسول قبله ﷺ أي ما أنام من نذير من قبل إنذارك أو من قبل زمانك والترجي معتبر من جهته
 ﷺ أي لتنبئهم راجياً لا هتدائهم أو لرجاء هتدائهم واعلم أن ما ذكر من التأيد إنما ينسني على ما ذكر
 من كون تنزيل الكتاب مبتدأ وأما على سائر الوجوه فلا تأيد أصلاً لأن قوله تعالى من رب العالمين
 خبر رابع على الوجه الأول وخبر ثالث على الوجهين الآخرين وأياً ما كان فكونه من رب العالمين حكم
 مقصود الإفادة لا قيد للحكم آخر فتدبر (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى
 على العرش) مر بيانه فيما سلف (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) أي ما لكم إذا جاوزتم رضاه تعالى
 أحد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه أي ما لكم سواء ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم
 وينصركم في مواطن النصر على أن الشفيع عبارة عن الناصر مجازاً فإذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير
 (أفلا تتذكرون) أي ألا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها أو تسمعونها فلا تتذكرون بها
 فالإنكار على الأول متوجه إلى عدم السماع وعدم التذكر معاً وعلى الثاني على عدم التذكر مع تحقق
 ما يوجه من السماع (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) قيل يدبر أمر الدنيا بأسباب سماوية من الملائكة
 وغير ما نازلة آثارها وأحكامها إلى الأرض (ثم يعرج إليه) أي ثبت في علمه موجوداً بالفعل (في يوم
 كان مقداره ألف سنة مما تعدون) أي في برهة من الزمان متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير
 الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر أمر الحوادث اليومية بإثباتها في اللوح المحفوظ فينزل بها
 الملائكة ثم يعرج إليه في زمان هو كالألف سنة مما تعدون فإن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام
 وقيل يقضى قضاء ألف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الألف إلى آخر وقيل يدبر أمر الدنيا جميعاً
 إلى قيام الساعة ثم يعرج إليه الأمر كله عند قيامها وقيل يدبر الأمور به من الطلقات منزلاً من السماء إلى
 الأرض بالوحي ثم لا يعرج إليه خالصاً إلا في مدة متطاولة لقلة المتخلصين والأعمال الخالص وأنت خير
 بأن فلة الأعمال الخالصة لا تقتضي بطء عرجها إلى السماء بل قلته وقرىء يعدون بالياء (ذلك) إشارة
 إلى الله عز وجل باعتبار الصفاته بما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش وإنحصار
 الولاية والنصرة فيه وتدبير أمر الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدأ خبر ما بعده أي ذلك
 العظيم الشأن (عالم الغيب والشهادة) فيدبر أمرها حسبما تقتضيه الحكمة (العزیز) الغالب على أمره

٣٢ السجدة

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾

٣٢ السجدة

ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾

ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ٣٢ السجدة

- (الرحيم) على عباده وهما خبران آخران وفيه إيماء إلى أنه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فاعل بالإحسان (الذي أحسن كل شيء خلقه) خبر آخر أو نصب على المدح أي حسن كل مخلوق خلقه إذ ما من مخلوق ٧ خلقه إلا وهو مرتب على ما تقتضيه الحكمة وأوجبه المصلحة لجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقيل علم كيف يخلق من قوله قيمة المرء ما يحسن أي يحسن معرفته أي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق وإيقان وقرىء خلقه على أنه بدل اشتغال من كل شيء والضمير للبديل منه أي حسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على أن الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق أي حسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثانٍ لأن حسن على تضمنينه معنى أعطى أي أعطى كل شيء خلقه اللائق به بطريق الإحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الأول وكل شيء مفعوله الثاني والخلق بمعنى المخلوق وضميره لله سبحانه على تضمنين الإحسان معنى الإلهام والتعريف والمعنى ألهم خلقه كل شيء بما يحتاجون إليه وقال أبو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون إليه فيؤول إلى معنى قوله تعالى الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (وبدأ خلق الإنسان) من بين جميع المخلوقات (من طين) على وجه بديع تحار العقول في فهمه حيث برأ آدم عليه السلام على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر أفراد الجنس انطواء إجمالاً مستتباً لخروجه كل فرد منها من القوة إلى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قرباً وبعداً كما ينبغي عنه قوله تعالى (ثم جعل نسله) الخ أي ذريته سميت بذلك لأنها تنسل وتنفصل منه (من سلاله من ماء مهين) هو المني ٨ الممتن (ثم سواه) أي عدله بتكميل أعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي (ونفخ فيه من روحه) ٩ أضافه إليه تعالى تشریفاً له وإبذاناً بأنه خلق عجيب وصنع بديع وأن له شأناً له مناسبة إلى حضرة الربوبية وأن أقصى ما انتهى إليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي يعبر عنه تارة بالإضافة إليه تعالى وأخرى بالنسبة إلى أمره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من أمر ربي (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) • الجمل إبداعى واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرات من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم أي خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا أنها مع كونها في أنفسها نعمة جليلة لا يقادر قدرها وسائل إلى التمتع بسائر النعم الدينية والدنيوية الفاضلة عليكم وتشكروها بأن تصرفوا كلاً منها إلى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الآيات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبأبصاركم الآيات التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بأفئدتكم على حقيقتها وقوله تعالى (قليلًا مَّا تَشْكُرُونَ) بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييل على أن القلة بمعنى

وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَأُنَا لَنِي خَلَقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ السجدة

قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٣٣﴾ السجدة

وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْخَلْقِ وَالنَّاسِ

الْجَمْعِينَ ﴿٣٤﴾ السجدة

الْجَمْعِينَ ﴿٣٤﴾

النفى كما ينبغي عنه ما بعده أى شكراً قليلاً أو زماناً قليلاً تفكرون وفى حكاية أحوال الإنسان من مبدأ فطرته إلى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية أحواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنهى عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة مالا غاية وراه (وقالوا) كلام مستأنف مسوق لبيان أباطيلهم بطريق الالتفات إيذاناً بأن ما ذكر من عدم شكرهم بتلك النعم موجب للإعراض عنهم وتعدد جناباتهم لغيرهم بطريق المباينة (أئذا ضللتنا فى الأرض) أى صرنا تراباً مخلوطاً بترابها بحيث لا تتميز منه أوغبنا فيها بالدفن وقرىء ضللتنا بكسر اللام من باب علم وصللتنا بالصاد المهملة من صل اللحم إذا أتت وقيل من الصلة وهى الأرض أى صرنا من جنس الصلة قيل القائل أبى بن خلف ولرضام بقوله أسند القول إلى الكل والعامل فى إذا ما يدل عليه قوله تعالى (أئنا لنى خلق جديد) وهو نبعث أو يحدد خلقنا والهمزة لتذكير الإنكار السابق وتأكيد قرىء إنا على الخبر وأياً ما كان فالمنع على تأكيد الإنكار لا إنكار التأكيد كما هو المتبادر من تقديم الهمزة على إن فإنها مؤخرة عنها فى الاعتبار وإنما تقديمها عليها لاقضائها الصدارة (بل هم بلقاء ربهم كافرون) لإضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث إلى بيان ما هو أبلغ وأشنع منه وهو كفرهم بالوصول إلى العاقبة وما يلقونه فيها من الأحوال والأحوال جميعاً (قل) بيانا للحق ورداً على زعمهم الباطل (يتوفاكم ملك الموت) لا كما تزعمون أن الموت من الأحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبل أى يقبض أرواحكم بحيث لا يدع فيكم شيئاً أولاً يترك منكم أحداً على أشد ما يكون من الوجوه وأفظعها من ضرب وجوهكم وأدباركم (الذى وكل بكم) أى يقبض أرواحكم وإحصاء آجالكم (ثم إلى ربكم ترجعون) بالبعث للحساب والجزاء (ولو ترى إذا المجرمون) وهم القائلون أئذا ضللتنا فى الأرض الآية أو جنس المجرمين وهم من جهلهم (ناكسوا رؤوسهم عند ربهم) من الخياء والحزى عند ظهور قبائحهم التى اقترفوها فى الدنيا (ربنا) أى يقولون ربنا (أبصرنا وسمعنا) أى صرنا بمن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لإدراك الآيات المبصرة والآيات المسموعة وكنا من قبل عمياً وصماً لا ندرك شيئاً (فارجعنا) إلى الدنيا (نعمل) عملاً (صالحاً) حسبما تقتضيه تلك الآيات وقوله تعالى (إنا موفون) ادعاء مهم لصحة الأفتدة والافتداع على فهم معانى الآيات والعمل بموجبها كما أن ما قبله ادعاء لصحة مشعرى البصر والسمع كأنهم قالوا وأيقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئاً أصلاً وإنما عدلوا إلى الجملة الاسمية المؤكدة إظهاراً لبانهم على الإيقان وكما لربهم فيه وكل ذلك للجد فى الاستدعاء طمعاً فى الإجابة إلى ما سألوه

وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُرْجُومُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾

٢٢ السجدة

من الرجعة وأنى لهم ذلك ويجوز أن يقدر لكل من الفعلين مفعول مناسب له مما يبصرونه ويسمعونه فإنهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة ويخبرهم الملائكة بأن مصيرهم إلى النار لا محالة فالمعنى أبصرنا فبح أفعالنا وكنائرها في الدنيا حسنة وسمعنا أن مردنا إلى النار وهو الأنسب لما بعده من الوعد بالعمل الصالح هذا وقد قيل المعنى وسمعنا منك تصديق رسلك وأنت خير بأن تصديقه تعالى لهم حينئذ يكون بإظهار مدلول ما أخبروا به من الوعد والوعيد لا بالإخبار بأنهم صادقون حتى يسمعه و قيل وسمعنا قول الرسل أى سمعناه سمع طاعة وإذعان ولا يقدر لترى مفعول إذ المعنى لو تكون منك رؤية في ذلك الوقت أو يقدر ما ينبي عنه صلة إذ والمضى فيها وفي لو باعتبار أن الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف أى لرأيت أمراً فظيماً لا يقادر قدره والخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائناً من كان إذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء من اعتاد مشاهدة الأمور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن علل عموم الخطاب بالقصد إلى بيان أن حالهم قد بلغت من الظهور إلى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا تختص رؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لأن المفسود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فإنه مسوق مساق المسلمات فتدبر (ولو شئنا لآتينا كل نفس ١٣ هداها) مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا أبصرنا الخ أى ونقول لو شئنا أى لو تعلقت مشيتنا تعلقاً فعلياً بأن نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدى به إلى الإيمان والعمل الصالح لآعطيناها إياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما أخرناه إلى دار الجزاء (ولكن حق القول منى) أى • سبقت كلمتى حيث قلت لإبليس عند قوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق أقول • لا ملأن جهنم منك ومن ابتليك منهم أجمعين وهو المعنى بقوله تعالى (لا ملأن جهنم من الجنة والناس • أجمعين) كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ إعطاء الهدى على العموم بل منعناه من اتباع إبليس الذين أنتم من جملتهم حيث صرتم اختياركم إلى الفنى بإغوائه ومشيتنا لأفعال العباد منوطة باختيارهم إياها فلما لم تختاروا الهدى واخترتم الضلالة لم نشأ إعطاء لكم وإنما أعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سبأ من قوله تعالى إنما يؤمن بآياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئة إعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وإنما قيدنا المشيئة بما مر من التعليق الفعلى بأفعال العباد عند حدوثها لأن المشيئة الأزلية من حيث تعلقها بما سيكون من أفعالهم إجمالاً متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطاً بتحققها وإنما مناطه عليه تعالى ألا بصرف

فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ السجدة

إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ السجدة

تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٦﴾ السجدة

- اختيارهم فيها سيأتى إلى الغنى وإيثارهم له على الهدى فلو أريدت هى من تلك الحيثية لاستدرك بعدهما وينط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيراً لا سمعهم فنوهم أن المعنى ولو شئنا لا أعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذى لو كان منهم اختياره لا هندوا ولكن لم نعظم لما علنا منهم اختيار الكفر وإشاره فقد اشبه عليه الشئون والفاء فى قوله تعالى (فذوقوا) لترتيب الأمر بالدوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجوع إلى الدنيا أو على الوعيد المحكى والباء فى قوله تعالى (بما نسيتم أنما يومكم هذا) للإيذان بأن تعذيبهم ليس بمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد أيضاً بسبب موجب له من قلمهم كأنه قيل لا رجوع لكم إلى الدنيا أو حق وعيدى فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكير فيه والاستعداد له بالكلية (إنا نسيناكم) أى تركناكم فى العذاب ترك المنسى بالمرّة • وقوله تعالى (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوى للدوق والإشعار بأن سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له أسباب أخرى من فنون الكفر والمعاصى التى كانوا مستمرين عليها فى الدنيا وعدم نظم الكل فى سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها فى استيجاب العذاب وفى إنباهم للدوق أولاً وبإيانه ثانياً بتكرير الأمر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد فى الانتقام منهم مالا يخفى وقوله تعالى (إنما يؤمن بآياتنا) استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لإيثار الهدى والإشعار بعدم إيمانهم لو أوتوه بتبيين من يستحقه بطريق القصر كأنه قيل إنكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها عملاً صالحاً ولو رجعناكم إلى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولوردوا العادوا لما نهوا عنه وإنما يؤمن بها (الذين إذا ذكروا بها) أى وعظوا (خروا سجداً) أثر ذى أثير من غير تردد ولا تلغم فضلاً عن التسوية إلى معايته ما نطق به من الوعد • والوعيد أى سقطوا على وجوههم (وسبحوا بحمد ربهم) أى ونزهوه عند ذلك عن كل مالا يليق به من الأمور التى من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده تعالى على نعمائه التى أجملها الهداية بإيتاء الآيات والتوفيق للاهتمام بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الإضافة إلى ضميرم للإشعار بعملة التسبيح والتحميد وبأنهم يفعلونها بما لحظته ربوبيته تعالى لهم (وهم لا يستكبرون) أى والحال أنهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرو والتسبيح والتحميد (تتجافى جنوبهم) أى تنبؤ وتتنحى (عن المضاجع) أى الفرش ومواضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال أنس رضى الله عنه نزلت فىنا معاشر الأنصار كنا نصلى المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلى

٣٢ السجدة

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

٣٢ السجدة

أَفَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾

٣٢ السجدة

أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ زُلاَّجًا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

- العشاء مع النبي ﷺ وعن أنس أيضاً رضى الله عنه أنه قال نزلت في أناس من أصحاب النبي ﷺ كانوا يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وهي صلاة الأوابين وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال عطاء م الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة لقوله ﷺ أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وعن النبي ﷺ في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادى ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقيم الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى (يدعون زبهم) حال من ضمير جنوبهم أى داعين له تعالى على الاستمرار (خوفاً) من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته (وطمأناً) في رحمته (وما رزقناهم) من المال (ينفقون) في وجوه البر والحسنات (فلا تعلم نفس) من ١٧ النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن عدام (ما أخفى لهم) أى لا أولئك الذين عدت نفوتهم الجليلة (من قرّة أعين) مما تقر به أعينهم وعنه ﷺ يقول الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر له ما اطلعتم عليه اقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين وقرىء ما أخفى لهم وما نخفى لهم وما أخفيت لهم على صيغة المتكلم وما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرىء قرأت أعين لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة أو استفهامية علق عنها الفعل (جزاء بما كانوا يعملون) أى جزوا جزاء أو أخفى لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله تعالى ثوابهم (أفمن كان مؤمناً ١٨ كمن كان فاسقاً) أى أبعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذى حكيت أوصافه الفاضلة كالفاسق الذى ذكرت أحواله (لا يستوون) التصريح به مع إفادة الإنكار في المشابهة بالمرّة على أبلغ وجه • وآ كده لبناء التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ١٩ ذكر أحوالهما في الدنيا وأضيفت الجنة إلى المأوى لأنها المأوى الحقيقي وإنما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وإقبل المأوى جنة من الجنات وأياً ما كان فلا يبعد أن يكون فيه رمز إلى ما ذكر من تجانينهم عن مضاجعهم

وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ
النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٣٢﴾

٣٢ السجدة

وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٣﴾

٣٣ السجدة

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٣٤﴾

٣٤ السجدة

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٣٥﴾

٣٥ السجدة

- ٢٠ التي هي مأواهم في الدنيا (نزلا) أي ثواباً وهو في الأصل ما يبعد للنازل من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية (بما كانوا يعملون) في الدنيا من الأعمال الصالحة أو بأعمالهم (وأما الذين فسقوا) أي خرجوا عن الطاعة (فأوامهم) أي ملجؤهم ومنزلهم (النار) مكان جنات المأوى للذين (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها) استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى أنه يضربهم لخب النار فيرتفعون إلى طبقاتها حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم اللهب فيورون إلى قعرها وهكذا يفعل بهم أبداً وكلبة في الدلالة على أنهم مستقرون فيها وإنما الإعادة من بعض طبقاتها إلى بعض (وقيل لهم) تشديداً عليهم وزيادة في غيظهم (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به) أي بعذاب النار (تكذبون) على الاستمرار في الدنيا (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) أي عذاب الدنيا وهو ما منحوا به من السنة سبع سنين والقتل والأسر (دون العذاب الأكبر) الذي هو عذاب الآخرة (لعلهم) لعل الذين يشاهدونه وهم في الحياة (يرجعون) يتوبون عن الكفر وروى أن الوليد بن عقبة فاجر علياً رضي الله عنه يوم بدر
- ٢١ فنزلت هذه الآيات (ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها) بيان إجمالي لحال من قابل آيات الله تعالى بالإعراض بعد بيان حال من قبلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلية ثم لاستبعاد الإعراض عنها عقلاً مع غاية وضوحها وإرشادها إلى سعادة الدارين كافي بين الحامسة [ولا يكشف الغماه إلا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها] أي هو أظلم من كل ظالم وإن كان سبب التركيب على نفى الأظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مراراً (إننا من المجرمين) أي من كل من اتصف بالإجرام وإن هانت جريمته
- ٢٢ (منتقمون) فكيف ممن هو أظلم من كل ظالم وأشد جرماً من كل مجرم (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة عبر عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على أن إتياءه لرسول الله ﷺ كإتيائها لموسى عليه السلام (فلا تكن في مرية من لقائه) من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله وإنك لتلقى القرآن والمعنى إنا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناك من الوحي مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من أنك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب أو من لقاءك موسى وعنه ﷺ رأيت ليلة أسرى بي موسى رجلاً آدم طوالاً وجعداً كأنه من رجال شنوءة (وجعلناه) أي

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ السجدة ٢٢

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ السجدة ٢٢

أُولَئِكَ يَهْدِيهِمْ كَذَّاهُنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ السجدة ٢٢

أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ السجدة ٢٢

- الكتاب الذي آتاه موسى (هدى لبني إسرائيل) قيل لم يتعبد بما في التوراة ولد لإسماعيل (وجعلنا منهم ٢٤ أمة يهدون) بقيتهم بما في أضعاف الكتاب من الحكم والأحكام إلى طريق الحق أو يهدونهم إلى ما فيه من دين الله وشرائعه (بأمرنا) إياهم بذلك أو بتوفيقنا له (لما صبروا) هي لما التي فيها معنى الجزاء نحو أحسنت إليك لما جئتني والضمير للأمة تقديره لما صبروا جعلناهم أمة أو هي ظرف بمعنى الحين أي جعلناهم أمة حين صبروا والمراد صبرهم على مشاق الطاعات ومقاسات الشدائد في نصرة الدين أو صبرهم عن الدنيا وقرىء لما صبروا أي لصبرهم (وكانوا بآياتنا) التي في أضعاف الكتاب (يوقنون) لإمعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن الكتاب الذي آتيناك هدى لآمتك ولنجعلن منهم أمة يهدون مثل تلك الهداية (إن ربك هو يفصل) أي يقضى (بينهم) قيل بين الأنبياء وأممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين ٢٥ (يوم القيامة) فيميز بين المحق والمباطل (فيما كانوا فيه يختلفون) من أمور الدين (أو لم يهد لهم) الهمة ٢٦ (لإنكاروا الواو للعطف على منوى يقتضيه المقام وفعل الهداية إما من قبيل فلان يعطى في أن المراد إيقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول وإما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل مادل عليه قوله تعالى (كم أهلكنا) أي أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم أولم يبين لهم مال أمرهم كثرة إهلاكنا (من قبلهم من القرون) مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرىء نهد لهم بنون العظمة وقد جوز أن يكون الفاعل على القراءة الأولى أيضاً ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم أهلكنا إلخ استئنافاً مبيناً لكيفية هدايته تعالى (يمشون في مساكنهم) أي يمشون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضمير لهم وقرىء يمشون للتكثير (إن في ذلك) أي فيما ذكر من كثرة إهلاكنا للأمم الخالية العاتية أو في مساكنهم (لآيات) عظيمة في أنفسها كثيرة في عددها (أفلا يسمعون) هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ (أولم يروا أنا نسوق ٢٧ الماء إلى الأرض الجرز) أي التي جرز نباتها أي قطع وأزيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن (فنخرج به) من تلك الأرض (زرعاً تأكل) أي من ذلك الزرع (أنعامهم) كالتبين والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرىء يأكل بالياء (وأنفسهم) كالحبوب التي يقتاتها الإنسان والثمار (أفلا يبصرون)

٣٢ السجدة

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾

٣٢ السجدة

قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾

٣٢ السجدة

فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ ﴿٣٠﴾

- ٢٨ أى ألا ينظرون فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله (ويقولون) كان المسلمون يقولون الله سيفتح لنا على المشركين أو يفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة إذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيباً واستهزاء (متى هذا الفتح) أى النصر أو الفصل بالحكومة (إن كنتم صادقين) فى أن الله تعالى بنصركم أو يفصل بيننا وبينكم (قل) بتكيتاً لهم وتحقيراً للحق (يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا لإيمانهم ولا هم ينظرون) يوم الفتح يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على أنه ليس بما ينبغي أن يسأل عنه لكونه أمراً يبتأ غنياً عن الإخبار به وكذا إيمانهم واستنظارهم يومئذ وإنما المحتاج إلى البيان عدم نفع ذلك الإيمان وعدم الإنظار كأنه قيل لا نستعجلوا فكا في بكم قد آمنتكم فلم ينفعكم واستنظرتكم فلم تنظروا وهذا على الوجه الأول كيف لا وقد نفع الإيمان الطلقاء يوم الفتح
- ٢٩ وناساً آمنوا يوم بدر (فاعرض عنهم) ولا تبال بتكذيبهم (وانتظر) النصر عليهم وهلاكهم (إنهم منتظرون) قيل أى الغلبة عليكم كقوله تعالى فزبرصوا إنا معكم متربصون والأظهر أن يقال إنهم منتظرون هلاكهم كما فى قوله تعالى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر عذابنا إنهم منتظروه فإن استعجلهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصى فى حكم انتظارهم العذاب المترتب عليه لاحالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى أنهم أحقاء بأن ينتظر هلاكهم أو فإن الملائكة ينتظرونه . عن النبي ﷺ من قرأ الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك أعطى من الأجر كأنما أحيا ليلة القدر وعنه ﷺ من قرأ الم تنزيل فى بيته لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام .

٣٣ - سورة الأحزاب
(مدنية وهي ثلاث وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِغِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ٣٣ الأحزاب
وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ ٣٣ الأحزاب

(سورة الأحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا أيها النبي اتق الله) في ندائه ﷺ بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد باليقوى المأموره الثبات عليه والازدياد منه فإن له باباً واسعاً وعرضاً عريضاً لا ينال مداه (ولا تطع الكافرين) أي المجاهرين بالكفر (والمنافقين) المضمرين له أي فيما يعدو دونه في الدين وإعطاء دنية فيما بين المسلمين روى أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا عليه ﷺ في الموادة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبدالله بن أبي ومعتب بن قشير والجدي بن قيس فقهوا الرسول ﷺ ارفض ذكر آلهتنا وقل إنها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على النبي ﷺ والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ونبد الموادة ولا تساعد الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا إليك (إن الله كان عليماً حكيماً) مبالغاً في العلم والحكمة فيعلم جميع الأشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك إلا بما فيه مصلحة ولا ينهك إلا عما فيه مفسدة ولا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجمله تعليل للأمر والنهي مؤكداً لوجوب الامتثال بهما (واتبع) أي في كل ما تأتي وتذر من أمور الدين (ما يوحى إليك من ربك) من الآيات التي من جملتها هذه الآية الأمرة بتقوى الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال بالأمر (إن الله كان بما تعملون خبيراً) قيل الخطاب للرسول ﷺ والجمع للتعظيم وقيل له ﷺ وللؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز أن يكون للكل على ضرب من التغليب وأياً ما كان فالجمله تعليل للأمر وتأكيده لموجبه أما على الوجهين الأولين فبطريق الترغيب والترهيب كأنه قيل إن الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثواباً وعقاباً وأما على الوجه الأخير فبطريق الترغيب فقط كأنه قيل إن الله خبير بما يعمل به كلا الفريقين فيرشدك إلى ما فيه صلاح حالك وانتظام أمرك ويطلعك على ما يعملونه من المكائد والمفاسد ويأمرك بما ينبغى لك أن تعمله في دفعها وردّها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتماً .

٣٣ الأحزاب

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣٣﴾

مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٣٣﴾
 أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۚ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٣٣﴾

٢ (وتوكل على الله) أى فوض جميع أمورك إليه (وكنى بالله وكيلا) حافظاً موكولاً إليه كل الأمور
 ٤ (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) شروع في إلقاء الوحي الذى أمر ﷺ باتباعه وهذا مثل ضرب به الله تعالى تمهيداً لما يعمقه من قوله تعالى (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم)
 • وتنبه على أن كون المظاهر منها أما وكون الدعى ابناً أى بمنزلة الأم والابن فى الآثار والأحكام المعمودة فيما بينهم فى الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين فى جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من أن الليب الأريب له قلبان ولذلك قيل لآبى معمر أو لجليل بن سيد الفهرى ذو القلبين أى ما جمع الله تعالى قلبين فى رجل وذكر الجوف لزيادة التقرير كما فى قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ولا زوجية ولا أمومة فى امرأة ولا دعوة وبنوة فى شخص لكن لا بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية والأمومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة والبنوة كما فى القلب ولا بمعنى نفي الجمع بين أحكام الزوجية وأحكام الأمومة ونفي الجمع بين أحكام الدعوة وأحكام البنوة على الإطلاق بل بمعنى نفي الجمع بين حقيقة الزوجية وأحكام الأمومة ونفي الجمع بين حقيقة الدعوة وأحكام البنوة لإبطال ما كانوا عليه من إجراء أحكام الأمومة على المظاهر منها وإجراء أحكام البنوة على الدعى ومعنى الظهار أن يقول لزوجته أنت على كظهر أى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لأنه كان طلاقاً فى الجاهلية وهو فى الإسلام يقتضى الطلاق أو الحرمة إلى أداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهار للكنية عن البطن الذى هو عموده فإن ذكره قريب من ذكر الفرج أو للتغليظ فى التحريم فإنهم كانوا يحرمون إتيان الزوجة وظهرها إلى السماء وقرىء اللاء وقرىء تظاهرون بحذف إحدى النامين من تظاهرون وتظاهرون بإدغام التاء الثانية فى الظاء وتظاهرون من أظهر بمعنى تظهر وتظاهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظاهرون من ظم ظهوراً وأدعياء جمع دعى وهو الذى يدعى ولداً على الشذوذ لاختصاص أفعلاء بفعيل بمعنى فاعل كتنى وأتقياء كأنه شبه به فى اللفظ لجمع جمعه كقتلاء وأسراء (ذلکم) إشارة إلى ما يفهم مما ذكر من الظهار والدعاء أو إلى الأخير الذى هو المقصود من مساق الكلام أى دعاءكم بقولكم هذا بنى (قولكم بأفواهكم) فقط من غير أن يكون له مصداق وحقيقة فى الأعيان فإذن هو بمنزل من استنباع أحكام البنوة كما زعمتم (والله يقول الحق) المطابق للواقع (وهو يهدى السبيل) أى سبيل الحق لا غير فدهوا أقوالكم وخذوا بقوله عز وجل (ادعواهم لأبائهم) أى انسبوا

النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَ الْبُيُوتِ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

٣٣ الأحزاب

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾

٣٣ الأحزاب

- إليهم وخصوصهم بهم وقوله تعالى (هو أقسط عند الله) لتلليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو أقرب للتقوى وأقسط أعدل تفضيل قصد به الزيادة مطلقاً من القسط بمعنى العدل أى الدعاء لأبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى وقضائه (فإن لم تعلموا آباءهم) فننسبهم إليهم (فأخوانكم) فهم إخوانكم (في الدين ومواليكم) وأولياؤكم فيه أى قادعهم بالأخوة الدينية والمولوبة (وليس عليكم جناح) أى إثم (فيما أخطأتم به) أى فيما فعلتموه من ذلك مخطين بالسهر أو النسيان أو سبق اللسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أى ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهى أو ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح (وكان الله غفوراً رحيماً) لعفوه عن المخطئ وحكم التنبئ بقوله هو أبى إذا كان عبداً للفاعل المتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه إلا إذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد مثله لمثل المتنبئ ولم يقر قبله بنسبه من غيره (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى فى كل أمر من أمور الدين والدنيا كما يشهده الإطلااق فيجب عليه أن يكون ﷺ أحب إليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمهم وحقه أنزل لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها روى أنه ﷺ أراد غزوة تبوك فأمر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وأمهاتنا فزلت وقرى وهو أب لهم أى فى الدين فإن كل نبى أب لأمته من حيث إنه أصل فيما به الحياة الأبدية ولذلك صار المؤمنون أخوة (وأزواجه أمهاتهم) أى منزلات منزلة الأمهات فى التحريم واستحقاق التعظيم وأما فيما عدا ذلك فمن كالأجنبيات ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها لسنا أمهات النساء (وأولوا الأرحام) أى ذو القربات (بعضهم أولى ببعض) فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالاتة فى الدين (فى كتاب الله) فى اللوح أو فيما أنزل وهو هذه الآية أو آية الموارث أو فيما فرض الله تعالى (من المؤمنين والمهاجرين) بيان لأولى الأرحام أو صلة لأولى أى أولوا الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة (إلا أن تفعلوا إلى أولياكم معروفاً) استثناء من أعم ما تقدرا لا ولوية فيه من الدفع والمراد بفعل المعروف النصية أو منقطع (كان ذلك فى الكتاب مسطوراً) أى كان ما ذكر من الآيتين ثابتاً فى اللوح أو القرآن وقيل فى التوراة (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم) أى اذكر وقت أخذنا من النبيين كافة عهدهم بقبليغ الرسالة والدعاء إلى الدين الحق (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) وتخصيصهم بالذكر مع

لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾
يَتَأَيَّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾

انذارهم في النبيين اندارجا بينا للإيذان بزيادة مرتبتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير أرباب الشرائع
وأساطين أولى العزم من الرسل وتقديم نبينا عليهم عليهم الصلاة والسلام لإبانه خطره الجليل (وأخذنا
منهم ميثاقا غليظاً) أى عهداً عظيم الشأن أو مؤكداً باليمين وهذا هو الميثاق الأول بعينه وأخذه هو أخذه
والعطف مبنى على تنزيل التغاير العنوانى منزلة التغاير الذاتى تفخيماً لشأنه كما في قوله تعالى ونجيناهم من
عذاب غليظ إثر قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى (ليسأل
الصادقين عن صدقهم) متعلق بمضمر مستأنف مسوق لبيان ماهو داع إلى ما ذكر من أخذ الميثاق وغاية له
لا بأخذنا فإن المقصود تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بياناً قصدياً كما ينبى عنه تغيير الأسلوب
بالالتفات إلى الغيبة أى فعل الله ذلك ليسأل يوم القيامة الأنبياء ووضع الصادقين موضع ضميرهم للإيذان
من أول الأمر بأنهم صادقون فيما ستلوا عنه وإنما السؤال لحكمة تقتضيه أى ليسأل الأنبياء الذين
صدقوا عهدهم مما قالوه لقومهم أو عن تصديقهم إياهم بتكيتناهم كما في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا أجبتم أو المصدقين لهم عن تصديقهم فإن مصدق الصادق صادق وتصديقه صدق وأما ما قيل من أن المعنى
ليسأل المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين أشهدهم على أنفسهم عن صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين
وقوله تعالى (وأعد للكافرين عذاباً أليماً) عطف على ما ذكر من المضمر لا على أخذنا كما قيل والتوجيه بأن بعثة
الرسل وأخذ الميثاق منهم لإثابة المؤمنين أو بأن المعنى أن الله تعالى أكد على الأنبياء الدعوة إلى دينه لا لجل
إثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع أنه مفض إلى كون بيان إعداد العذاب الأليم للكافرين غير مقصود بالذات
نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسأل الصادقين كأنه قيل فأناب المؤمنين وأعد للكافرين الآية
(يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) إن جعل النعمة مصدراً فالجار متعلق بها وإلا فهو متعلق
بمحدوف هو حال منها أى كأنه عليكم (إذ جاءكم جنود) ظرف لنفس النعمة أو لثبوتها لهم وقيل
منصوب باذكروا على أنه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الأحراب وهم قريش وغطفان ويهود
قريظة والنضير وكانوا زهاء اثني عشر ألفاً فلما سمع رسول الله ﷺ بإقبالهم ضرب الخندق على المدينة
بإشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم
وأمر بالترارى والنساء فرفعوا في الأطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق في المنافقين
حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقبصر ولا نقدر أن نذهب إلى الفائط ومضى على
الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة بن أبي
جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب قدركبوا

إِذْ جَاءَ وَكَرَّ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴿١٠﴾

٣٣ الاحزاب

- خيولهم وتيمموهم الخندق مكاناً مضيقاً فضربوا خيولهم فاقترحموا لجلالتهم في السبخة بين الخندق وسلع فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في نفر من المسلمين حتى أخذ عليهم الثغرة التي اقترحموا منها فأقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلقاً ليرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو إني أدعوك إلى الله ورسوله والإسلام قال لا حاجة لي إليه قال فإني أدعوك إلى النزال قال يا ابن أخي والله لا أحب أن أقتلك قال علي لكفى والله أحب أن أقتلك لحمي عمرو عند ذلك وكان غيورا مشهورا بالشجاعة واقترحم عن فرسه ففرقه أو ضرب وجهه ثم أقبل على علي فقتلوا وتجاولا فضربه علي رضي الله عنه ضربة ذهبت فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقترحت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلين منه بن عثمان ابن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله أيضاً على رضي الله عنه وقيل لم يكن بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة حتى أنزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى (فأرسلنا عليهم ريحاً) عطف على جاءكم مسوق لبيان النعمة إجمالاً وسيأتي بقيتها في آخر القصة (وجنوداً لم تروها) وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا ألفاً بعث الله عليهم صباحاً باردة في ليلة شاتية فأخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وأمر الملائكة فقلعت الأوتاد وقطعت الأطناب وأطفأت النيران وأكفأت القدور وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الأسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالتجاء التجاء فانهزموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق وترتيب مبادئ الحرب وقيل من التجائم إليهم ورجائكم من فضله وقرى بالياء أي بما يعمل الكفار أي من التحرد والمحاربة أو من الكفر والمعاصي (بصيراً) ولذلك فعل ما فعل من نصرهم عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله (إذ جاءكم) بدل من إذ جاءكم (من فوقكم) من أعلى الوادي من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من أهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وطامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير (ومن أسفل منكم) أي من أسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايهم من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وكانوا عشرة آلاف (وإذ زاغت الأبصار) عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير أي حين مالت عن سندها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصاً وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروع (وبلغت القلوب الحناجر) لأن الرئة تنتفخ من شدة الفرع فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الخنجر وهي منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله تعالى (وتظنون بالله الظنونا) لمن يظهر الإيمان على الإطلاق أي تظنون بالله تعالى أنواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبوت القلوب أن الله تعالى ينجز وعده في إعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكي عنهم من قولهم هذا ما وعدنا

٣٣ الأحزاب

هَٰذَا آيَاتُ الْمُؤْمِنِينَ وَزُلْزِلُوا زَلَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾

وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ٣٣ الأحزاب

وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ

٣٣ الأحزاب

يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾

- الله ورسوله وصدق الله ورسوله الآية أو يمتحنهم تخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب
والمنافقون ما حكى عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة
والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير ألف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما تزداد في
القوافي (هناك) ظرف زمان أو ظرف مكان لما بعده أى في ذلك الزمان الهائل أو المكان الدحض
١١ (ابتلى المؤمنين) أى عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل (وزلزلوا
١٢ زلزالا شديداً) من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاى (وإذ يقول المنافقون) عطف على إذ زاغت
وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته (والذين في قلوبهم مرض)
• أى ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله) من إعلاء الدين والظفر (إلا غروراً) أى وعد غرور وقيل
قولا باطلا والقائل معتب بن قشير وأضرابه راضون به قال يعذنا محمد بفتح كنوز كسرى وقبصر وأحدنا
١٣ لا يقدر أن يبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور (وإذ قالت طائفة منهم) هم أوس بن قيطى وأتباعه وقيل عبد
الله بن أبى وأشياعه (يا أهل يثرب) هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها
وقد نهى النبي ﷺ أن تسمى بها كراهة لها وقال هى طيبة أو طابة كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة
• له ﷺ وندأؤم بإمام بعنوان أهلتهما لها ترشيح لما بعده من الأمر بالرجوع إليها (لا مقام لكم)
لا موضع إقامة لكم أو لا إقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم أى لا قيام أولا موضع
• قيام لكم (فارجعوا) أى إلى منازلكم بالمدينة مرادهم الأمر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويحاً
لمقالم وإيداناً بأنه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم فى دين محمد ﷺ فارجعوا إلى
ما كنتم عليه من الشرك أو فارجعوا عما بايعتموه عليه وأسلموه إلى أعدائه أولا مقام لكم فى يثرب
• فارجعوا كفاراً ليتسنى لكم المقام بها والأول هو الأنسب لما بعده فإن قوله تعالى (ويستأذن فريق
منهم النبي) معطوف على قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة
• استأذنوه ﷺ فى الرجوع ممثلين بأمرهم وقوله تعالى (يقولون) بدل من يستأذن أو حال من فاعله أو
استئناف مبنى على السؤال عن كيفية الاستئذان (إن بيوتنا عورة) أى غير حصينة معرضة للعدو
والسراق فأذن لنا حتى نخضعها ثم نرجع إلى المعسكر والعورة فى الأصل الخلل أطلقت على المختل مبالغة
وقد جوز أن تكون تخفيف عورة من عورت الدار إذا اختلصت وقد قرئ بها والأول هو الأنسب
بمقام الاعتذار كما ينصح عنه تصدير مقالم بحرف التحقيق (وما هى بعورة) والحال أنها ليست كذلك

وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَأَقْوَمُوا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٤﴾ ٣٣ الأحزاب
وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَدْبَرَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْعُورًا ﴿١٥﴾ ٣٣ الأحزاب
قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ ٣٣ الأحزاب
قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ٣٣ الأحزاب

- (إن يريدون) ما يريدون بالاستئذان (إلا فراراً) من القتال (ولو دخلت عليهم) أسند الدخول ١٤
إلى بيوتهم وأوقع عليهم لما أن المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقاً كما هو المفهوم لو
لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقاً كما هو المفهوم لو أسند إلى الجار والمجرور
(من أقطارها) أى من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم محتلة بالكلية
ودخلها كل من أراد من أهل الدعارة والفساد (ثم سئلوا) من جهة طائفة أخرى عند تلك الناراة
والرجفة الهائلة (الفتنة) أى الردة والرجعة إلى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الإيمان والطاعة
(لأنها) لا أعطوها غير مبالغين بما دهاهم من الداهية الذهباء والغارة الشعواء وقرىء لأنوها
بالقصر أى لفعلوها وجاموها (وما تلبثوا بها) بالفتنة أى ما لبثوها وما آخروها (إلا يسيراً) ريثما يسع
السؤال والجواب من الزمان فضلاً عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل ما لبثوا
بالمدينة بعد الارتداد إلا يسيراً والأول هو اللائق بالمقام هذا وأما تخصيص فرض الدخول بتلك
العساكر المتحيزة فمع مناقاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع
لما عرفت من أن مساق النظم الكريم لبيان أهم إذا دعوا إلى الحق فعلوا بشيء يسريرون دعوا إلى
الباطل سارعوا إليه أثر ذى أثر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم ففرض الدخول عليهم من
جهة العساكر المذكورة وإسناد سؤال الفتنة والدعوة إلى الكفر إلى طائفة أخرى مع أن العساكر هم
المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الإعراض عن الحق المجدون في البقاء
إلى الكفر والضلال بمعزل من التقريب (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار) فإن بنى ١٥
حارثة عاهدوا رسول الله ﷺ يوم أحد حين فشلوا أن لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم ظابوا عن وقعة بدر
ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله قتالاً لثقاتنا (وكان عهد الله
مستولاً) مطلوباً مقتضى حتى يوفى به وقيل مستولاً عن الوفاء به وبجأى عليه (قل إن ينفعكم الفرار إن ١٦
فررتم من الموت أو القتل) فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنف أو قتل سيف في وقت معين سبق به
القضاء وجرى عليه القلم (وإذن لا تتمعون إلا قليلاً) أى وإن نفعكم الفرار مثلاً فنتعم بالناخير لم يكن ذلك
التمتع إلا تمتعاً قليلاً أو زماناً قليلاً (قل من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم ١٧

قَدِيعُ اللَّهِ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ٣٣ الأحزاب

أَشْجَةً عَلَيْهِمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشْجَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَا يَتُومِنُوا فَاَحْبَطْ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ٣٣ الأحزاب

يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوِائِهِمْ بِأَدُونِ فِي الْأَعْرَابِ يَسْعَاوْنَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ ٣٣ الأحزاب

- رحمة أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع (ولا يجردون لهم من دون الله ولياً) يفهمهم (ولا نصيراً) يدفع عنهم الضرر (قد يعلم الله المعوقين منكم) أي المشبطين للباس عن رسول الله ﷺ وهم المنافقون (والقائلين لإخوانهم) من منافق المدينة (هلم إلينا) وهو صوت سمى به فعل متعدد نحو احضروا قرب ويستوى فيه الواحد والجماعة على لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون هلم يارجل واهلوا يارجل أي قربوا أنفسكم إلينا وهذا يدل على أنهم عند هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة (ولا يأتون البأس) أي الحراب والقتال (إلا قليلاً) أي إتياناً أو زماناً أو بأساً قليلاً فإنهم يعتذرون ويثبطون ما أمكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يومومونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاثلون إلا شيئاً قليلاً إذا اضطرر واليه كقوله تعالى ما قاتلوا إلا قليلاً وقيل لأنه من تمة كلامهم معناه ولا يأتي أصحاب محمد حرب الأحزاب ولا يقاومونهم إلا قليلاً (أشجة عليكم) أي بخلاء عليكم بالمعونة أو النفقة في سبيل الله أو الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون أو من المعوقين أو على الذم (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم) في أحداقهم (كالذي يغشى عليه من الموت) صفة لمصدر ينظرون أو حال من فاعله أو لمصدر تدور أو حال من أعينهم أي ينظرون نظراً كائناً كنظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذراً وخوراً ولو أذا بك أو ينظرون كائنين كالذي الخ أو تدور أعينهم دوراناً كائناً كدوران عينه أو تدور أعينهم كائنة كعينه (فإذا ذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) ضربوكم (بالسنة حداد) وقالوا وفروا قسمتنا فإننا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكائنا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان وقرى سلقوكم (أشجة على الخير) نصب على الحالية أو الذم ويؤيده القراءة بالرفع (أولئك) الموصوفون بما ذكر من صفات السوء (لم يؤمنوا) بالإخلاص (فأحبط الله أعمالهم) أي أظهر بطلانها إذ لم يثبت لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية أصلاً (وكان ذلك) الإحباط (على الله يسيراً) هيناً وتخصيص يسره بالذكر مع أن كل شيء عليه تعالى يسير لبيان أن أعمالهم حقيقة بأن يظهر حبوطها لكامل تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية (يحبسون الأحزاب لم يذهبوا) أي هؤلاء

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا ﴿٢١﴾

٣٣ الأحزاب

وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ
إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

٣٣ الأحزاب

لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم يهزموا ففروا إلى داخل المدينة (وإن يأت الأحزاب) كرة ثانية
(يودوا لو أنهم يادون في الأعراب) تمنوا أنهم خارجون إلى البدو حاصلون بين الأعراب وقرى. بدى
جمع باد كغاز وغزى (يسألون) كل قادم من جانب المدينة وقرى. يسألون أى يتسألون ومعناه يقول
بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتسألون الأعراب كما يقال رأيت الهلال وترادىناه فإن صيغة
التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما أسندت إليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل
كما فى المثال المذكورة ونظائره (عن أنبائكم) عما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) هذه الكرة ولم يرجعوا
إلى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا إلا قليلا) رياء وخوفا من التعبير (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة ٢١
حسنة) خصلة حسنة حقها أن يؤتى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد أو هو فى نفسه قدوة يحق
الناسى به كقولك فى البيضة عشرون مناحيدا أى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرى. بكسر الهمزة
وهى لغة فيها (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أى ثواب الله أو لقاءه أو أيام الله واليوم الآخر
خصوصاً وقيل هو مثل قولك أرجو زيدا وفضله فإن اليوم الآخر من أيام الله تعالى ولمن كان صلة
لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم والآخرون على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه (وذكر الله)
أى وقرن بالرجاء ذكر الله (كثيرا) أى ذكرأ كثيرا أو زمانا كثيرا أفان المثابة على ذكره تعالى تؤدى
إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الانتساب برسول الله ﷺ (ولما رأى المؤمنون الأحزاب) بيان لما صدر ٢٢
عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشئون واختلاف الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم أى لما شاهدوهم
حسبا وصفوا لهم (قالوا هذا) مشيرين إلى ما شاهدوه من حيث هو من غير أن يخطر ببالهم لفظ
يدل عليه فضلا عن تكثيره وتأنينه فإنهم من أحكام اللفظ كما مر فى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة
قال هذا ربى وجهه لإشارة إلى الخطب أو البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار
الحبر الذى هو (ما وعدنا الله ورسوله) فإن ذلك العنوان أول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم
بذلك ما وعدوه بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم
البأساء والضراء إلى قوله تعالى إلا إن نصر الله قريب وقوله ﷺ سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم
والعاقبة لكم عليهم وقوله ﷺ إن الأحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر وقرى. بكسر الراء
وفتح الهمزة (وصدق الله ورسوله) أى ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله أو صدقا فى النصرة والثواب
كما صدقا فى البلاء وإظهار الاسم للعظيم (وما زادهم) أى مارأوه (إلا إيمانا) بالله تعالى وبمواعيده
١٣٠ - أبى السعود ٧٥٠

مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا

٣٣ الأخراب

تَبْدِيلًا ﴿٣٣﴾

٢٣ (وأسليما) لا وأمره ومقاديره (من المؤمنين) أي المؤمنين بالإخلاص مطلقاً لا الذين حكيت محاسنهم خاصة (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول ﷺ والمقاولة لأعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا أنهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله ﷺ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمة ومصعب ابن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ومعنى صدقوا أتوا بالصدق من صدقي إذا قال لك الصدق ومحل ما عاهدوا النصب إما بطرح الخافض عنه وإيصال الفعل إليه كما في قولهم صدقي سن بكره أي في سنه وأما يجعل المعاهد عليه مصدوقاً على المجاز كأنهم خاطبوه خطاب من قال لسكرانه [نحرتي الأعداء إن لم تنحري] وقالوا له سنني بك وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا انكثوه لكذبوه وكان مكذوباً (فمنهم من قضى نحبه) تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم إلى قسمين والحب النذر وهو أن يلتزم الإنسان شيئاً من أعماله ويوجهه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار والمجرور الرفع على الابتداء على أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمناً بالله الآية أي فبعضهم أو فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر عم أنس ابن مالك وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فإنهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بأن يكون ما نذروه أفعالهم الاختيارية التي هي المقابلة المغيبة بما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيداً أو كان مستعاراً لالتزامه على ما سيأتي (ومنهم) أي وبعضهم أو وبعض منهم (من ينتظر) أي قضاء نحبه لكونه موقفاً كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فإنهم مستمرون على نذورهم قد قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله ﷺ والقتال إلى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون لقضاء بعضها الباقي وهو القتال إلى الموت شهيداً هذا ويجوز أن يكون النحب مستعاراً لالتزام الموت شهيداً إما بتنزيل التزام أسبابه التي هي أفعال اختيارية للنادر منزلة الالتزام نفسه وإما بتنزيل نفسه منزلة أسبابه وإيراد الالتزام عليه وهو الأنسب بمقام المدح وأياً ما كان ففي وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر شهادة بكمال اشتياقهم إلى الشهادة وأما ما قبل من أن النحب استعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة كل حيوان فسخ للاستعارة وذهب برونقها وإخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام الكلية (وما بدلوا) عطف على صدقوا وقاعله فاعله أي وما بدلوا عهدهم وما غيروه (تبديلاً) أي تبديلاً مالا أصلاً ولا وصفاً بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون أما الذين قضوا فظاهر وأما الباقيون فيشهد به انتظارهم أصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الأول مع ظهور حالهم بالإيدان بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾

٣٣ الأحزاب

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾

٣٣ الأحزاب

و يجوز أن يكون ضمير بدلوا المنتظرين خاصة بناء على أن المحتاج إلى البيان حالهم وقد روى أن طلحة رضى الله عنه ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيب يده فقال ﷺ أو جب طلحة الجنة وفي رواية أو جب طلحة وعنه ﷺ في رواية جابر رضى الله عنه من سره أن ينظر إلى شهيد يمشى على الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضى الله عنها من سره أن ينظر إلى شهيد يمشى على الأرض وقد قضى نحوه فلينظر إلى طلحة وهذا يشير إلى أنه من الأولين حكما (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) ٢٤ متعلق بمضمرة مستأنفة مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو دواعى وقوع ما حكى من الأحوال والأقوال على التفصيل وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كأنه قيل وقع جميع ما وقع ليجزى الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولاً وفعلاً (ويعذب المنافقين) بما صدر عنهم من الأعمال والأقوال المحكية (إن شاء) تعذيبهم (أو يتوب عليهم) إن تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق وإثباته المعرض به كأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما يفهم من قوله تعالى وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب كأنه قيل ابتلاهم الله تعالى بروية ذلك الخطب ليجزى الآية فتأمل وبالله التوفيق (إن الله كان غفوراً رحيماً) أى لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث إلى التوبة وقوله تعالى (ورد الله الذين كفروا) رجوع إلى حكاية بقية القصة وتفصيل تمة النعمة المشار إليها إجمالاً بقوله تعالى فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها معطوف إما على المضمرة المقدرة قبل قوله تعالى ليجزى الله كأنه قيل إثر حكاية الأمور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ وإما على أرسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة طامة تميزت بها العقول والأفهام وداهية تامة تحاكت منها الركب وزلت الأقدام وتفصيل ما صدر عن فريق أهل الإيمان وأهل الكفر والنفاق من الأحوال والأقوال لإظهار عظم النعمة وإبانة خطرها الجليل ببيان وصولها إليهم عند غاية احتياجهم إليها أى فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى (بغضهم) حال من الموصول أى ملتبسين به وكذا قوله تعالى (لم ينالوا خيراً) بتداخل أو تعاقب أى غير ظافرين بخير أو الثانية بيان للأولى أو استئناف (وكفى الله المؤمنين القتال) بما ذكر من إرسال الرياح والجنود (وكان الله قوياً) على إحداث كل ما يريد (عزيراً)

٢٥

وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِهِمْ وَقَدْفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرَّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ
وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾

٣٣ الأحزاب

وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ٣٣ الأحزاب
يَتَأَيَّأُ النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسْرِحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾

٣٣ الأحزاب

٢٦ غالباً على كل شيء (وأنزل الذين ظاهروهم) أي عاونوا الأحزاب المردودة (من أهل الكتاب) وهم بنو قريظة (من صباصيم) من حصونهم جميع صيبية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبي وشوكه الديك (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف الشديد بحيث أسلوا أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للأسر حسبا ينطق به قوله تعالى (فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً) من غير أن يكون من جهتهم حراك فضلاً عن المخالفة والاستعصاء روى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا السلاح فقال أنتزع لأمك والملائكة ما وضعوا السلاح إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة وأنا عاهد إياهم فاذن في الناس أن لا يصلوا العصر إلا ببني قريظة فحاصروهم إحدى وعشرين أو خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به لحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسأهم فكبر النبي ﷺ وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة إلى تسعمائة وأسر سبعمائة وقرىء تأسرون بضم السين كما قرىء الرعب بضم العين ولعل تأخير المفعول في الجملة الثانية مع أن مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه كما في قوله تعالى ففريقاً قتلنا وفريقاً قتلنا وقوله تعالى فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون لمراعاة الفواصل (وَأُورِثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ) أي حصونهم (وأموالهم) نقودهم وأثاثهم ومواشيهم روى أن رسول الله ﷺ جعل عقارهم للهاجرين دون الأنصار فقالت الأنصار في ذلك فقال ﷺ إنكم في منازلكم فقال عمر رضي الله عنه أما تخمس كما خست يوم بدر فقال ﷺ لا إنما جعلت هذه لى طعمة دون الناس قالوا أرضينا بما صنع الله ورسوله (وأرضاً لم تطعوها) أي أورثكم في علمه وتقديره أرضاً لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل أرض تفتح إلى يوم القيامة وقيل خير (وكان الله على كل شيء قديراً) فقد شاهدتم بعض مقدوراته من إيراث الأراضى التي تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها (بأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا) أي السعة والتنعيم فيها (وزينتها) وزخافها (فتعالين) أي أقبلن بارادتكين واختياركن لأحدى الخصلتين كما يقال أقبل بخاصمى وذهب يكلمنى وقام يهددنى (أمتعنك) بالجزم جواباً للأمر وكذا (وأسرحنك) أي أعطكن المتعة وأطلقكن (سراحاً جميلاً) طلاقاً من غير ضرار وقرىء بالرفع على الاستئناف روى أنهم سأله ﷺ ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة

٢٨

وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
 يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى
 اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

٣٣ الاحزاب

تغيرها فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختارها فشكر لها الله ذلك فنزل
 لا يحل لك النساء من بعد واختلف في أن هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق إليهن حتى يقع الطلاق
 بنفس الاختيار أولا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما كان
 تخييراً لمن بين الارادتين على أنهن إن أردن الدنيا فارقهن ﷺ كما ينبغي عنه قوله تعالى فتعالين أمتعن
 وأسرحكن وذهب آخرون إلى أنه كان تفويضاً للطلاق إليهن حتى لو أنهن اخترن أنفسهن كان ذلك
 طلاقاً وكذا اختلف في حكم التخيير فقال ابن عمر وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم إذا خير رجل
 امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء أصلاً ولو اختارت نفسها وقعت طلاقاً بائنة عندنا ورجعية عند
 الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان وروى عن زيد بن ثابت أنها إن اختارت
 زوجها يقع طلاقاً واحدة وإن اختارت نفسها يقع ثلاث طلاقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك
 وروى عن علي رضي الله عنه أنها إن اختارت زوجها فواحدة رجعية وإن اختارت نفسها فواحدة بائنة
 وروى عنه أيضاً أنها إن اختارت زوجها لا يقع شيء أصلاً وعليه إجماع فقهاء الأمصار وقد روى عن
 عائشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله ﷺ فاختارناه ولم يعده طلاقاً وتقديم التمتع على التسريح من باب
 السكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من أول الأمر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند
 العقد واجبة عندنا وفيما عداهن مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار إلا أن يكون
 نصف مهرها أقل من ذلك فحينئذ يجب لها الأقل منهما ولا ينقص عن خمسة دراهم (وإن كنتم تردن الله
 ورسوله) أي تردن رسول الله وذكركم الله عز وجل للإيذان بجلالة محله ﷺ عنده تعالى (والدار الآخرة)
 أي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها جميعاً (فإن الله أعد للمحسنات منكم) بمقابلة إحسانهن
 (أجراً عظيماً) لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين لأن كلهن محسنات وتجريد الشرطية الأولى عن *
 الوعيد للبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الإكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتع
 على التسريح وفي وصف السراح بالجميل (يانساء النبي) تلوين للخطاب وتوجيه له إلبين لإظهار الاعتناء
 بنصحهن ونداؤهن هنأ وفيما بعده بالإضافة إليه ﷺ لأنها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الأحكام
 (من يأت منكم بفاحشة مبينة) ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرىء بفتح الياء والمراد بها
 كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله ﷺ ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه أو
 ما يضيق به ذرعوه ويغتم لأجله وقرىء تأت بالفوقانية (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي يعذبهن ضعف
 عذاب غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فإن زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة عليه

وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا

٣٣ الأحزاب

كَرِيمًا ﴿٣١﴾

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ

٣٣ الأحزاب

مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ٣٣ الأحزاب

ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وهو تب الانبياء عليهم الصلاة والسلام بما لا يعاتب به الام
وقرى. يضعف على البناء للمفعول ويضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب
(وكان ذلك على الله يسيراً) لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي ﷺ بل يدعو به الى مراعاة حقه
٣١ (ومن يقنت منكن) وقرى. بالناء أى ومن يدم على الطاعة (لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها
مرتين) مرة على الطاعة والتقوى وأخرى على طلبهن رضا رسول الله ﷺ بالقناعة وحسن المعاشرة وقرى.
يعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها على أن فيه ضمير اسم الله تعالى (وأعتدنا لها) فى الجنة زيادة على
٣٢ أجرها المضاعف (رزقا كريماً) مرضياً (يانساء النبي لستن كأحد النساء) أصل أحد واحد بمعنى الواحد
ثم وضع فى النفي مستوياً فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات
النساء فى الفضل والشرف (إن اتقيتن) مخالفة حكم الله تعالى ورضا رسوله أو إن اتصفتن بالتقوى كما
هو اللائق بحالكن (فلا تحضعن بالقول) عند مخاطبة الناس أى لا تجبن بقولكن خاضعاً لينا على سنن
قول المريات والمومسات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى لجور وريبة وقرى. بالجزم عطفاً على محل
فعل النهى على أنه نهى لمرضى القلب عن الطمع عقيب نهين عن الإطماع بالقول الخاضع كأنه قيل فلا
تحضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب (وقلن قولاً معروفاً) بعيداً عن الريبة والإطماع بمجد وخشونة
٣٣ من غير تخنيت أو قولاً حسناً مع كونه خشناً (وقرن فى بيوتكن) أمر من قريقر من باب علم وأصله
اقررن لحذفت الراء الاولى وألقت فتحتها على ما قبلها كما فى قولك ظلن أو من قاريقار إذا اجتمع وقرى.
بكسر القاف من وقرىقر وقاراً إذا ثبت واستقر وأصله اقرن ففعل به ما فعل بعدن من وعد أو من
قريقر حذفت إحدى راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن (ولا تبرجن) أى لا تتبخترن
فى مشيكن (تبرج الجاهلية الاولى) أى تبرجا مثل تبرج النساء فى الجاهلية القديمة وهى ما بين آدم ونوح
وقبل ما بين إدريس ونوح عليهما السلام وقيل الزمان الذى ولد فيه إبراهيم عليه السلام كانت المرأة
تلبس درعاً من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان عليهما
السلام والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية

وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ۝ ٣٣ الْأَحْزَابُ
 إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِيطِينَ وَالْقَنِيطَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ
 وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ
 وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ
 لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ۝ ٣٣ الْأَحْزَابُ

الكفر والجاهلية الأخرى الفسوق في الإسلام ويؤيده قوله ﷺ لأبي الدرداء إن فيك جاهلية قال
 جاهلية كفر أو جاهلية إسلام قال بل جاهلية كفر (وأقن الصلاة وآتين الزكاة) أمرن بهما لإناقتهما
 على غيرهما وكونهما أصلي الطاعات البدنية والمالية (وأطمن الله ورسوله) أى في كل مائتين وما تذر
 لاسيما فيما أمرتن به ونهين عنه (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى الذنب المدنس لمرضكم وهو
 تعليل لأمرهن ونهينهن على الاستئفاف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث
 قيل بطريق النداء أو المدح (أهل البيت) مراد بهم من حوام بيت النبوة (ويطهركم) من أوضار
 الأوزار والمعاصي (تطهيراً) بليغاً واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه
 كما ترى آية بينة وحيجة نيرة على كون نساء النبي ﷺ من أهل بيته قاضية بيطان رأى الشيعة في تخصيصهم
 أهل البيت بفاطمة وعلى وابنه مارضوان الله عليهم وأماماتهم سكوا به من أن رسول الله ﷺ خرج ذات غدوة
 وعليه مرط من رجل من شعر أسود وجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء على فأدخله فيه ثم جاء الحسن
 والحسين فأدخلهما فيه ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فإني أريد على كونهم من أهل
 البيت لأعلى أن من عدام لبسوا كذلك ولو فرضت دلالة على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص
 (واذكرن ما يتلى في بيوتكن) أى اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن (من آيات
 الله والحكمة) من الكتاب الجامع بين كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه
 حكمة منطوية على فنون العلوم والشرائع وهو تذكير بما أنعم عليهم حيث جعلهم أهل بيت النبوة ومهبط
 الوحي وما شاهدن من برحاء الوحي مما يوجب قوة الإيمان والحرص على الطاعة حثاً على الانتهاء
 والانتهاز فيما كلفنه والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع أنه لا نسب لكونها مهبط الوحي
 لعمومها لجميع الآيات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتكنن من الذكر والتذكير بخلاف
 النزول وعدم تعيين التالى لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما الصلاة والسلام وتلاوتهن وتلاوة
 غيرهن تعلماً وتعلماً (إن الله كان لطيفاً خبيراً) يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الأمر
 والنهي أو يعلم من يصلح للنبوة ومن يستأهل أن يكون من أهل بيته (إن المسلمين والمسلمات) أى الداخلين
 في السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والإناث (والمؤمنين والمؤمنات) المصدقين بما يجب أن يصدق

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٣﴾

٣٣ الأحزاب

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ

٣٣ الأحزاب

مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

به من الفريقين (والقانتين والقانتات) المداومين على الطاعة القائمين بها (والصادقين والصادقات) في القول والعمل (والصابرين والصابرات) على الطاعات وعن المعاصي (والخاشعين والخاشعات) المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم (والمتصدقين والمتصدقات) بما وجب في مالهم (والصائمين والصائمات) الصوم المفروض (والحافظين فروجهم والحافظات) عن الحرام (والذاكرين الله كثيراً والذاكرات) بقلوبهم وألسنتهم (أعد الله لهم) بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة (مغفرة) لما اقترفوا من الصغائر لأنهن مكفرات بما عملوا من الأعمال الصالحة (وأجرأ عظيماً) على ما صدر عنهم من الطاعات والآيات وعدلن ولا مثالن على الطاعة والتدريج هذه الخصال الحميدة روى أن أزواج النبي ﷺ ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فافينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة

أم سلمة وروى أنه لما نزل في نساء النبي ﷺ ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الإناث على الذكور لاختلاف الجنسيتين وهو ضروري وأما عطف الزوجين على الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضرورياً ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على أن مدار إعدادهما أعداء لهم جميعهم بين هذه النعوت الجميلة (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أي ماصح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين والمؤمنات (إذا قضى الله ورسوله أمراً) أي إذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم أمره ﷺ أو للإشعار بأن قضاءه ﷺ قضاء الله عز وجل لأنه نزل في زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله وقيل في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها من زيد فسخطت هي وأخوها وقالوا إنما أردنا الله ورسوله فزوجنا عبده (أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) أن يختاروا من أمرهم ما شاءوا بل يجب عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه ﷺ واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني الرسول ﷺ والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالناء (ومن يعص الله ورسوله) في أمر من الأمور ويعمل فيه برأيه (فقد ضل) طريق الحق (ضلال مبيناً) أي بين الانحراف عن سنن الصواب (وإذ تقول) أي واذكر وقت قولك (الذي أنعم الله عليه) بتوفيقه

٣٧

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾

٣٣ الأحزاب

- للإسلام وتوفيقك لحسن تربيته ومراعاته (وأنعمت عليه) بالعمل بما وفقك الله له من فنون الإحسان التي من جهلها تحريره وهو زيد بن حارثة وإيراده بالعنوان المذكور لبيان منافاة حاله لما صدر عنه ﷺ من إظهار خلاف ما في ضميره إذ هو إنما يقع عند الاستحياء أو الاحتشام وكلاهما بما لا يتصور في حق زيد (أمسك عليك زوجك) أي زنب و ذلك أنه ﷺ أبصرها بعد ما أنكحها إياه فوقع في نفسه حالة جبلية لا يكاد يسلم منها البشر فقال سبحانه الله مقلب القلوب و سمعت زنب بالتسبيحة فذكرتها لزيد فقطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي ﷺ وقال أريد أن أفارق صاحبتي فقال مالك أراك منه شيء قال لا والله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها لشرفها تتعظم على فقال له أمسك عليك زوجك (و اتق الله) في أمرها فلا تطلقها لإضراراً وتعللاً بتكبرها (وتخفى في نفسك ما الله مبديه) وهو نكاح إن طلقها أو إرادة طلاقها (وتخشى الناس) تعييرهم إياك به (والله أحق أن تخشاه) إن كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الإخفاء و - دة بل على الإخفاء مخافة قاله الناس وإظهار ما ينافي إضماره فإن الأولى في أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الأمر إلى ربه (فلما قضى زيد منها وطراً) بحيث لم يبق له فيها حاجة و طلقها و انقضت عدتها و قيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك (زوجناكم) و قرئ • زوجتكم والمراد الأمر بتزويجها منه ﷺ و قيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد و يؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي ﷺ إن الله تعالى تولى نكاحي وأنن زوجكن أولياؤكن و قيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة إيمانه (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) ضيق ومشقة (في أزواج أديعتهم) أي في حق تزويجهم (إذا قضوا منهن وطراً) فإن لهم في رسول الله أسوة حسنة وفيه دلالة على أن حكمه ﷺ وحكم الأمة سواء إلا ما خصه الدليل (وكان أمر الله) أي ما يرتد تكوينه من الأمور أو مأموره الخاص بكن (مفعولاً) مكنوناً لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله (ما كان على النبي من ٣٨ حرج) أي ماصح وما استقام في الحكمة أن يكون له ضيق (فيما فرض الله له) أي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لأعطياتهم (سنة الله) اسم موضوع موضع المصدر كقولهم ترأباً و جندلاً مؤكداً لما قبله من نفى الحرج أي سن الله ذلك سنة (في الذين خلوا) مضوا (من قبل) من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كانت لداود عليه السلام مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلثمائة امرأة وسبع مائة سرية وقوله تعالى (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) أي قضاء مقضياً وحكماً مبتوتاً اعتراض وسط بين الموصولين الجار بين مجرى الواحد للمسارعة إلى تقرير نفى الحرج وتحقيقه .

الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٣﴾ الْأَحْزَابُ

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

الْأَحْزَابُ ٣٣

عَلِيمًا ﴿٣٤﴾

الْأَحْزَابُ ٣٣

يُنَادِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٣٥﴾

الْأَحْزَابُ ٣٣

وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٣٦﴾

٣٩ (الذين يبلغون رسالات الله) صفة للذين خلوا أو مدح لهم بالنصب أو بالرفع وقرئ رسالة الله

(ويخشونه) في كل ما يأتون ويذرون لاسيما في أمر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تأخذهم

في ذلك لومة لائم (ولا يخشون أحدا إلا الله) في وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعالى تعريض بمصدر

عنه ﷺ من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه

(وكفى بالله حسيباً) كافياً للخاوف فينبغي أن لا يخشى غيره أو محاسباً على الصغيرة والكبيرة فيجب

٤٠ أن يكون حق الخشية منه تعالى (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) أى على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه

ما ثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومها بكونه ﷺ أباً الطاهر والقاسم

وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالاً له ﷺ لا لهم (ولكن رسول الله) أى كان رسولاً

لله وكل رسول أبو أمته لكن لا حقيقة بل بمعنى أنه شفيق ناصح لهم وسبب حياتهم الأبدية وما زيد إلا

واحد من رجالكم الذين لا ولادة بينهم وبينه ﷺ لحكمه حكمهم وليس للنبي والادعاء حكم سوى

التقريب والاختصاص (وخاتم النبيين) أى كان آخرهم الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء أى كان خاتمهم

ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبياً ختم النبيين وأياً ما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبياً ولم يكن هو

ﷺ خاتم النبيين كما يروى أنه قال في إبراهيم حين توفي لو عاش لكان نبياً ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده

عليهما السلام لأن معنى كونه خاتم النبيين أنه لا ينبا أحد بعده وعيسى ممن نبى قبله وحين ينزل إنما ينزل

عملاً على شريعة محمد ﷺ مصلياً إلى قبلته كأنه بعض أمته (وكان الله بكل شيء عليماً) ومن جملة هذه

٤١ الأحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك ريب (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله) بما هو أهله

٤٢ من التهليل والتحميد والتجديد والتقدیس (ذكرأ كثيراً) يعم الأوقات والأحوال (وسبحوه) وزهوه

عما لا يليق به (بكرة وأصيلاً) أى أول النهار وآخره على أن تخصيصهما بالذكر ليس لفصل التسبيح

عليهما دون سائر الأوقات بل لإبانه فضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهودين كأفراد التسبيح

من بين الأذكار مع اندراجها فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه إليهما كقولك صم وصل

يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلاة .

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ

رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٣٣ الأحزاب

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾

٣٣ الأحزاب

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾

٣٣ الأحزاب

- (هو الذي يصلي عليكم) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من الأمرين فإن صلاته تعالى عليهم مع ٤٣ عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسيحه وقوله تعالى (وملائكته) عطف على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة أولا والاستغفار ثانياً فإن استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على أن يراد بهما معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فرداً حقيقياً له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح أمرهم فإن كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له أو الترحم والانعطاف المعنوي المأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في أن استغفار الملائكة ودعائهم للمؤمنين ترحم عليهم وأما أن ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابى الدعوة بما قيل فاعتباره ينزع إلى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) متعلق بيصلي أى يعنى بأمرهم • هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة وقوله تعالى (وكان بالمؤمنين رحيماً) • اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أى كان بكافة المؤمنين الذين أنتم من زمرة رحيماً ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء بإصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم إلى الإيمان والطاعة أو كان بكر رحيماً على أن المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحاً لهم وإشعاراً بعلّة الرحمة وقوله تعالى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) بيان ٤٤ للأحكام الآجلة لرحمة الله تعالى بهم بعد بيان آثارها العاجلة التي هي الاعتناء بأمرهم وهدايتهم إلى الطاعة أى ما يحبون به على أنه مصدر أضيف إلى مفعوله يوم لقائه عند الموت أو عند البعث من القبور أو عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيماً لهم أو من الملائكة بشارة لهم بالجنة أو تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم أو إخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى (وأعد لهم أجراً كريماً) بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته الواصلة إليهم قبل ذلك ولعل إشار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بأن يقال مثلاً وأجرهم أجر كريم أو لهم أجر كريم للببالغة في الترغيب والتشويق إلى الموعد ببيان أن الأجر الذي هو المقصد الأقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل (يا أيها النبي إنا ٤٥ أرسلناك شاهداً) على من بعثت إليهم تراقب أحوالهم وتشاهد أعمالهم وتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيامة أداء مقبولا

٣٣ الأحزاب

وَدَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾

٣٣ الأحزاب

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾

وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ٣٣ الأحزاب

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَلََكُمْ عَلَيْهِنَّ

٣٣ الأحزاب

مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَنْعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾

٤٦ فيها لهم وما عليهم وهو حال مقدرة (و مبشراً ونذيراً) تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكافرين بالنار (وداعياً

إلى الله) أى إلى الإقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الإيمان به من صفاته وأفعاله (بإذنه) أى بتيسيره أطلق عليه مجازاً لما أنه من أسبابه وقيد به الدعوة لإذناناً بأنها أمر صعب المنال وخطب في غاية الإعضال

لا يتأتى إلا بإمداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وإدخال الأعناق في فلاة غير معبودة (وسراجاً منيراً) يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويمتدى بأنواره إلى مناهج

٤٧ الرشد والهداية (وبشر المؤمنين) عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كأنه قيل فراقب

أحوال الناس وبشر المؤمنين منهم (بأن لهم من الله فضلاً كبيراً) أى على مؤمنى سائر الأمم في الرتبة والشرف أو زيادة على أجور أعمالهم بطريق التفضل والإحسان (ولا تطع الكافرين والمنافقين) نهى

٤٨ عن مداراتهم في أمر الدعوة واستعمال لين الجانب في التبليغ والمساحة في الإنذار كنى عن ذلك بالنهى

عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهى عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهى على التهييج والإلهاب فقد أبعد عن التحقيق بمراحل (ودع أذانهم) أى لا تبال بأذيتهم لك بسبب تصلبك

في الدعوة والإنذار (وتوكل على الله) في كل ما تأتى وما تذر من الشئون التى من جعلتها هذا الشأن فإنه تعالى يكفيسكم (وكفى بالله وكيلاً) موكولاً إليه الأمور في كل الأحوال وإظهار الاسم الجليل في

موضع الإضمار لتعليل الحكم وتأكيده استقلال الاعتراض التذييل ولما وصف ﷺ بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا أنه لم يذكر مقابل الشاهد صريحاً وهو الأمر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة مقابل

المبشر عليه وهو الأمر بالتبشير حسبما ذكر آنفاً وقوبل النذير بالنهى عن مداراة الكفار والمنافقين والمساحة في إنذارهم كما تتحققته وقوبل الداعى إلى الله بإذنه بالأمر بالتوكل عليه من حيث إنه عبارة عن

الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فإن من أيداه الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهاناً نيراً يهتدى الخلق من ظلمات الغى إلى نور الرشاد تحقيقاً بأن يكتفى به عن كل ما سواه

٤٩ (بأيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أى تجمعهن وقربى تمسوهن بضم التاء (فما لكم عليهن من عدة) بأيام يتر بصن فيها بأنفسهن (تعتدونها) تستوفون عددها من عدت

الدرام فاعتدها وحقيقته عددها لنفسه وكذلك كتبه فآكله والإسناد إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ
عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً
مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

٣٣ الأحزاب

الأزواج كما أشعر به قوله تعالى فما لكم وقرىء تعتدونها على إبدال إحدى الدالين بالتاء أو على أنه من
الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلو الصريحة في حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم
للكتاتيات للتنبيه على أن المؤمن من شأنه أن يتخير لنطقه ولا ينكح إلا مؤمنة وفائدة ثم إزاحة ماعسى
يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما تمكن الإصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب (فتموهن) أى إن لم يكن
مفروضاً لها في العقد فإن الواجب للبفروض لها نصف المفروض دون المتعة فإنها مستحبة عندنا في رواية
وفي أخرى غير مستحبة (وسرحوهن) أخرجوهن من منازلكن إذ ليس لكم عليهن عدة (سراحاً
جيلة) من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السفى لأنه إنما يتسنى في المدخول بهن
(يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أى مهورهن فإنها أجوراً لأبضاعهن وإتاؤها
إما إعطاؤها معجلة أو تسميتها في العقد وأياً ما كان فتقييد الإحلال له ﷺ به ليس لتوقف الحل عليه
ضرورة أنه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل أو المتعة على تقدير المدخول وعدمه بل لإيثار
الأفضل والأولى له ﷺ كتنقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى (وما ملكت يمينك مما أفاء
الله عليك) فإن المشتراة لا يتحقق بده أمرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه
في قوله تعالى (وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) ويحتمل
تقييد الحل بذلك في حقه ﷺ خاصة ويعضده قول أم هانئ بنت أبي طالب خطبت رسول الله ﷺ
فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لآتي لم أهاجر معه كنت من الطلقاء (وامرأة
مؤمنة) بالنصب عطفاً على مفعول أحللنا إذ ليس معناه إنشاء الإحلال الناجز بل إعلام مطلق الإحلال
المنتظم لما سبق ولحق وقرىء بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف أى أحللنا لك أيضاً (إن وهبت نفسها
للنبي) أى ملكته بضعها بأى عبارة كانت بلا مهر إن اتفق ذلك كما ينبغي عنه تنكيرها لكن لا مطلقاً بل
عند إرادته ﷺ استنكاحها كما نطق به قوله عز وجل (إن أراد النبي أن يستنكحها) أى أن يتملك بضعها
كذلك أى بلا مهر فإن ذلك جار منه ﷺ مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصاً في كون تملكها بلفظ الهبة
لم يصلح أن يكون مناطاً للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة إيجاباً أو سلباً واختلف في اتفاق هذا العقد
فمن ابن عباس رضى الله عنهما لم يكن عنده ﷺ أحد منهن بالهبة وقيل الموهوبات أربع ميمونة بنت
الحريث وزينب بنت خزيمة الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وإيراده ﷺ في الموضعين

تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُقْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ أَبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ
أَدْنَىٰ أَنْ تَقْرَءَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ

٣٣ الأحزاب

عَلِيًّا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

- بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والإيذان بأنها المناط لثبوت الحكم فيختص به ﷺ حسب
 • اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى (خالصة لك) أى خلص لك إحلالها خالصة أى خلوصاً فإن الفاعلة
 فى المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة أو خلص لك إحلال ما أحللت لك من المذكورات على القيود
 • المذكورة خالصة ومعنى قوله تعالى (من دون المؤمنين) على الأول أن الإحلال المذكور فى المادة
 الممودة غير متحقق فى حقهم وإنما المتحقق هناك الإحلال بمهر المثل وعلى الثانى أن إحلال الجميع على القيود
 المذكورة غير متحقق فى حقهم بل المتحقق فيه إحلال البعض المعدود على الوجه الممودة وقرئ. خالصة بالرفع
 على أنه خبر مبتدأ محذوف أى ذلك خلوص لك وخصوص أوى أى تلك المرأة أو الهبة خالصة لك لا تتجاوز
 • المؤمنين حيث لا تحمل لهم بغير مهر ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم)
 • أى على المؤمنين (فى أزواجهم) أى فى حقهم اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الإحلال المذكور
 لرسول الله ﷺ وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان أنه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض
 • عليه ﷺ تكريمة له وتوسعة عليه أى قد علمنا ما ينبغى أن يفرض عليهم فى حق أزواجهم (وما ملكت
 أيانهم) وعلى أى حد وأى صفة يحق أن يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك
 • ببعض الخصائص (لكيلا يكون عليك حرج) أى ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى
 ثبوت الإحلال وحصوله له ﷺ لا باعتبار اختصاصه به ﷺ لأن مدار انتفاء الحرج هو الأول لا
 الثانى الذى هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره (وكان الله غفورا) لما يعسر التحرز عنه (رحيما) ولذلك وسع
 ٥١ الأمر فى مواقع الحرج (ترجى من تشاء منهن) أى تؤخرها وتترك مضاجعتها (وتقوى إليك من
 تشاء) وتضم إليك من تشاء منهن وتضاجعها أو تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ. ترجى.
 • بالهمزة والمعنى واحد (ومن ابتغيت) أى طلبت (من عزلات) طلقت بالرجعية (فلا جناح عليك) فى
 شىء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق أو يمسك فإذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم
 أو لم يقسم وإذا طلق فأما أن يخلى المعزولة أو يبتغيها وروى أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية
 وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ماشاء كما شاء وكانت مما آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب
 وأرجى خمساً وآوى أربعاً وروى أنه كان يسوى بينهن مع ما أطلق له وخير لإسودة فإنها وهبت ليلتها
 • لعائشة رضى الله عنهن وقالت لا أطلقن حتى أحشر فى زمرة نساءك (ذلك) أى ما ذكر من تفويض الأمر
 إلى مشيئتكم (أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) أى أقرب إلى قرة عيونهن ورضاهن
 جميعاً لأنه حكم كلهن فيه سواء ثم إن سويت بينهن وجدن ذلك تفضلاً منك وإن رجحت بعضهن علمن

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾

٣٣ الأحزاب

- أنه بحكم الله فتطمئن به نفوسهن وقرى. تقرر بضم التاء ونصب أعينهن وتقرر على البناء للمفعول وكلهن تأكيدون يرضين وقرى بالنصب على أنه تأكيد لمن (واقة يعلم ما في قلوبكم) من الضمائر والخواطير فاجتهدوا في إحسانها (وكان الله عليما) مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه (حليما) لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فإنه إهمال لا إهمال (لا يحل لك النساء) بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي ٥٢ ولوجود الفصل وقرى بالتاء (من بعد) أى من بعد التسع وهو في حقه كالأربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترتك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما توثيقهن من الوصل والهجران (ولا أن تبدل) أى تتبدل بمحذف إحدى التائين (بهن) أى هؤلاء التسع (من أزواج) بأن تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها أخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق * أراد الله تعالى لمن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفى ﷺ عنهن وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي الخيرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الأجناس الأربعة اللاتي أحملنهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الأعرايات والغرائب أو من الكتايات أو من الإمام بالنكاح وبأباه قوله تعالى ولا أن تبدل بهن فإن معنى إحلال الأجناس المذكورة إحلال نكاحهن فلا بد أن يكون معنى التبدل بهن إحلال نكاح غيرهن بدل إحلال نكاحهن وذلك لما يتصور بالنسخ الذي ليس من الوظائف البشرية (ولو أعجبك حسنهن) أى حسن الأزواج المستبدلة * وهو حال من فاعل تبدل لا من مفعوله وهو من أزواج لنوعه في التنكير قيل تقديره مفروضا أعجباك بهن وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولائمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم وقيل هي أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبي طالب أى هي عن أعجبه ﷺ حسنهن واختلف في أن الآية محكمة أو منسوخة قيل بقوله تعالى ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء وقيل بقوله تعالى إما أحلها لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف وقيل بالسنة وعن عائشة رضى الله عنها مامات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء وقال أنس رضى الله عنه مات ﷺ على التحريم (إلا ما ملكت يمينك) استثناء من النساء لأنه يتناول الأزواج والإماء وقيل منقطع (وكان الله على كل شيء رقيبا) حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله إلى حرامه .

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ
إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ
فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ
ذَلِكَ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ
بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾

٣٣ الأخراب

- ٥٣ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ) شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي ﷺ إثر بيان ما يجب مراعاته عليه ﷺ من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى (إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تدخلوها في حال من الأحوال إلا حال كونكم أو ذنا لكم وقيل من أعم الأوقات أي لا تدخلوها في وقت من الأوقات إلا وقت أن يؤذن لكم ورد عليه بأن النجاة نصوا على أن الوقوع موقع الظرف يختص بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال آتاك أن يصيح الديك وإنما يقال آتاك صباح الديك وقوله تعالى (إِلَى طَعَامٍ) متعلق بيؤذن بتضمنين معنى الدعاء للإشعار بأنه لا ينبغي أن يدخلوا على الطعام بغير دعوة وإن تحقق الإذن كما يشعر به قوله تعالى (غَيْرِ نَظِيرٍ إِنَّمَا) أي غير منتظرين وقته أو إدراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوها على أن الاستثناء واقع على الوقت والحال معاً عند من يجوزه أو من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جارياً على غير من هو له بلا إرباز الضمير ولا مساخ له عند البصريين وقرئ بالإمالة لأنه مصدر أنى الطعام أي أدرك (وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا) استدراك من النهي عن الدخول بغير إذن وفيه دلالة بينة على أن المراد بالإذن إلى الطعام هو الدعوة إليه (فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا) فنفروا ولا تلبثوا لأنه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبي ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لإدراكه بخصوصية بهم وبأمثالهم وإلا لما جاز لأحد أن يدخل بيوته ﷺ باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لا مرهم (وَلَا مُسْتَعْسِفِينَ لِحَدِيثٍ) أي لحديث بعضكم بعضاً أو لحديث أهل البيت بالتسميع له عطف على ناظرين أو مقدر بفعل أي ولا تدخلوا ولا تمسكوا مستأنسين الخ (إِنْ ذَلِكُمْ) أي الاستئناس الذي كنتم تفعلونه من قبل (كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ) لتضييق المنزل عليه وعلى أهله وإجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصدده عن الاشتغال بما يعنيه (فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ) أي من إخراجكم لقوله تعالى (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) فإنه يستدعي أن يكون المستحى منه أمراً حقاً متعلقاً بهم لا أنفسهم وما ذاك إلا إخراجهم فينبغي أن لا يترك حياءه ولذلك لم يترك تعالى وأمركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للشاكلة وقرئ لا يستحى بحذف الياء الأولى وإلقاء حركتها إلى ما قبلها (وَلِإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ) الضمير للنساء النبي المدلول عليهن بذكريوته ﷺ (مَتَاعًا) أي شيئاً يتمتع به من الماعون وغيره (فَالأَوْهَنَ) أي المتناع (مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) أي ستروا روى أن عمر رضى الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فزلات وقيل إنه ﷺ كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد

إِنْ تَبَدُّوا شَيْعًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾
 ٣٣ الأحزاب
 لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِيءِ آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُنْثَاءِ أَخَوَاتِهِمْ
 وَلَا نِسَائِهِمْ وَلَا مَمْلُوكَاتٍ أَيْمَنُوهُمْ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ ٣٣ الأحزاب
 إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ٣٣ الأحزاب

- حائشة رضى الله عنها فكره النبي ذلك فنزلت (ذلكم) أى ماذكر من عدم الدخول بغير إذن وعدم الاستئناس للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب (أظهر لقلوبكم وقلوبهم) أى أكثر تطهيراً من الخواطر الشيطانية (وما كان لكم) أى وما صح وما استفهام لكم (أن تؤذوا رسول الله) أى أن تفعلوا فى حياته فعلاً يكرهه وينأذى به (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً) أى من بعد وفاته أو فراقه (إن ذلكم) إشارة إلى ماذكر من إبدائه ﷺ ونكاح أزواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للإبذان ببعد منزلته فى الشر والفساد (كان عند الله عظيماً) أى أمراً عظيماً وخطباً هائلاً لا يقادر قدره .
 وفيه من تعظيمه تعالى لشأن رسوله ﷺ وإحجاب حرمة حياً وميتاً ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى فى الوعيد حيث قال (إن تبدوا شيئاً) بما لا خير فيه كنكاحهم على السننكم (أو تخفوه) فى صدوركم (فإن الله كان بكل شئ عليم) فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصى البادية والخافية لا محالة وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومباينة فى الوعيد (لا جناح عليهم فى آبائهم ولا أبنائهم ولا إخوانهم ولا أبناء إخوانهم ولا أبناء أخواتهم) استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نكلمن أيضاً من وراء الحجاب فنزلت وإنما لم يذكر العم والحال لأنهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم أباً فى قوله تعالى وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق أو لأنه كفى عن ذكرهما بذكر أبناء الأخوة وأبناء الأخوات فإن مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهما وبين الفريقين عين ما بينهما وبين العم والحال من العمومية والخزولة لما أنهن عمات لأبناء الأخوة وخالات لأبناء الأخوات وقيل لأنه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة أن يصفاهن لأبنائهما (ولا نسائهن) أى نساء المؤمنات (ولا مملكت أيمانهن) من العبيد والإماء وقيل من الإماء خاصة وقد مر فى سورة النور (واتقين الله) فى كل ما تأنن وما تذررن لاسيما فيما أمرتن به ونهيتهن عنه (إن الله كان على كل شئ شهيداً) لا تخفى عليه خافية ولا تنفوت فى عليه الأحوال (إن الله وملائكته) وقرئ . وملائكته ٥٦ بالرفع عطفاً على محل إن واسمها عند الكوفيين وحملوا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على رأى البصريين (يصلون على النبي) قبل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضى الله عنهما أراد أن الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه أيضاً يصلون ببركون وقال أبو العالية صلاة الله

إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ ٣٣ الأحزاب
وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مِثْلُنَا ﴿٥٨﴾ ٣٣ الأحزاب

تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاتهم دعاؤهم له فينبغي أن يراد بها في يصلون بمعنى يجازى عام
يكون كل واحد من المعاني المذكورة فرداً حقيقياً له أى يعتنون بما فيه خيره وصلاح أمره ويهتمون
• بإظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله سبحانه بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار (بأيها الذين
• آمنوا صلوا عليه) اعتنوا أنتم أيضاً بذلك فإنكم أولى به (وسلموا تسليماً) قائلين اللهم صل على محمد وسلم
أو نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد أمره والآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقاً من
غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه وقيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله ﷺ رغم أنف رجل
ذكرت عنده فلم يصل على وقوله ﷺ من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله ويروى
أنه ﷺ قال وكل الله تعالى بي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلى على إلا قال ذاك الملكان غفر الله لك
وقال الله تعالى وملائكته جواباً لذيتك الملكين آمين ولا أذكر عند مسلم فلا يصلى على إلا قال ذاك
ملكاً لا غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جواباً لذيتك الملكين آمين ومنهم من قال يجب في كل
مجلس مرة وإن تكرر ذكره ﷺ كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في أوله
وآخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في إظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط
ويستدعيه معرفة علو شأنه ﷺ أن يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع وأما الصلاة عليه في الصلاة بأن
يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد فليست
بشرط في جواز الصلاة عندنا وعن إبراهيم النخعي رحمه الله أن الصحابة كانوا يكتفون عن ذلك بما في
التشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما الشافعي رحمه الله فقد جعلها شرطاً وأما الصلاة على غير الأنبياء
عليهم الصلاة والسلام فتجوز تبعاً وتكره استقلالاً لأنه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره أن
يقال محمد عز وجل مع كونه عزباً جليلاً (إن الذين يؤذون الله ورسوله) أريد بالإيذاء إما فعل
٥٧ ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازاً لاستحالة حقيقة التأذى في حقه تعالى وقيل في إيذائه تعالى هو قول
اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام
شركاؤه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقيل قول الذين يلحدون في آياته وفي إيذاء الرسول ﷺ هو
قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم أحد وقيل طعنهم في
نكاح صفية والحق هو العموم فيهما وإما إيذاؤه ﷺ خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه
• والإيذان بجملة مقداره عنده تعالى وإيذاؤه ﷺ إيذائه سبحانه (لنعم الله) طردم وأبعدم من رحمته
(في الدنيا والآخرة) بحيث لا يكادون يتألمون فيهما شيئاً منها (وأعد لهم) مع ذلك (عذاباً مهيناً) يصيبهم
٥٨ في الآخرة خاصة (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات) يفعلون بهم ما يتأذون به من قول أو فعل وتقييده

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾

٣٣ الأحزاب

لِّئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾

٣٣ الأحزاب

مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتُلُوا قَتِيلًا ﴿٦١﴾

٣٣ الأحزاب

- بقوله تعالى (بغير ما اكتسبوا) أى بغير جناية يستحقون بها الأذية بعد إطلاقة فيما قبله الإيذان بأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق وأما أذى هؤلاء فنه ومنه (فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) أى ظاهراً * بيناً قيل إنها نزلت في منافقين كانوا يؤذون علماً رضى الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في أهل الإفك وقال الضحاك والكلبي في زناة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهم وكانوا لا يتعرضون إلا للإماء ولكر ربما كان يقع منهما التعرض للحرائر أيضاً جهلاً أو تجاهلاً لاتحاد الكل في الزى واللباس والظاهر عمومهم لكل ما ذكر ولما سيأتى من أراجيف المرجفين (بأيها النبي) بعد ما بين سوء حال المؤذنين زجر أ لهم ٥٩ عن الإيذاء أمر النبي ﷺ بأن يأمر بعض المتأذنين منهم بما يدفع إيذاءهم في الجملة من السترو التبرع عن مواقع الإيذاء فقيل (قل لأزواجك وبنااتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) الجلابيب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رءسها وتقي منه ما رسله على صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما ينستر به أى يغطين هارجوهن وأبدانهم إذا برزن لداعية من الدواعى ومن للتبعيض لما سر من أن المعهود التلغف ببعضها وإرخاء بعضها وعن السدى تغطي إحدى عينيها وجهتها والشق الآخر إلا العين (ذلك) أى ما ذكر من التغطى * (أدنى) أقرب (أن يعرفن) ويميزن عن الإماء والقيينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وإيذاهم (فلا يؤذين) من جهة أهل الريبة بالتعرض لهن (وكان الله غفوراً) لما سلف منهم من التفريط (رحيماً) بعباده حيث يراعى من مصالحهم أمثال هاتيك الجزئيات (لئن لم ينته المنافقون) عما هم عليه من النفاق وأحكامه الموجبة للإيذاء ٦٠ (والذين في قلوبهم مرض) عما هم عليه من النزول وما يستتبعه مما لا خير فيه (والمرجفون في المدينة) من الفريقين عما هم عليه من نشر أخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الأراجيف الملققة المستتبعة للأذية وأصل الإرجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الأخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة (لنغرينك بهم) لأننا مرناك بقتالهم وإجلائهم أو بما يضطرمهم إلى الجلاء ولنحرضك على ذلك (ثم لا يجاورونك) عطف على جواب القسم وثم الدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول ﷺ أعظم ما يصيبهم (فيها) أى في المدينة (إلا قليلاً) زماناً أو جواراً قليلاً ريثما يتبين حالهم من الانتماء وعدمه (ملعونين) نصب على الشتم أو الحال على أن الاستثناء وارد عليه أيضاً على رأى من يجوز كما ٦١ مر في قوله تعالى غير ناظرين إناه ولا سبيل إلى انتصابه عن قوله تعالى (أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً)

سَنَةِ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ٣٣ الأحزاب

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ٣٣ الأحزاب

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ ٣٣ الأحزاب

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ ٣٣ الأحزاب

يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيِّنَا أَطْعَمَنَا اللَّهُ وَأَطْعَمَنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ ٣٣ الأحزاب

وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَمْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ ٣٣ الأحزاب

- ٦٢ لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها (سنة الله في الذين خلوا من قبل) أي سن الله ذلك في الأمم الماضية سنة وهي أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وسعوا في توهين أمرهم بالإرجاف ونحوه أي بنا ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أصلا لا بتناثها على أساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع
- ٦٣ (يسألك الناس عن الساعة) أي عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه عليه السلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما أن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وسائر الكتب (قل إنما علمها عند الله) لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى (وما يدريك) خطاب مستقل له عليه السلام غير داخل تحت الأمر مسوق لبيان أنها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المحجى عن قريب أي شيء يعلمك
- بوقت قيامها أي لا يعلمك به شيء أصلا (لعل الساعة تكون قريبا) أي شيئا قريبا أو تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز أن يكون التذكير باعتبار أن الساعة في معنى اليوم أو الوقت وفيه تهديد
- ٦٤ للستعجالين وتبكيك للمتعتنين والإظهار في حيز الإضمار للتحويل وزيادة التقرير وتأكيد استقلال الجملة كما أشير إليه (إن الله لعن الكافرين) على الإطلاق أي طردهم وأبعدهم من رحمته العاجلة والآجلة (وأعد لهم)
- ٦٥ مع ذلك (سعيرا) نار أشد بدة الاتقاد يقاسونها في الآخرة (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) يحفظهم (ولا نصيرا) بخلافهم منها (يوم تقلب وجوههم في النار) ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدون وقيل لنصير أو قيل
- ٦٦ مفعول لا ذكر أي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة إلى جهة كالحم يشوى في النار أو يطبخ في القدر فيدور به الغاليان من جهة إلى جهة أو من حال إلى حال أو يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرىء تقلب بحذف إحدى التامين من تنقلب وتقلب بإسناد الفعل إلى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب بإسناده إلى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما أنها أكرم الأعضاء ففيه مزيد تفضيع الأمر وتهويل للخطب ويجوز أن تكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى (يقولون) استئناف مبني على سؤال نفى من حكاية حالهم اللفظية كأنه قيل فإذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم (يا ليتنا أطعمنا الله وأطعمنا
- ٦٧ الرسول) فلا نبطل بهذا العذاب أو حال من ضمير وجوههم أو من نفسها أو هو العامل في يوم (وقالوا)

رَبَّنَا آتِنَاهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُومُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ الأحزاب ٣٣

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ

وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ الأحزاب ٣٣

يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ الأحزاب ٣٣

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ الأحزاب ٣٣

- عطف على يقولون والعدول إلى صيغة الماضي للإشعار بأن قولهم هذا ليس مستمرّاً كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضرباً من التشنّي بمضاعفة عذاب الذين أقوم في تلك الورطة وإن علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها (ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبرانا) يعنون قاداتهم الذين لقنوم الكفر وقرى ساداتنا الدلالة على الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار وإلا فهم في مقام التحقير والإهانة (فأضلونا السبيلا) بما زينوا لنا من الأباطيل والألف للإطلاق كما في وأطعنا الرسول (ربنا آتاهم ضعفين من العذاب) أي مثلي العذاب الذي آتيتناه لأنهم ضلوا وأضلوا (والعنهم لعناً كبيراً) أي شديداً عظيماً وقرى كثيراً وتصدير الدعاء بالنداء مكرراً للبالغة في الجوار واستدعاء الإجابة (يأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آدوا موسى) قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من ٦٨
- قالة الناس (فبراه الله مما قالوا) أي فأظهر براته ﷺ مما قالوا في حقه أي من مضمونه وهؤداه الذي هو الأمر المعيب وذلك أن قارون أغرى موسى على قذفه عليه الصلاة والسلام بنفسها بأن دفع إليها مالا عظيماً فأظهر الله تعالى نزاهته عليه الصلاة والسلام عن ذلك بأن أقرت الموسى بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل آتاهم ناس بقتل هرون عند خروجه معه إلى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول وقيل أحياء الله تعالى فأخبرهم ببراهته وقيل قذفوه بعبث في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم الله تعالى على براته بأن فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة (وكان عند الله وجيهاً) ذا قرينة ووجاهة •
- وقرى وكان عبد الله وجيهاً (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله) أي في كل ماتأتون وما تذرّون لا سيما في ٧٠ ارتكاب ما يكرهه فضلاً عما يؤذي رسوله ﷺ (وقولوا) في كل شأن من الشئون (قولا سديداً) قاصداً إلى الحق من سد يسد سداً يقال سد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل به عن سمتها والمراد منهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد (يصلح لكم أعمالكم) يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها ٧١ بالقبول والإثابة عليها (ويغفر لكم ذنوبكم) ويجعلها مكفرة بآء تقامتكم في القول والعمل (ومن يطع الله ورسوله) في الأوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات (فقد فاز) في الدارين (فوزاً عظيماً) لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته •

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا

٣٣ الأخراب

الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

٣٣ الأخراب

وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

٧٢ (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) لما بين عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الأليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شأن ما يوجبها من التكليف الشرعية وصعوبة أمرها بطريق التمثيل مع الإيذان بأن ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالأمانة تنبيهاً على أنها حقوق مرعية أودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأداؤها من غير إخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها باللهبة إلى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليها لإظهار مزيد الاعتناء بأمرها والرغبة في قبولها لها وعن عدم استعدادهن لقبولها بالإباء والإشفاق منها التحويل أمرها وتربية نخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بحملها من قبيل الأجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي أشدها وأعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى أن تلك الأمانة في عظم الشأن بحيث لو كلفت هاتيك الأجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وإدراك لآبين قبولها وأشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق رويماً لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه (وحملها الإنسان) أي عند عرضها عليه إما باعتبارها بالإضافة إلى استعدادها أو بتكليفه إياها يوم الميثاق أي تكلفها والنزما مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو إما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري أو عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى (إنه كان ظالماً جهولاً) اعتراض وسط بين الحمل وغايته للإيذان من أول الأمر بعدم وقائه بما عهده وتحمله أي إنه كان مفرطاً في الظلم مبالغاً في الجهل أي بحسب غالب أفراد الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة أو اعترفهم السابق دون من عدام من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلاً وإلى الفريق الأول أشير بقوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أي حملاها الإنسان ليعذب الله بعض أفراد الذين لم يراعوها ولم يبالوها بالطاعة على أن اللام للعاقبة فإن التعذيب وإن لم يكن غرضاً له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة إلى بعض أفراد ترتب الأغراض على الأفعال المعاللة بها أبرز في معرض الغرض أي كان عاقبة حمل الإنسان لها أن يعذب الله تعالى هؤلاء من أفراد لحياتهم الأمانة وخروجهم عن الطاعة بالسكينة وإلى الفريق الثاني أشير بقوله تعالى (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أي كان عاقبة حملها أن يتوب الله تعالى على هؤلاء من أفراد أي يقبل توبتهم لعدم خلعتهم ربة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما

فرط منهم من فرطت قلوبها بخلوها عنها الإنسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والإجابة والالتفات إلى الاسم الجليل أولاً لتحويل الخطب وتربية المهابة والإظهار في موقع الإضمار ثانياً لإبراز مزيد الاعتناء بأمر المؤمنين توفية لكل من مقامى الوعد والوعده والله تعالى أعلم وجعل الأمانة التي شأنها أن تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي من أفعال المكلفين التابعة للتكليف بمنزلة من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينهى عنه قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً يجعل تعظيم شأن الطاعة ذريعة إلى ذلك بأن من قام بحقوق مثل هذا الأمر العظيم الشأن وراهاها فهو جدير بأن يفوز بخير الدارين بإبائه وصفه بالظلم والجهل أولاً وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانياً وقيل المراد بالأمانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعى والاختيارى وبعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وإرادة صدور من غيره وبحملها الحياة فيها والامتناع عن أدائها فيكون الإباء امتناعاً عن الحياة وإتياناً بالمراد فالمعنى أن هذه الأجرام مع عظمها وقوتها أبين الحياة لآمانتها وأتین بما أمرهن به كقوله تعالى أتينا طائعتين وخانها الإنسان حيث لم يأت بما أمرناه به إنه كان ظالماً جهولاً وقيل إنه تعالى لما خلق هذه الأجرام خلق فيها فهما وقال لها إني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن أطاعني فيها وناراً لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نختل فريضة ولا نبغى ثواباً ولا عقاباً ولما خلق آدم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظالماً لنفسه بتحملة ما يشق عليها جهولاً بوخامة عاقبته وقيل المراد بالأمانة العقل أو التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالإضافة إلى استعدادهن وبإبائهن الإباء الطبيعى الذى هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الإنسان قابليته واستعدادها لظلمه وظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية هذا قريب من التحقيق فتأمل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستئناف (وكان الله غفوراً رحيماً) مبالغة في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاً منهم وأتاب بالفوز على طاعانهم . قال عليه السلام من قرأ سورة الأحزاب وعلمها أهله وما لمسكت يمينه أعطى الأمان من عذاب القبر والله أعلم .

٣٤—سورة سبأ
(مكية وآياتها أربع وخمسون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ

سبأ ٣٤

الْحَبِيرُ ﴿١﴾

يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ

سبأ ٣٤

الْغَفُورُ ﴿٢﴾

(سورة سبأ مكية وقيل لإلا ويرى الذين أوتوا العلم الآية وهي أربع وخمسون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض) أي له تعالى خلقاً وملكا وتصرفاً بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة جميع ما وجد فيهما داخل في حقيقتيهما أو خارجاً عنهما متمكناً فيهما فكانه قيل له جميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما أفاده تعليق الحمد المعروف بلام الحقيقة بالاسم الجليل من اختصاص جميع أفراد به تعالى على ما بين في فاتحة الكتاب ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملة الإنسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلاً عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جبهته عز وجل فما هذا شأنه فهو بمنزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع أفراد به تعالى وقوله تعالى (وله الحمد في الآخرة) بيان لاختصاص الحمد الآخروي به تعالى لإثبات اختصاص الدينوي به على أن الجار متعلق إما بنفس الحمد أو بما تعلق به الخبر من الاستقرار وإطلاقة عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التبيين كما اكتفى فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد أيضاً فيها بل ليعم النعم الآخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نقبوا من الجنة وقوله تعالى الذي أحلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة إلى نيلها من النعم الدينوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا أي لما جزاؤه هذا من الإيمان والعمل الصالح والفرق بين الحمد مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل أن الأول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاعتباط وقد ورد في الخبر أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس (وهو الحكيم) الذي أحكم أمور الدين والدنيا ودبرها حسب مقتضيه الحكمة (الخبير) بيواطن الأشياء ومكنوناتها وقوله تعالى (يعلم ما يلبج

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يُعْزِبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣٤﴾ سبأ
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣٥﴾ سبأ

في الأرض) الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الأمور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية أي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدقائق والأموات ونحوها (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات وما العيون ونحوها (وما ينزل من السماء) كالأمطار والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ينزل بالتشديد ونون العظمة (وما يمرج فيها) كالأمطار والكتب وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة (وهو الرحيم) للعالمين على ما ذكر من نعمه (الغفور) للمفترطين في ذلك بلطفه وكرمه (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) ٣ أرادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا أنفسهم أو معاصريهم فقط كما أرادوا بنبي إتيانها نفي وجودها بالكلية لعدم حضورها مع تحققها في نفس الأمر وإنما عبروا عنه بذلك لأنهم كانوا يوعدون بإتيانها ولأن وجود الأمور الزمانية المستقبلية لا سيما أجزاء الزمان لا يكون إلا بالإتيان والحضور وقيل هو استبطاء إتيانها الموعود بطريق الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد (قل بلى) رد لكلامهم وإثبات لما نفوه على معنى ليس الأمر إلا إتيانها وقوله تعالى (وربي لأتأتينكم) تأكيد على أنهم الوجوه وأكلها وقرئ لياتينكم على تأويل الساعة باليوم أو الوقت وقوله تعالى (عالم الغيب) الخ إمداد لنا كيدوا تسديد له إثر تسديد وكسر لسورة تكبير هو استبعادهم فإن تعقيب القسم بمجلائل نعوت المقسم به على الإطلاق يؤذن بفخامة شأن المقسم عليه وقوة ثبانه وصحته لما أن لك في حكم الاستشهاد على الأمر ولا ريب في أن المستشهد به كلما كان أجل وأعلى كانت الشهادة أكدر وأقوى والمستشهد عليه أحق بالثبوت وأولى لاسيما إذا خص بالذكر من النعوت ماله تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فإن وصفه بعلم الغيب الذي أشهر أفراده وأدخلها في الخفاء هو المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما وقادة الأمر بهذه المرتبة من اليقين أن لا يبقى للمعاند عذر ما أصلا فإنهم كانوا يعرفون أمانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليقين الفاجرة وإنما لم يصدقوه مكابرة وقرئ علام الغيب وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح (لا يعزب عنه) أي لا يبعد وقرئ بكسر الزاي (مِثْقَالُ ذَرَّةٍ) مقدار أصغر نملة (في السموات ولا في الأرض) أي كائنه فيهما (ولا أصغر من ذلك) أي من مثقال ذرة (ولا أكبر) أي منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى (إلا في كتاب مبين) هو اللوح المحفوظ والجملة مؤكدة لنبى العزوب وقرئ ولا أصغر ولا أكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز أن يعطف المرفوع على مثقال ولا المفتوح على ذرة بأنه فتح في حيز الجر لا متاع الصرف لما أن الاستثناء يمنع إلا أن يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لبروزة للبطالين له فيكون المعنى لا ينفصل عن الغيب شيء إلا مسطورا في اللوح (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات) علة لقوله تعالى لآتأتينكم وبيان لما ٤

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾
وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ

الْحَمِيدُ ﴿٣٥﴾

سبأ ٣٤

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمْرِقٍ إِنَّكُمْ لَنِ خَلْقٍ

جَدِيدٍ ﴿٣٦﴾

سبأ ٣٤

- يقتضى إتيانها (أولئك) إشارة إلى الموصول من حيث انصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم فى الفضل والشرف أى أولئك الموصوفون بالصفات الجليلة (لهم) بسبب ذلك (مغفرة) لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر (ورزق كريم) لا تعب فيه ولا من عليه (والذين سعوا فى آياتنا) بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها (معاجزين) أى مسابقين كى يفوتونا وقرىء معجزين أى مشبطين عن الإيمان من أراده (أولئك لهم عذاب) الكلام فيه كالذى مر آنفاً ومن فى قوله تعالى (من رجز) للبيان قال قتادة رضى الله عنه الرجز سوء العذاب وقوله تعالى (أليم) بالرفع صفة عذاب أى أولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الإيلام وقرىء أليم بالجر صفة لرجز (ويرى الذين أوتوا العلم) أى يعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن يشايعهم من علماء الأمة أو من آمن من أبناء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما رضى الله عنهم
- (الذى أنزل إليك من ربك) أى القرآن (هو الحق) بالنصب على أنه مفعول ثان ليرى والمفعول الأول هو الموصول الثانى وهو ضمير الفصل وقرىء بالرفع على الابتداء والخبر والجملة هو المفعول الثانى ليرى وقوله تعالى ويرى الخ مستأنف مسوق للاستشهاد بأولى العلم على الجملة الساعين فى الآيات وقيل منصوب عطفاً على يجرى أى وليعلم أولو العلم عند مجئ الساعة معانية أنه الحق حسبما علموه الآن برهاناً ويحتجوا به على المكذبين وقد جوز أن يراد بأولى العلم من هم يؤمن من الأحبار أى ليعلموا يومئذ أنه هو الحق فيزدادوا حسرة وغماً (ويهدى) عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لأنه فى تأويله كما فى قوله تعالى صافات ويقبض أى وقابضات كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك الحق وهادياً (إلى صراط العزيز الحميد) الذى هو التوحيد والتدريج بلباس التقوى وقيل مستأنف وقيل حال من الذى أنزل على إضمار مبتدأ أى وهو يهدى كما فى قول من قال [نجوت وأرهنهم مالكا] (وقال الذين كفروا) هم كفار قريش قالوا مخاطباً بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل) يعنون به النبي ﷺ وإنما قصدوا بالتمكيد العنن والسخرية قائلهم الله تعالى (ينبئكم) أى يحدثكم بعجب عجاب وقرىء يذنبكم من الإنباء (إذا مررتم كل ممزق) أى إذا مررتم ومزقت أجسادكم كل تمزيق وفرت كل تفريق بحيث صرتم تراباً ورفاتاً
- (إنكم لنى خلق جديد) أى مستقرون فيه عدل إليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون أو

أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ

الْبَعِيدِ ﴿٨﴾

سبأ ٣٤

أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَاءُ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ

سبأ ٣٤

نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾

- تخلقون خلقاً جديداً للإشباع في الاستبعاد والتعبد وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لما أن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها ويدفع معنى فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب إذا قطعه ثم شاع (أفترى على الله كذباً) فيما قاله (أم به جنة) أي جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على أن بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الأخبار عن بصيرة بين الفساد لظهور كون الاقتراء أخص من الكذب (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالإضراب عن شقيه وإبطالهما وإثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاهم بما قالوا في حقه ﷺ كأنه قيل ليس الأمر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والإدراك الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي إليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ويقولون وتقديم العذاب على ما وجبه ويستتبعه للمسارة إلى بيان ما يسوؤهم ويفت في أعضادهم والإشعار بغاية سرعة تربيته عليه كأنه يسأله فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضلال للبالغه ووضع الموصول موضع ضميرم للتنبيه بما في حيز الصلة على أن علة ما ارتكبه واجتروا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولو لا ما فعلوا ذلك خوفاً من غائلته وقوله تعالى (أفلم يروا) إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) استئناف مسوق لتحويل ما اجتروا عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام ما قالوا في حقه ﷺ وأنه من العظام الموجبة لنزول أشد العقاب وحلول أفظع العذاب من غير ريث وتأخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى (إن نشأ) الخ بيان لما ينبغي عنه ذكر إحاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على أنه لم يبق من أسباب وقوعه إلا تعلق المشيئة به أي أفعول ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا إلى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص إن نشأ جرياً على موجب جناباتهم (نخسف بهم الأرض) كما خسفناهم بأقارون (أو نسقط عليهم كسفاً) أي قطعاً (من السماء) كما أسقطناها على أصحاب الأيكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه إزاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه اقتراء وهزماً وتهديد عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والأرض ولم يتفكروا أهم أشد خلقاً أم هي وإن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ يخسف

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿٣٤﴾

أَنْ أَعْمَلَ سَبْعِينَ وَفَرَّ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا لِّئِيَّيَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٥﴾

- ويسقط بالياء لقوله تعالى أقرى على الله وكسفاً بسكون السين (إن في ذلك) أى فيما ذكر من السماء والأرض من حيث إحاطتهما بالناظر من جميع الجوانب أو فيما تلى من الوحي الناطق بما ذكر (لاية) واضحة (لكل عبد منيب) شأنه الإنابة إلى ربه فإنه إذا تأمل فيهما أو في الوحي المذكور ينزجر عن تعاطي الفبايح وينيب إليه تعالى وفيه حث بليغ على النوبة والإنابة وقد أكد ذلك بقوله تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلاً) أى آتيناه لحسن إنابته وصحة توبته فضلاً على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أى نوحاً من الفضل وهو ما ذكر بعد فإنه معجزة خاصة به ﷺ أو على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن فتسكيره للتفخيم ومنا لئنا كيد فخامته الذاتية بفخامته الإضافية كما في قوله تعالى وآتيناه من لدنا علماً وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن ما حقه التقديم إذا أخرجت النفس مترتبة له فإذا وردها يتمكن عندها فضل تمكن (يا جبال أوبى معه) من التأويب أى رجمى معه التسبيح أو النوحه على الذنب وذلك إما بأن يخلق الله تعالى فيها صوتاً مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة أو بأن يتمثل له ذلك وقرىء أوبى من الأوب أى ارجعى معه في التسبيح كما رجع فيه وكان كلما سبّح عليه الصلاة والسلام يسمع من الجبال ما يسمع من المسيح معجزة له عليه الصلاة والسلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه بأصداها والطير بأصواتها وهو بدل من آتيناه يا ضمار قلنا أو من فضلاً يا ضمار قولنا (والطير) بالنصب عطفاً على فضلاً بمعنى وسخرنا له الطير لأن إيتاءها إياه عليه الصلاة والسلام تسخيرها له فلا حاجة إلى إضماره كما نقل عن الكسائي ولا إلى تقدير مضاف أى تسبيح الطير كما نقل عنه في رواية وقيل عطفاً على محل الجبال وفيه من التكلف لفظاً ومعنى مالا يخفى وقرىء بالرفع عطفاً على لفظها تشبيهاً للحركة البنائية العارضة بالحركة الإعرابية وقد جوز انتصابه على أنه مفعول معه والأول هو الوجه وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لأمره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بأنه مامن حيوان وجهاد وصامت وناطق إلا وهو منقاد لمشيئته غير متمنع على إرادته من الفخامة المعربة عن غاية عظمته شأنه تعالى وكمال كبرياءه • سلطانه مالا يخفى على أولى الألباب (وألنا له الحديد) أى جعلناه ليناً في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير إحماء بنار ولا ضرب بمطرقة أو جعلناه بالنسبة إلى قوته التي آتيناه إياه ليناً كالشمع بالنسبة إلى سائر القوى البشرية (أن اعمل) أمرناه أن اعمل على أن مصدرية حذف عنها الياء وفي حملها على المفسرة تكلف لا يخفى (سابغات) واسعات وقرىء صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو عليه الصلاة والسلام أول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه الصلاة والسلام حين ملك على بنى إسرائيل يخرج متنكر أبيضاً الناس ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكاً في

وَلَسَلِمَنَّ الرَّيْحُ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ آعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ ﴿١٣﴾

سبأ ٣٤

سبأ ٣٤

صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصله فيه فريغ داود فسأله عنها فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأله ربه أن يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدروع بأربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعباله ويتصدق على الفقراء (وقدر في السرد) السرد تسج الدروع أى اقتصد فى نسجها بحيث تناسب حلقها وقيل قدر فى مساميرها فلا تعملها دقاقا ولا غلاظاً ورد بأن دروعه عليه الصلاة والسلام لم تكن مسمرة كما ينهى عنه إلا أنه الحديد وقيل معنى قدر فى السرد لا تصرف جميع أوقاتك إليه بل مقدار ما يحصل به القوت وأما الباقي فاصرفه إلى العبادة وهو الأنسب بقوله تعالى (واعملوا صالحاً) عمم الخطاب حسب عموم التكليف له عليه الصلاة والسلام ولاهله (إنى بما تعملون بصير) تعليل الأمر أو لوجوب الامتثال به (ولسليمان الريح) أى وسخرنا له الريح وقرى برفع الريح أى ولسليمان الريح مسخرة وقرى الرياح (غدوها شهر ورواحها شهر) أى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك والجملة إما مستأنفة أو حال من الريح وقرى غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو أى من دمشق فيقبل باصطخر ثم يروح فيكون رواحاً بكابل وقيل كان يتغدى بالرى ويتعشى بسمرقند ويحكى أن بعضهم رأى مكتوباً فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض أصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بيننا وبينها وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فباتون بالشام إن شاء الله تعالى (وأسلنا له عين القطر) أى النحاس المذاب أسأله من معدنه كما ألان الحديد لداود عليهما السلام فنبع منه نبع الماء من الينبوع ولذلك سمي عيناً وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل فى الشهر ثلاثة أيام وقوله تعالى (ومن الجن من يعمل بين يديه) إما جملة من مبتدأ وخبر أو من يعمل عطف على الريح ومن الجن حال متقدمة (بإذن ربه) بأمره تعالى كما ينهى عنه قوله تعالى (ومن يزغ منهم عن أمرنا) أى ومن يعدل منهم عما أمرناه به من طاعة سليمان وقرى يزغ على البناء المفعول من أزاغه (نذقه من عذاب السعير) أى عذاب النار فى الآخرة روى عن السدى رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كل من استعصى عليه ضرب به من حيث لا يراه الجنى (يعملون له ما يشاء) تفصيل لما ذكر من عملهم ١٣ وقوله تعالى (من محارِب) الخيـان لما يشاء أى من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لأنها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هى المساجد (وتماثيل) وصور الملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام على ما اعتادوه فإنها كانت تعمل حينئذ فى المساجد ليراه الناس ويعبدوا مثل عباداتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروى أنهم عملوا السدين فى أسفل كرسى ونسرين فوقه فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان ذراعيهما

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتْ
الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

٣٤ سبا

• وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما (وجفان) جمع جفنة وهي الصفحة (كالجواب) كالحياض الكبار جمع جاية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من الصفات الغالبة كالدابة وقرى. يثبت الباء قبل كان يقعد على الجفنة ألف رجل (وقدور راسيات) ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها (اعملوا آل داود شكراً) حكاية لما قيل لهم وشكراً نصب على أنه مفعول له أو مصدر لا عملوا لأن العمل بالمنعم شكر له أو لفعله • المحذوف أى اشكروا شكراً أو حال أى شاكرين أو مفعول به أى اعملوا شكراً (وقليل من عبادى الشكور) أى المتوفى على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لأن التوفيق للشكر نعمة تستدعى شكراً آخر لا إلى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروى أنه عليه الصلاة والسلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تاتى ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى (فلما قضينا عليه الموت) أى على سليمان عليه السلام (مادلهم) أى الجن ١٤ أو آله (على موته إلا دابة الأرض) أى الأرض أضيفت إلى فعلها وقرى. بفتح الراء وهو تأثر الخشب من فعلها يقال أرضت الأرضة الخشب أرضاً فأرضت أرضاً مثل أكلت القوارح أسنانه أكلت فأكلت أكلاً (تأكل منسأته) أى عصاه من نسات البعير إذا طردته لأنها يطرد بها ما يطرد وقرى. منسأته بالفاء ساكنة بدلاً من الهمة وبهمزة ساكنة وباخر اجها بين بين عند الوقف ومنسأته على مفعالة كعضادة فى ميسأة ومن ساته أى من طرف عصاه من ساة القوس وفيه لغتان كما فى قحة بالكسر والفتح وقرى. أكلت منسأته (فلما خرت تبينت الجن) من تبينت الشيء إذا علت به بعد التباسه عليك أى علت الجن علماً يديناً بعد التباس الأمر عليهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) • أى أنهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته عليه الصلاة والسلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا فى تسخيره إلى أن خروا من تبين الشيء إذا ظهر وتجلي أى ظهرت الجن وأن مع ما فى حيزها بدل اشتغال من الجن أى ظهر أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرى. تبينت الجن على البناء للمفعول على أن المتبين فى الحقيقة هو أن مع ما فى حيزها لا أنه بدل وقرى. تبينت الإنس والضمير فى كانوا للجن فى قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى أن داود عليه السلام أسس بنيان بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى فنوفى قبل تمامه فوصى به إلى سليمان عليهما السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى إذا حان أجله وعلم به سأل ربه أن يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئاً على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك وم فيها أمروا به من الأعمال حتى أكلت الأرضة عصاه فخر ميتاً وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾

سبأ ٣٤

فَاعْرُضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِىْ اُكْلٍ نَّحْمَطُ وَاَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾

سبأ ٣٤

أينما صلى عليه الصلاة والسلام فلم يكن ينظر إليه شيطان في صلاته إلا احترق فر به يوما شيطان فنظر فإذا سليمان عليه السلام قد خر ميتاً ففتحوا عنه فإذا عصاه قد أكلها الأرضة فأرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها في يوم وليلة مقداراً لحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبقي في ملكه أربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع ماضين من ملكه (لقد كان لسبأ) بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى إثر بيان ١٥ أحوال الشاكرين لها أى لاؤلا دسبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرى بمنع الصرف على أنه اسم القبيلة وقرى بقلب الهمزة ألفاً ولعله إخراج لها بين بين (في مسكنهم) وقرى بكسر الكاف كالمسجد وقرى بلفظ الجمع أى مواضع سكنهم وهى باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال (آية) دالة بملاحظة أحوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الأمور البديعة المجازى للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما فى قصتى داود وسليمان عليهما السلام (جنتان) بدل من آية أو خبر لمبتدأ محذوف أى هى جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة عن يمين وبلدم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك الجماعتين فى تقاربهما وتضامهما كأنهما جنة واحدة أو بستاناً كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكملاً للنعمه وتذكيراً لحقوقها أو لما نطق به لسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء بأن يقال لهم ذلك (بلدة طيبة ورب غفور) استئناف مبين لما اوجب الشكر المأمور به أى بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم ما فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور افرطت من يشكره وقرى الكل بالنصب على المدح قيل كان أطيب البلاد هواء وأخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المسكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الأشجار فيمتلئ المسكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من مؤذيات الهواء شىء (فأعرضوا) عن الشكر بعد إبانة ١٦ الآيات الداعية لهم إليه قيل أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً فدعواهم إلى الله تعالى وذكروهم بنعمه وأنذروهم عقابه فكذبوهم (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أى سيل الأمم العرم أى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم إذا شرس خلقه وصعب أو المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذى يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذى يجعل سداً وقيل هو البناء الرصين الذى بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والأمطار وتركته فيه خروقا على ما يحتاجون إليه فى

٣٤ سيا

ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿٧٧﴾

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ

٣٤ سيا

وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿٧٨﴾

سقيهم وقيل العرم الجر الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدم فنقبه ففرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادى وقرى العرم بسكون الراء قالوا كان ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى والنبي عليهما الصلاة والسلام (وبدلتهم بجنتهم) أى أذهبنا جنتهم وآتيناهم بدلها (جنتين ذواتى أكل خيط) أى ثمر يشع فإن الخيط كل نبت أخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله وقيل هو الحامض والمر من كل شئ وقيل هو ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبيع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الأراك أو كل شجر ذى شوك والتقدير أكل كل خيط لحذف المضاف وأقم المضاف إليه مقامه وقرى أكل خيط بإضافة وتخفيف أكل (وأثل وشئ من سدر قليل) معطوفان على أكل لأعلى خيط فإن الأثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه أعظم منه ولا ثمر له وقرى وأثلا وشيئا عطفاً على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لما أن جناه وهو النبق مما يطيب أكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح أن السدر صنفان صنف يؤكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمرة عفصة لا تؤكل أصلاً ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد بهما هو الثاني حتماً وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والنهم (ذلك) إشارة إلى مصدر قوله تعالى (جزيناكم) أو إلى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعده تبتة في الفضاة ومحلّه على الأول النصب على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني النصب على أنه مفعول ثان له أى ذلك الجزء القطيع جزيناكم لأجزاء آخر أو ذلك التبديل جزيناكم لا غيره (بما كفروا) بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها أو بسبب كفرهم بالرسول (وهل نجازى إلا الكفور) أى وما نجزى هذا الجزء إلا المبالغ في الكفران أو الكفر وقرى بجازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى على البناء للمفعول أيضاً وهذا بيان ما أوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) حكاية لما أوتوا من النعم البادية في مساكنهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكلة لقصصهم وبياناً لعاقبتهم وإنما لم يذكر الكل معاً لما في التثنية والتكرير من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف على كان لسبب لا على ما بعده من الجمل الناطقة بأفعالهم أو بأجزاءها أى وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم أى بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين (قرى ظاهرة) متواصلة يرى بعضهم من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين أهلها أو رابكة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مساكنهم حتى تخفى عليهم (وقد رنا فيها السير) أى جعلناها في نسبة بعضها

فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَفَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

سبأ ٣٤

إلى بعض على مقدار معين يليق بحال أبناء السبيل قيل كان الغادى من قرية يقيل في أخرى والرائح منها يبيت في أخرى إلى أن يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلاً لما أوتوا من أنواع النعماء وتوفيراً لها في الحضر والسفر (سيروا فيها) على إرادة القول أى وقلنا لهم سيروا في تلك القرى (ليالى وأياماً) أى متى شئتم من الليالى والأيام (آمنين) من كل ما تكرهونه لا يختلف إلا من فيها باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالى وأياما كثيرة أو سيروا فيها ليالى أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه وأسبابه على الوجه المذكور منزلة أمرهم بذلك (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) وقرىء ياربنا بطروا النعمة ١٩ وشموا أطيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد لكان أجدر أن نشتهيهِ وسألوا أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفاراً ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الأزواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الإجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها دأع ولا يجيب وقرىء بعدد ربنا بعد بين أسفارنا وبعد بين أسفارنا على النداء وإسناد الفعل إلى بين ورفع به كما يقال سير فرساناً وبوعد بين أسفارنا وقرىء ربنا باعد بين أسفارنا وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الأول وهو استبعاد مسابريهم مع قصرها أو دنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفهم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كأنهم يتشاجون على الله تعالى ويتعاضون عليه (وظلموا أنفسهم) حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة أو غمطوها (لجعلناهم أحاديث) أى جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم وما لهم (ومزقناهم كل ممزق) أى فرقناهم كل تفريق على أن الممزق مصدر أو كل مطرح ومكان تفريق على أنه اسم مكان وفي عبارة التزريق الخاص بتفريق المتصل وخرفه من تهويل الأمر والدلالة على شدة التأثير والإيلام مالا يخفى أى مزقناهم تمزيقاً لا غاية وراءه بحيث يضرب به الأمثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وأنمار يثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان وأصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن أبي صالح أن عمرو بن عامر من أولاد سبأ وبينهما اثني عشر أباً وهو الذى يقال له مزريقاً بن ماء السماء أخبرته طريفة الكاهنة بمخرب سد مأرب وتفريق سبل الحرم الجنتين وعن أبي زيد الأنصاري أن عمراً رأى جرراً يفر السد فعلم أنه لا بقاء له بعد وقيل إنه كان كاهناً وقد عليه بكماته فباع أملاكه وسار بقومه ومألوف من بلد إلى بلد حتى انتهى إلى مكة المعظمة وأهلها جرم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بنى إسماعيل عليه السلام وغيرهم فأرسل إليهم ثعلبة بن عمرو ابن عامر يسألهم المقام معهم إلى أن يرجع إليه رواده الذين أرسلهم إلى أصقاع البلاد يطلبون له موضعاً

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾

سبأ ٣٤

وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوْثِقُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ

سبأ ٣٤

شَيْءٍ حَفِیْظٌ ﴿٢١﴾

يسعه ومن معه من قومه فأبوا فاقتتلوا ثلاثة أيام فانهزمت جرم ولم يفلت منهم إلا الشريد وأقام ثعلبة بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولاً فأصابهم الحنجر فاضطروا إلى الخروج وقدرج إليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الأزد وكندة وحير ومن يتلوم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الأنصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخرعت خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن طامر وهو الحنجر فولى أمر مكة وحجابه البيت ثم جاءهم أولاد إسماعيل عليه السلام فسألوهم السكنى معهم وحو لهم فأذنوا لهم في ذلك وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن فروة بن مسيك الغطيفي سأل النبي ﷺ عن سبأ فقال ﷺ هو رجل كان له عشرة أولاد ستة منهم سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والأزد والاشعريون وحير وأنمار منهم بجيلة وخثعم وأربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم تفرقوا أيدي سبأ شذر منذر فنزلت طوائف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة فنزلوا بظاهر مكة ونزلت الأوس والخزرج ييثرب فكانوا أول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فخالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم ونزلت طوائف آخر منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وقلب وغيرهم وسبأ تجمع هذه القبائل كلها والجهور على أن جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر وأما قضاة فمختلف فيها بعضهم ينسبونهم إلى قحطان وبعضهم إلى عدنان والله تعالى أعلم (إن في ذلك) أى فيما ذكر من قصتهم (آيات) عظيمة (لكل صبار شكور) أى شأنه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى ٢٠ وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لأنهم المنتفعون بها (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) أى حقق عليهم ظنه أو وجده صادقاً وقرىء بالتخفيف أى صدق في ظنه أو صدق بظن ظنه ويجوز تعدية الفعل إليه بنفسه لأنه نوع من القول وقرىء بنصب إبليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقاً ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيل له إغرامهم وبرفهمما والتخفيف على الإبدال وذلك إما ظنه بسبأ حين رأى انهما كهم في الشهوات أو يبنى آدم حين شاهد آدم عليه السلام قد أصغى إلى وسوسته قال إن ذريته أضعف منه عزماً وقيل ظن ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لا ضلنهم ولا غوينهم (فاتبعوه) أى أهل سبأ أو الناس (إلا فريقاً من المؤمنين) إلا فريقاً هم المؤمنون لم يتبعوه على أن من يمانية وتقليبهم بالإضافة إلى الكفار أو إلا فريقاً من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون (وما كان له عليهم من سلطان) أى تسلط

قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا

لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَيْءٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا

الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

سبأ ٣٤

- * واستبلاء بالسوسة والاستواء وقوله تعالى (إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة من هو منها في شك) استثناء مفرغ من أعلم العلل ومن موصولة أى وما كان تسلطه عليهم إلا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزاً من هو في شك منها تعلقاً حالياً يترتب عليه الجزاء أو لإليتميز المؤمن من الشاك أو لإليؤمن من من قدر إيمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغه (وربك على كل شيء حفيظ) أى محافظ عليه فإن فعلاً ومفاعلاً صيغتان متآخيتان (قل) أى للبشر كين إظهاراً لبطلان مأم عليه وتسكيناً لهم ٢٢ (ادعوا الذين زعمتم) أى زعمتموهم آلهة وهما مفعولاً زعم ثم حذف الأول تخفيفاً لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفة أفعى قوله تعالى (من دون الله) مقامه ولا سبيل إلى جعله مفعولاً ثانياً لأنه لا يلتزم مع الضمير كلاماً وكذا لا يملكون لأنهم لا يزعمونه والمعنى ادعواكم فيما يهكم من جلب نفع أو دفع ضرر لعلمهم يستجيرون لكم إن صح دعواكم ثم أجاب عنهم إشعاراً بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال (لا يملكون مثقال ذرة) من خير وشر ونفع وضرر (في السموات ولا في الأرض) أى فى أمر مامن الأمور وذكرها للتعميم عرفاً أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالأصنام أو لأن الأسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم (وما لهم) أى لا آلهتهم (فيهما من شرك) أى شركة لا خلقاً ولا ملكاً ولا تصرفاً (وما له) أى لله تعالى (منهم) من آلهتهم (من ظهير) يعينه في تدبير أمرهما (ولا تنفع الشفاعة عنده) أى لا توجد رأساً كما في قوله [ولا ٢٣ ترى الضرب بها ينجم] لقوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه وإنما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصرفاً بنفى ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى (إلا لمن أذن له) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى لا تقع الشفاعة فى حال من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له فى الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من المستأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية أمان جهة جهة أصنامهم فلظهور انتفاء الإذن لها ضرورة استحالة الإذن فى الشفاعة لمجاد لا يعقل ولا ينطق وأما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلأن إذهبن مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ومن البين أن الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب أو لا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستأهلين لها فى حال من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له أى لأجله وفى شأنه من المستحقين للشفاعة وأمان عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم أصلاً وإن فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء إذ لم يؤذن لهم فى شفاعتهم بل فى شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم من شفاعة هؤلاء بعبارة النص ومن شفاعة الأصنام بدلالته إذ حيث

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ

سبيل ٣٤

مبين ٢٤

حرموها من جهة القادرين على شفاعته بعض المحتاجين إليها فلأن حرموها من جهة العجزة عنها أولى
 * وقرىء أذن له مبنياً للمفعول (حتى إذا فزع عن قلوبهم) أى قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين
 وأما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمنزل وعن التفريع عن قلوبهم بألف منزل والتفريع لإزالة
 الفزع ثم ترك ذكر الفزع وأسند الفعل إلى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبىء عنه ما قبلها من الإشعار
 بوقوع الإذن لمن أذن له فإنه مسبوق بالاستئذان المستدعى للترقب والانتظار للجواب كأنه سئل كيف
 يؤذن لهم فقبل يتربصون فى موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على أو جل وفزع ملياً حتى إذا
 * أزيل الفزع عن قلوبهم بعد التنبؤ والتى وظهرت لهم تباشير الإجابة (قالوا) أى المشفوع لهم إذ هم المحتاجون
 إلى الإذن والمهتمون بأمره (ماذا قال ربكم) أى فى شأن الإذن (قالوا) أى الشفعاء لأنهم المباشرون
 للاستئذان بالذات المتوسطون بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة (الحق) أى قال ربنا القول الحق وهو
 * الإذن فى الشفاعه للمستحقين لها وقرىء الحق مرفوعاً أى ما قاله الحق (وهو العلى الكبير) من تمام كلام
 الشفعاء قالوه اعترافاً بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شأن كل من سواه أى هو المتفرد بالعلو
 والكبرياء ليس لأحد من أشراف الخلائق أن يتكلم إلا بإذنه وقرىء فزع مخفياً بمعنى فزع وقرىء
 فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرىء فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة أى نفي الوجع عنها وأقضى من
 فرغ الزاد إذا لم يبق منه شيء وهو من الإسناد المجازى لأن الفراغ وهو الخلو حال ظرفه عند نفاذه فأسند
 إليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء وأصله فرغ الرجل عنها أى انتفى عنها وفى ثم
 حذف الفاعل وأسند إلى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريع وقرىء ارتفع عن قلوبهم بمعنى
 ٢٤ انكشف عنها (قل من يرزقكم من السموات والأرض) أمر ﷺ بتبكييت المشركين بحملهم على
 الإقرار بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وأن الرازق هو الله تعالى فإنهم لا ينكرونه كما ينطق به
 قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت
 ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون أحياناً فى الجواب مخافة
 * الإلزام قيل له ﷺ (قل الله) إذ لا جواب سواه عندهم أيضاً (وإننا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال
 مبين) أى وإن أحد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة
 والذين يشركون به فى العبادة الجهاد النازل فى أدنى المراتب الإمكانية لعل أحد الأمرين من الهدى
 والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو فى الضلال
 أبلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الإنصاف المسكت للخصم الألد وقرىء وإننا أو إياكم إما على
 هدى أو فى ضلال مبين واختلاف الجارين للإيدان بأن الهادى كمن استعمل مناراً ينظر الأشياء ويتطلع

قُلْ لَا تَسْأَلُونَنَا عَنْ آجُرْمَنَا وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾

سبأ ٣٤

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾

سبأ ٣٤

قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحْصِيتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

سبأ ٣٤

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾

سبأ ٣٤

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾

سبأ ٣٤

قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾

سبأ ٣٤

عليها والضال كما أنه منغمس في ظلام لا يرى شيئاً أو محبوس في مطمورة لا يستطيع الخروج منها (قل ٢٥ لا تسألون عما أجرمنا ولا تسأل عما تعملون) وهذا أبلغ في الإنصاف وأبعد من الجدل والاعتساف حيث أسند فيه الإجماع وإن أريد به الزلة وترك الأولى إلى أنفسهم ومطلق العمل إلى المخاطبين مع أن أعمالهم أكبر الكبائر (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة عند الحشر والحساب (ثم يفتح بيننا بالحق) أى يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفصيل في القضايا المنغلقة (العليم) بما ينبغي أن يقضى به (قل أروني الذين أحصيتهم) أى الحقنوم (به شركاء) أريد بأمرهم بإراءة الأصنام مع كونها بمرأى منه ﷻ إظهار خطيئتهم العظمى وإطلاعهم على بطلان زايهم أى أرونيها لأنظر بأى صفة أحقتموها بالله الذى ليس كمثل شيء فى استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد إلزام الحجة عليهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايضة (بل هو الله العزيز الحكيم) أى الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فأين شركاؤكم التى هى أخس الأشياء وأذلها من هذه الرتبة العالية والضمير إما لله عز وجل أو للشأن كما فى قل هو الله أحد (وما أرسلناك إلا كافة للناس) أى لإرسالة عامة لهم فإنها إذا همتم فقد كفتم أن يخرج منها أحد منهم أو لا جامعا لهم فى الإبلان ففى حال من الكاف والناء للمبالغة ولا سبيل إلى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور (بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغى والضلال (ويقولون) من فرط جهلهم وغاية غيهم (متى هذا الوعد) بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه أو الموعد ٢٩ بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا (إن كنتم صادقين) مخاطبين لرسول الله ﷺ والمؤمنين به (قل لكم ميعاد يوم) أى وعد يوم أو زمان وعدوا لإضافة للتبيين وقرىء ميعاد يوم منونين على البدل ويوما بإختصار أعنى للتعظيم (لا تستأخرون عنه) عند مفاجاته (ساعة ولا تستقدمون) صفة لميعاد وفى هذا الجواب من المبالغة فى التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستخار فى الاستحالة كالا ستقدام الممتنع عقلا وقد مر بيانه مرارا ويحوز أن يكون نفي الاستحجار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك لتحقيقه

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

سبأ ٣٤

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾

سبأ ٣٤

وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

سبأ ٣٤

- ٣١ وتقريره (وقال الذين كفروا ان تؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) أى من الكتب القديمة الدالة على البعث وقيل إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن رسول الله ﷺ فأخبروهم أنهم يحدون نعته في كتبهم ففضبوا فقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه القيامة (ولو ترى إذا الظالمون) المنكرون للبعث (موقوفون عند ربهم) أى فى موقف المحاسبة (يرجع بعضهم إلى بعض القول) أى يتحاورون ويتراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) بدل من يرجع الخ أى يقول الاتباع (الذين استكبروا) فى الدنيا واستتبعوهم فى الغنى والضلال (لولا أنتم) أى لولا إضلالكم وصدكم لنا عن الإيمان (لكننا مؤمنين) باتباع الرسول ﷺ (قال الذين استكبروا الذين استضعفوا) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فإذا قال الذين استكبروا فى الجواب فقيل قالوا (أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الإيمان مثبتين أنهم هم الصادون بأنفسهم بسبب كونهم راسخين فى الإجرام (وقال الذين استضعفوا الذين استكبروا) إضراباً عن إضرابهم وإبطالا له (بل مكر الليل والنهار) أى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار لحذف المضاف إليه وأقيم مقامه الظرف اتساعاً أو جعل ليلهم ونهارهم ما كرين على الإسناد المجازى وقرىء بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين أى بل صدنا مكركم فى الليل والنهار على أن التنوين عوض عن المضاف إليه أو مكر عظيم على أنه للتفخيم وقرىء بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أى تكرون الإغواء مكرأ دائماً لا تفترون عنه فالرفع على الفاعلية أى بل صدنا مكركم الإغواء فى الليل والنهار على ماسبق من الاتساع فى الظرف بإقامته مقام المضاف إليه والنصب على المصدرية أى بل تكرون الإغواء مكر الليل والنهار أى مكرأ دائماً وقوله تعالى (إذ تأمرونا) ظرف للمكر أى بل مكركم الدائم وقت أمركم لنا (أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً) على أن المراد بمكرهم إما نفس أمرهم بما ذكر كما فى قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾

قُلْ إِن رَّبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الْوَعْدِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾

وجعلكم ملوكا فإن الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى وأى نعمة وأما أمور آخر مقارنة لأمرم داعية إلى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أى أخسر الفريقان الندامة على ما فعلوا من الضلال والاضلال وأخفاها كل منهما عن الآخر مخافة التعبير أو أظهرها فإنه من الأضداد وهو المناسب لحالهم (وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم والإظهار فى موضع الإضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب أغلالهم (هل يجوزون إلا ما كانوا يعملون) أى لا يجوزون إلا جزاء ما كانوا يعملون أو إلا بما كانوا يعملونه على نزع الجار (وما أرسلنا فى قرية) من القرى (من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) تسليية لرسول الله ﷺ بما منى به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة بحفظ الدنيا وخافها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أى الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً بأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قال مترفون مثل ما قال مترفو أهل مكة فى حقه ﷺ وكادوا به نحو ما كادوا به ﷺ وقاسوا أمور الآخرة الموهومة والمفروضة عندم على أمور الدنيا وزعموا أنهم لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا أن المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرمهموها وعلى ذلك رأى الركب بنوا أحكامهم (وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمُعذَّبين) إما بناء على انتفاء العذاب الأخرى رأساً أو على اعتقاد أنه تعالى أكرمهم فى الدنيا فلا يهينهم فى الآخرة على تقدير وقوعها (قل) رداً عليهم وحسباً لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقاً للحق الذى عليه يدور أمر التكوين (إن ربي يبسط الوزق لمن يشاء) أن يبسطه له (ويقدر) على من يشاء أن يقدره عليه من غير أن يكون لأحد من الفريقين داع إلى ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصى ويضيق على المطيع وربما يعكس الأمر وربما يوسع عليهما معاً وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه أخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرىء ويقدر بالتشديد (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك فيزعمون أن مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار القدر هو الهوان ولا يدرون أن الأول كثيراً ما يكون بطريق الاستدراج والثانى بطريق الابتلاء ورفع الدرجات (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم

وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾
 قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ
 وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾
 وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لَاءِ يَا كَرَّ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾

٣٤ سيا

٣٤ سيا

٣٤ سيا

عندنا زلني) كلام مستأنف من جمته عز وعلا خوطب به الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق أى وما جماعة أموالكم وأولادكم بالجماعة التى تقربكم عندنا قربة فإن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء فى حكم التائيد أو بالحصلة التى تقربكم وقرىء بالذى أى بالشئ الذى (إلا من آمن وعمل صالحاً) استثناء من مفعول تقربكم أى وما الأموال والأولاد تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذى أنفق أمواله فى سبيل الله تعالى وعلم أولاده الخير ورأى بهم على الصلاح ورشحهم للطاعة وقيل من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف أى إلا أموال من الخ (فأولئك) إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها كما أن الأفراد فى الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيدان بلور تبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل أى فأولئك المنعوتون بالإيمان والعمل الصالح (لهم جزاء الضعف) أى ثابت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لما بعده وبالجملة خبر لا أولئك وفيه تأكيد لتكرار الإسناد أو ثبت لهم ذلك على أن الجار والمجرور خبر لا أولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية وإضافة الجزاء إلى الضعف من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرأ فما فوقها وقرىء جزاء الضعف على فأولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على أن يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع على أن الضعف بدل من جزاء (بما عملوا) من الصالحات (وهم فى الغرفات) أى غرفات الجنة (آمنون) من جميع المكاهة وقرىء بفتح الراء وسكونها وقرىء فى الغرفة على إرادة الجنس (والذين يسعون فى آياتنا) بالرد والطمأن فيها (معاجزين) سابقين لآياتنا أو زاعمين أنهم يفوتونا (أولئك فى العذاب محضرون) لا يجهدهم ما عولوا عليه نفعا (قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) أى يوسع عليه تارة (وبقدر له) أى يضيقه عليه تارة أخرى فلا تخشوا الفقر وأنفقوا فى سبيل الله وتعرضوا لنفحاته تعالى (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) عوضاً إما عاجلاً وإما آجلاً (وهو خير الرازقين) فإن غيره واسطة فى إيصال رزقه لاحقيقة لرازقته (ويوم يحشرهم جميعاً) أى المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون من دون الله ويوم ظرف لمضمر متأخر سيأتى تقديره أو مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر (ثم يقول للملائكة أهولاء إياكم كانوا يعبدون) تقريراً للمشركين وتبكيته لهم على نهج قوله تعالى أأنتم قلت للناس اتخذوني وأى الخ وإفناطاً لهم عما علقوا به أطباعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة

قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ سبأ
فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي
كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

سبأ ٣٤

وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِسَنَتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا
مَجْرُمٌ ﴿٤٣﴾

سبأ ٣٤

لأنهم أشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولأن عبادتهم مبدأ الشرك فبظهور قصورهم عن
رتبة المعبودية وتزهيمهم عن عبادتهم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الأولوية وقرئ الفعلان بالنون
(قالوا) استئناف بمعنى على سؤال نفعاً من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل فإذا يقول الملائكة حينئذ قليل
يقولون متزهين عن ذلك (سبحانك أنت ولينا من دونهم) والعدول إلى صيغة الماضي للدلالة على التحقق
أى أنت الذى نواله من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كأنهم يبنوا بذلك برايتهم من الرضا بعبادتهم ثم
أضربوا عن ذلك ونفوا أنهم عبدوهم حقيقة بقولهم (بل كانوا يعبدون الجن) أى الشياطين حيث أطاعوهم فى
عبادة غير الله سبحانه وتعالى وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم أنهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون
أجواف الأصنام إذا عبدت فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون) الضمير الأول للإنس أو للمشركين
والأكثر بمعنى الكل والثانى للجن (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضرراً) من جملة ما يقال للملائكة
عند جوابهم بالتزهد والتبرؤ عما نسب إليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رهوس الأشهاد لإظهار العجز
وقصورهم عند عبادتهم وتنصيصاً على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليست لترتيب ما بعدها من
الحكم على جواب الملائكة فإنه محقق أجابوا بذلك أم لا بل لترتيب الإخبار به عليه ونسبة عدم النفع
والضرر إلى البعض المبهم للبالغة فيما هو المقصود الذى هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه فى ملك
عدم نفع العبدة لهم كأن نفع الملائكة لعبدهم فى الاستعانة والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم
الضرر مع أنه لا بحث عنه أصلاً إما لتعميم العجز أو لخل عدم النفع على تقدير العبادة وعدم الضرر على
تقدير تركها أو لأن المراد دفع الضرر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك اليوم مع ثبوته على
الإطلاق لانهقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل (ونقول للذين ظلموا) عطف على نقول
للملائكة لا على لا يملك كما قيل فإنه ما يقال يوم القيامة خطاباً للملائكة مترتباً على جوابهم المحكى وهذا
حكاية لرسول الله ﷺ لما سيقال للعبدة يومئذ إثر حكاية ما سيقال للملائكة أى يوم نحشرهم جميعاً ثم
نقول للملائكة كذا وكذا ويقولون كذا وكذا ونقول للمشركين (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها
تكذبون) يكون من الأحوال والأحوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى (وإذا تنلى عليهم آياتنا

وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾

سبأ ٣٤

وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ

سبأ ٣٤

نَكِيرٍ ﴿٤٥﴾

قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَدَيْ ثُمَّ تَنفَكُّوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ

سبأ ٣٤

هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾

بينات) بيان لبعض آخر من كفرانهم أى إذا تتلى عليهم بلسان الرسول ﷺ آياتنا الناطقة بحقيقة التوحيد وبطلان الشرك (قالوا ما هذا) يعنون رسول الله ﷺ (إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) فيستبعمكم بما يستدعيه من غير أن يكون هناك دين إلهي وإضافة الآباء إلى المخاطبين لا إلى أنفسهم • لنحر يك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد (وقالوا ما هذا) يعنون القرآن الكريم (إلا إناك) أى كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع (مفتري) يا ستاده إلى الله تعالى (وقال الذين كفروا للحق) أى لأمر النبوة أو الإسلام أو القرآن على أن العطف لاختلاف العنوان • بأن يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز (لما جاءهم) من غير تدبر ولا تأمل فيه (إن هذا إلا سحر مبين) ظاهر سحر ريته وفي تكرير الفعل والتصریح بذكر الكفرة وما في اللامين من الإشارة إلى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة إلى البت بهذا القول الباطل إنكار عظيم له وتعجيب بليغ منه (وما آتيناكم من كتب يدريسونها) فيها دليل على صحة الإشراف كما في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى أم آتيناكم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون وقرىء يدريسونها ويدرسونها • بتشديد الدال يفتعلون من الدرس (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) يدعوهم إليه وينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا وقد بان من قبل أن لا وجه له بوجه من الوجوه فنأين ذهبوا هذا المذهب الزائف وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى (وكذب الذين من قبلهم) من الأمم المتقدمة والقرون الخالية • كما كذبوا (وما بلغوا معشار ما آتيناكم) أى ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال أو ما بلغ أولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى (فكذبوا رسل) عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا الخ (فكيف كان نكير) أى إنكارى لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك (قل إنما أعظكم بواحدة) أى ما أرشدكم وأنصح لكم إلا بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى (أن تقوموا لله) على أنه بدل منها أو بيان لها أو خبر مبتدأ محذوف أى هي أن تقوموا من مجلس رسول الله ﷺ أو تنتصبوا للأمر خالصاً لوجه الله تعالى معرضاً عن المماراة والتقليد (مثنى وفردى) أى متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً فإن الازدحام يشوش الأفهام ويخاطب الأفكار بالأوهام وفي تقديم مثنى إيدان بأنه أوثق وأقرب إلى الاطمئنان (ثم

قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ ٣٤ سبا

قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ ٣٤ سبا

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِي الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ٣٤ سبا

قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ٣٤ سبا

- تفكروا) في أمره ﷺ وما جاء به لتعلموا حقيقة وحقيقته وقوله تعالى (ما يصاحبكم من جنة) استئناف * مسوق من جهة تعالى للتنبيه على طريقة النظر والتأمل بأن مثل هذا الأمر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لدعائه إلا مجنون لا يبالى بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه أو مؤيد من عند الله مرشح للنبوة واثق بمجته وبرهانه وإذ قد علمتم أنه ﷺ أرجح العالمين عقلاً وأصدقهم قولاً وأنزهم نفساً وأفضلهم علماً وأحسنهم عملاً وأجمعهم للكمالات البشرية وجب أن تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم إلى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز أن يتعلق بما قبله على معنى ثم تفكروا فتعلموا ما يصاحبكم من جنة وقد جوز أن تكون ما استفهامية على معنى ثم تفكروا أى شيء به من آثار الجنون (إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) هو عذاب الآخرة فإنه ﷺ مبعوث في نسف الساعة (قل ما سألتكم من أجر) أى أى شيء سألتكم من أجر على الرسالة (فهو لكم) والمراد نفي السؤال رأساً ٤٧ كقول من قال لمن لم يعطه شيئاً إن أعطيت شيئاً نخذه وقيل ماموصولة أريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً وقوله تعالى لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى واتخاذ السبيل إليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه ﷺ قرباهم (إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) مطلع يعلم صدق وخلص نيق وقرىء إن أجرى بسكون الياء (قل إن ربى يقذف بالحق) ٤٨ أى يلقيه وينزله على من يجتنبه من عباده أو يرى به الباطل فيدهغه أو يرى به فى أقطار الآفاق فيكون وعداً بإظهار الإسلام وإعلاء كلمة الحق (علام الغيوب) صفة محمولة على محل إن واسمها أو بدل من المستكن فى يقذف أو خبر ثان لأن أو خبر مبتدأ محذوف وقرىء بالنصب صفة لربى أو مقدراً بأعنى وقرىء بكسر الغين وبالفتح كصبور مبالغة غائب (قل جاء الحق) أى الإسلام والتوحيد (وما يبدي الباطل وما يعيد) أى زهق الشرك بحيث لم يبق أثره أصلاً مأخوذ من هلاك الحى فإنه إذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة لجعل مثلاً فى الهلاك بالمرّة ومنه قول عبيد [أقفر من أهله هبيد * فليس يبدى ولا يعيد] وقيل الباطل إبليس أو الصنم والمعنى لا ينشئ خلقاً ولا يعيد أو لا يبدي خيراً لا أهله ولا يعيد وقيل ما استفهامية منصوبة بما بعدها (قل إن ضللت) عن الطريق الحق (فإنما أضل على نفسى) فإن وبال ضلالاً عليها لأنه بسببها لإذهى الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قبول الشرطية بقوله تعالى (وإن اهتديت فبما يوحي إلى ربى) لأن الاهتداء بهدائته وتوفيقه وقرىء ربى بفتح الياء (إنه سميع

- وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ ٣٤ سبأ
- وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ۖ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ٣٤ سبأ
- وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ ۖ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ ٣٤ سبأ
- وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ﴿٥٤﴾ ٣٤ سبأ

٥١ قريب (يعلم قول كل من الممتدى والضال وفعله وإن بالغ في إخفائهما (ولو ترى إذ فزعوا) عند الموت أو البعث أو يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن ثمانين ألفاً يغزون الكعبة ليخربوها فإذا دخلوا البداء خسف بهم وجواب لو محذوف أي لرأيت أمراً هائلاً (فلا فوت) فلا يفوتون الله عز وجل • يهرب أو تحصن (وأخذوا من مكان قريب) من ظهر الأرض أو من الموقف إلى النار أو من صحراء بدر إلى قلبها أو من تحت أقدامهم إذا خسف بهم والحجة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت على معنى إذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ويؤيده أنه قرئ. وأخذ بالعطف على محله أي فلا فوت هنا وهناك أخذ

٥٢ (وقالوا آمنا به) أي بحمد ﷺ وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم (وأنى لهم التناوش) التناوش التناول السهل أي ومن أين لهم أن يتناولوا الإيمان تناولاً سهلاً (من مكان بعيد) فإنه في حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالإيمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرئ. بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من ناشت الشيء إذا طلبته وعن أبي عمرو التناوش بالهمز التناول من بعد من قولهم ناشت إذا أبطأت وتأخرت

٥٣ ومنه قول من قال [تمنى تيشاً أن يكون أطاعني] وقد حدثت بعد الأمور أمور [(وقد كفروا به) أي بحمد ﷺ أو بالعذاب الشديد الذي أنذرهم إياه (من قبل) أي من قبل ذلك في أو ان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهروا لهم في حق الرسول ﷺ من المطاعن أو في العذاب المذكور • من بت القول بنفيه (من مكان بعيد) من جهة بعيدة من حاله ﷺ حيث ينسبونه ﷺ إلى الشعر والسحر والكذب وإن أبعده شيء عما جاء به الشعر والسحر وأبعده شيء من عاداته المعروفة فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرى شيئاً لا يراه من مكان بعيد لا بحال للوهم في لحوقه وقرئ. ويقذفون على أن الشيطان يلقي إليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على قد كفروا به على حكاية الحال الماضية أو على قالوا

٥٤ فيكون تمثيلاً لحالهم بحال القاذف في تحصيل ماضيه من الإيمان في الدنيا (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الإيمان والنجاة من النار وقرئ. بإشمام الضم للحاء (كما فعل بأشياءهم من قبل) أي بأشياءهم • من كفرة الأمم الدارجة (إنهم كانوا في شك مرِيب) أي موقع في الريبة أو ذي ريبة والاول منقول بمن يصح أن يكون مرِيباً من الأعيان إلى المعنى والثاني من صاحب الشك إلى الشك كما يقال شعر شاعر واقه أعلم عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي إلا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصالحاً .

٣٥ - سورة فاطر

(مكية وهي خمس وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلُثَ وَرُبْعَ
يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾

٣٥ فاطر

(سورة فاطر مكية وهي خمس وأربعون آية)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (الحمد لله فاطر السموات والأرض) مبدعهما من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كأنه شق العدم بإخراجهما منه وإضافته محضة لأنه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق (جاعل الملائكة) الكلام في إضافته وكونه نعتا أو بدلا كما قبله وقوله تعالى (رسلا) منصوب به على الوجه الثاني من الإضافة بالاتفاق وأما على الوجه الأول فكذلك عند الكسائي وأما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لأن اسم الفاعل إذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم إلا معرفا باللام وقال أبو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي إلى اثنين يعمل في الثاني لأن باضافته إلى الأول تعذرت إضافته إلى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بأنه بالإضافة أشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرىء جاعل بالرفع على المدح وقرىء الذى فطر السموات والأرض وجعل الملائكة أى جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصادقة أو بينه تعالى وبين خلقه أيضاً حيث يوصلون إليهم آثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييرياً أما على تقدير كونه إبداعياً فرسلا نصب على الحالية وقرىء رسلا بسكون السين (أولى أجنحة) صفة لرسلا وأولو اسم جمع لذو كما أن أولاء اسم لذا ونظيرهما في الأسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى (مثنى وثلاث ورباع) صفات لأجنحة أى ذوى أجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها والمعنى أن من الملائكة خلقاً لكل واحد منهم جناحان وخلقاً أجنحة كل منهم ثلاثة وخلقاً آخر لكل منهم أربعة أجنحة ويروى أن صنفاً من الملائكة لهم ستة أجنحة بجناحين منها يلقون أجسادهم وبآخرين منها يطيرون فيما أمروا به من جهة تعالى وجناحان منها رخيان على وجوههم حياة من الله عز وجل وعن رسول الله ﷺ أنه رأى جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستانته جناح وروى أنه سأل عليه السلام أن يترأى له في صورته فقال إنك لن تطيق ذلك قال إني أحب أن تفعل فخرج ﷺ في ليلة مقمرة فأنابه جبريل عليه السلام في صورته ففشى عليه ﷺ ثم أقام جبريل مسنده وإحدى يديه على صدره والآخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف لورأيت

مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾

٣٥ فاطر

يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتِ تُؤْفَكُونَ ﴿٢١﴾

٣٥ فاطر

إسرافيل له اثنا عشر جناحاً جناح منها بالشرق وجناح منها بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه لبيضاء ل
 * الأحابيين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير (يزيد في الخلق ما يشاء)
 استئناف مقرر لما قبله من تفاوت أحوال الملائكة في عدد الأجنحة ومؤذن بأن ذلك من أحكام مشيئته
 تعالى لا لمرار جمع إلى ذواتهم ببيان حكم كل ناطق بأنه تعالى يزيد في أي خلق كان كل ما يشاء أن يزيده
 بموجب مشيئته ومقتضى حكمته من الأمور التي لا يحيط بها الوصف وما روى عن النبي ﷺ من تخصيص
 بعض المداني بالذكر من الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن فيبان لبعض المواد المعهودة
 بطريق التمثيل لا بطريق الحصر فيها وقوله تعالى (إن الله على كل شيء قدير) تعليل بطريق التحقيق للحكم
 المذكور فإن شمول قدرته تعالى لجميع الأشياء مما بوجبه قدرته تعالى على أن يزيد كل ما يشاءه إيجاباً بديناً
 ٢ (ما يفتح الله للناس من رحمة) عبر عن إرسالها بالفتح إيذاناً بأنها أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون
 وأعزها مانلاً وتكثيرها للإشاعة والإبهام أي شيء يفتح الله من خزائن رحمته أية رحمة كانت من نعمة
 * وصحة وأمن وعلم وحكمة إلى غير ذلك مما لا يحاط به (فلا مُمْسِكَ لها) أي لا أحد يقدر على إمساكها (وما
 يُمْسِكُ) أي أي شيء يُمْسِكُ (فلا مرسل له) أي لا أحد يقدر على إرساله واختلاف الضميرين لما أن
 مرجع الأول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق يتناولها وغيرها كائناً ما كان وفيه إشعار بأن رحمته
 سبقت غضبه (من بعده) أي من بعد إمساكه (وهو العزيز) الغالب على كل ما يشاء من الأمور التي من
 * جعلتها الفتح والإمساك (الحكيم) الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجللة تذييل
 مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والإمساك بموجب الحكمة التي عليها يدور أمر التكوين
 وبعد ما بين سبحانه أنه الموجد للبلك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير أن يكون
 ٣ لأحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه أمر الناس قاطبة أو أهل مكة خاصة بشكر نعمه فقال (يا أيها
 الناس اذكروا نعمة الله عليكم) أي إنعامه عليكم إن جعلت النعمة مصدراً أو كائنة عليكم إن جعلت اسماً
 أي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله
 تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الإيجاد ونعمة الإبقاء نفي أن يكون في الوجود شيء غيره تعالى
 * يصدر عنه إحدى النعمتين بطريق الاستفهام الإنكارى المنادى باستحالة أن يحجب عنه بنعم فقال (هل
 من خالق غير الله) أي هل خالق مغاير له تعالى موجود على أن خالق مبتدأ محذوف الخبر زيدت عليه كلمة
 من لتأكيد العموم وغير الله نعمت له باعتبار محله كما أنه نعمت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٠﴾ ٣٥ فاطر
يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٤١﴾ ٣٥ فاطر

- بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى (يرزقكم من السماء والأرض) أى بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لا محل له من الإعراب داخل في حيز النفي والإنكار ولا مساغ لما قيل من أنه صفة أخرى لخالق مرفوعة المحل أو مجرورة به لأن معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفى المغايرة والرازية معاً من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من أنه الخبر للابتداء ولا لما قيل من أنه مفسر لمضمرة ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية أى هل يرزقكم من خالق الخ لما أن معناهما نفي رازية خالق مغايرة له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأساً مع أنه المراد حتماً لا يرى إلى قوله تعالى (لا إله إلا هو) فإنه استئناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصداً وجار مجرى الجواب عما يورمه الاستفهام صورة لحيث كان هذا ناطقاً بنفي الوجود تعين أن يكون ذلك أيضاً كذلك قطعاً والفاء في قوله تعالى (فأنى تؤفكون) لترتيب إنكار عدولهم عن التوحيد إلى الإشراف على ما قبلها كأنه قيل وإذا تبين تفردة تعالى بالالوهية والخالقية والرازية فمن أى وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك وقوله تعالى (وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ بين خطابي الناس مسارعة إلى تسليته ﷺ بعموم البلية أولاً والإشارة إلى الوعد والوعيد ثانياً أى وإن استمر وأعلى أن يكذبوك فيما بلغت إليهم من الحق المبين بعد ما أقت عليهم الحجة وألغمتهم الحجر فتأس بأولئك الرسل في المصابرة على ما أصابهم من قبل قومهم فوضع موضع ما ذكرنا كنفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسليية والتوجه إلى المصابرة أى رسل أولو شأن خطير وذو عدد كثير (وإلى الله ترجع الأمور) لا إلى غيره فيجازى كلا منك ومنهم بما أنتم عليه من الأحوال التى من جملتها صبرك وتكذيبهم وفى الاقتصاد على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع إيهام الجزاء ثواباً وعقاباً من المبالغة فى الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول أدخل فى التحويل (يا أيها الناس) رجوع إلى خطابهم وتكرير النداء لتأكيد العظة والتذكير (إن وعد الله) المشار إليه ٥ يرجع الأمور إليه تعالى من البعث والجزاء (حق) ثابت لا محالة من غير خلف (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بأن يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهى بزخارفها عن تدارك ما همكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيمهم عن الاغترار بها وإن توجه النهى صورة إليها كما فى قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقى (ولا يغرنكم بالله) وعفوه وكرمه تعالى (الغرور) أى المبالغ فى الغرور وهو الشيطان بأن يمينكم المغفرة مع الإصرار على المعاصى قائلوا ما شئتم إن الله غفور يغفر الذنوب جميعاً فإن ذلك وإن أمكن لكن تعطى الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلاً على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهى للبالغة فيه ولاختلاف الغرورين فى الكيفية وقرئ الغرور بالضم على أنه مصدر أو جمع غار كقعود جمع قاعد ،

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣٥﴾ فَاطِر
الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
كَبِيرٌ ﴿٣٦﴾

٣٥ فاطر

أَفَنَ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ لَمْ يَضِلُّ مِنْ يَشَاءَ وَيَهْدَى مِنْ يَشَاءَ فَلَا تَذْهَبْ
نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٧﴾

٣٥ فاطر

- ٦ (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) (إنما يدعو حربه ليكونوا من أصحاب السعير) (فاتخذوه عدوا) (بما الفتكم له في عقائدكم وأفعالكم وكونكم على حذر منه في مجامع أحوالكم وقوله تعالى (إنما يدعو حربه ليكونوا من أصحاب السعير) تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على أن غرضه في دعوة شيعته إلى اتباع الهوى والركون إلى ملاذ الدنيا ليس بتحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعى بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم وإلقاؤهم في العذاب
- ٧ المخلد من حيث لا يحتسبون (الذين كفروا لهم) بسبب كفرهم وإجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته (عذاب شديد) لا يقادر قدره مديد لا يبلغ مداه (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم) بسبب ما ذكر من الإيمان والعمل الصالح الذي من جماته عداوة الشيطان (مغفرة) عظيمة (وأجر كبير) لا غاية لها (أفن زين له سوء عمله فرآه حسناً) إما تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتى الفريقين ببيان تباين حالهما المؤديين إلى تنكك العاقبتين والفاء لإنكار ترتيب ما بعدها على ما قبلها أى أبعد كون حالهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استعجبه واجتنبه واختار الإيمان والعمل الصالح حتى لا تكون عاقبتاهما كما ذكر لحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى (فإن الله يضل) الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان أن الكل بمشيئته تعالى أى فإنه تعالى يضل (من يشاء) * أن يضل له لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره إليه فيرده أسفل سافلين (ويهدى من يشاء) أن يهديه بصرف اختياره إلى الهدى فيرفعه إلى أعلى عليين وإما تمهيد لما يعقبه من نهيه ﷺ عن التحسر والتعزن عليهم لعدم إسلامهم ببيان أنهم ليسوا بأهل لذلك بل لأن يضرب عنهم صفحاً ولا يبالى بهم قطعاً أى أبعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم لحذف لما دل عليه قوله تعالى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) دلالة بينة وإما تمهيد لصفه ﷺ عما كان عليه من الحرص الشديد على إسلامهم والمبالغة في دعوتهم إليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه في غاية الحسن عند أى أبعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فرآه حسناً فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في إسلامه وتتعب نفسك في دعوته لحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فإن الله يضل من يشاء الخ على أنه من شاء الله تعالى أن يضل فنهى عن أن يضل الله وما لهم من ناصرين وقرىء فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات إما مفعول له أى فلا

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقِنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ
النُّشُورُ ﴿١٠٩﴾

٣٥ فاطر

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١١٠﴾

٣٥ فاطر

- تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه ﷺ على أحوالهم أو على كثرة قبائح أعمالهم
الموجبة للتأسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حياً ومات عليه حزناً أو هو بيان
للتحسر عليه ولا يجوز أن يتعلق بحسرات لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته وإما حال كان كلها صارت
حسرات وقوله تعالى (إن الله هليم بما يصنعون) أى من القبائح لتعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه
من الوعيد. عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت في أبي جهم ومشركي مكة (والله الذى أرسل الرياح)
مبتدأ وخبر وقرئ الرياح وصيغة المضارع فى قوله تعالى (فتثير سحاباً) لحكاية الحال الماضية استحضاراً
لذلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولأن المراد بيان إحداثها لتلك الخاصة ولذلك
أسند إليها أو للدلالة على استمرار الإثارة (فسقناه إلى بلد ميت) وقرئ بالتخفيف (فأحيينا به الأرض)
أى بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فإن بينهما تلازماً فى الذهن كما فى الخارج أو بالسحاب فإنه
سبب السبب (بعد موتها) أى يبسها وإيراد الفعلين على صيغة الماضى للدلالة على التحقق وإسنادهما إلى
نون العظمة المنبى عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة بين إحياء الأرض
وبين البعث الذى شبه به بقوله تعالى (كذلك النشور) فى كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف فى
حيز الرفع على الخبرية أى مثل ذلك الإحياء الذى تشاهدونه إحياء الأموات فى صفة المقدورية وسهولة
التأتى من غير تفاوت بينهما أصلاً سوى الألف فى الأول دون الثانى وقيل فى كيفية الإحياء يرسل الله
تعالى من تحت العرش ماء فينبث منه أجساد الخلق (من كان يريد العزة) هم المشركون الذين كانوا
يتعززون بعبادة الأصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً والذين كانوا
يتعززون بهم من الذين آمنوا بالسنتهم كفى قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
أيتنغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الإرادة واستمرارها (فله العزة جميعاً) أى
له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الآخرة أى فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر
دليله إيداناً بأن اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى (إليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح برفعه) بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح رصودهما
إليه مجاز عن قبوله تعالى إياهما أو صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال
الاعتداد به كقوله تعالى وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات أى إليه يصل الكلم الطيب
الذى به يطلب العزة لا إلى الملائكة الموكلين بأعمال العباد فقط وهو يعز صاحبه ويعطى طلبته بالذات

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ
وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ٣٥ فاطر

والمستمكن في يرفعه للكلم فإن مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل أو للعمل فإنه يحقق الإيمان ويقويه ولا ينال الدرجات العالية إلا به وقرى يصعد من الإصعاد على البناءين والمصعد هو الله سبحانه أو المتكلم به أو الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعنه عليه السلام أنه سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك إلى السماء فحياتها وجه الرحمن فإذا لم يكن عمل صالحاً لم تقبل وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحانه والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله إلا أخذ من ملك لجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فأيمن بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصادقه قوله عز وجل إليه يصعد الكلم الطيب الخ (والذين يذكرون السيئات) بيان لحال الكلم الحثيث والعمل السبيـه وأهلها بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على أنها صفة للمصدر المحذوف أي يذكرون المكورات السيئات وهي مكورات قريش بالنبي عليه السلام في دار الندوة وتداولهم الرأي في إحدى الثلاث التي هي الإثبات والقتل والإخراج (لهم) بسبب مكوراتهم (عذاب شديد) لا يقاد قدره ولا يؤبه عنده لما يذكرون (ومكر أولئك) وضع اسم الإشارة ووضع ضميرهم للإبذان بكال تميزهم بمآم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على تراعى أمرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان أي ومكر أولئك المفسدين الذين أرادوا أن يذكروا به عليه السلام (هو يبور) أي هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد أبارهم الله تعالى بعد إبارة مكوراتهم حيث أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قلب بدر فجمع عليهم مكوراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه عليه السلام بواحدة منهم (والله خلقكم من تراب) دليل آخر على صحة البعث والنشور أي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقاً إجمالياً كما مر في تحقيقه مراراً (ثم من نطفة) أي ثم خلقكم منها خلقاً تفصيلياً (ثم جعلكم أزواجاً) أي أصنافاً أو ذكراناً وإناثاً وعن قتادة جعل بعضهم أزواجاً لبعض (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) إلا ملتبسة بعلمه تابعة لمشيئته (وما يعمر من معمر) أي من أحدوا وإنما سمي معمرأ باعتبار مهيده أي وما يمد في عمر أحد (ولا ينقص من عمره) أي من عمر أحد على طريقة قوله لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحق لكن لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائداً بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصاً وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار أسباب مختلفة أثبتت في اللوح مثل أن يكتب فيه إن حج فلان فعمره ستون وإلا فأربعون وإليه أشار عليه السلام بقوله الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فإنه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يوماً وهكذا حتى يأتي على آخره وقرى ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاحِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

٣٥ فاطر

يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَكَرَ اللَّهُ رَبَّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾

٣٥ فاطر

- يسكون الميم (إلا في كتاب) عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة كل إنسان (إن ذلك) أى ماذكر من الخلق وما بعده مع كونه محاراً للعقول والأفهام (على الله يسير) لاستغنائهم عن الأسباب فكذلك البعث (وما يستوى البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج) مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذى يكسر العطش والسائغ الذى يسهل انحداره لعذوبته والأجاج الذى يحرق بملوحته وقرىء سبغ كسيد وسبغ بالتخفيف وملح ككتف وقوله تعالى (ومن كل) أى من كل واحد منهما (تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون) أى من المالح خاصة (حلية تلبسونها) إما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع وإما تكملة للتشثيل والمعنى كما أنهما وإن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث أنهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوى الكافر المؤمن وإن شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على فطرته الأصلية وحيازته لكاله اللائق دون الآخر أو تفضيل الأجاج على الكافر من حيث أنه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكالية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك فيه) أى في كل منهما وإفراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لأن الخطاب لكل حد تناق من الرؤية دون المتفعين بالبحرين فقط (مواخر) شواق للباء بمرها مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) من فضل الله تعالى بالنفلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الأفعال المذكورة أى فعل ذلك لتبتغوا من فضله (ولعلكم تشكرون) أى ولتشكروا على ذلك وحرف الترجى للإيذان بكونه مرضياً عند الله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) بزيادة أحدهما ١٣ ونقص الآخر بإضافة بعض أجزاء كل منهما إلى الآخر (وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج واختلافهما صيغة لما أن إبلاج أحد الملوين في الآخر متجدد حيناً لحيناً وأما تسخير النيرين فأمر لا تعدد فيه وإنما المتعدد والمتجدد آثاره وقد أشير إليه بقوله تعالى (كل يجرى) أى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد أيام السنة جرياناً مستمراً (لأجل مسمى)

إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُمْ وَلَا
يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ⑭

فاطر ٣٥

فاطر ٣٥

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ⑮

فاطر ٣٥

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ⑯

فاطر ٣٥

وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ⑰

- قدره الله تعالى للجريانهما وهو يوم القيامة كما روى عن الحسن رحمه الله وقيل جريانهما عبارة عن
حركتهما الخاصتين بهما في فلكيهما والأجل المسمى هو منتهى دورتيهما ومدة الجريان للشمس سنة
والقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان (ذلكم) إشارة إلى فاعل الأفاعيل المذكورة وما فيه من معنى
البعد للإيدان بقاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة أى ذلكم العظيم الشأن الذى أبدع هذه
الصنائع البديعة (الله ربكم له الملك) وفيه من الدلالة على أن إبداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت
تلك الأخبار له ما لا يخفى ويجوز أن يكون الأخير كلاما مبتدأ فى مقابلة قوله تعالى (والذين تدعون من
دونه ما يملكون من قطمير) للدلالة على تفردته تعالى بالآلوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء النحنانية
والقطمير لفافة النواف وهو مثل فى القلة والحقارة (إن تدعوهم لا يسمعوا دعامكم) استئناف مقرر لمضمون
ما قبله كاشف عن جليلة حال ما بدعونه بأنه جهاد ليس من شأنه السماع (ولو سمعوا) على الفرض والتقدير
(ما استجابوا لكم) لعجزهم عن الأفعال بالمرة لا لما قيل من أنهم متبرئون منكم وما تدعون لهم فإن ذلك
بما لا يتصور منهم فى الدنيا (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أى يحدون بإشراككم لهم وعبادتكم إياهم
بقولهم ما كنتم إيانا تعبدون (ولا ينبئك مثل خبير) أى لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير أخبرك به وهو
الحق سبحانه فإنه الخبير بكنه الأمور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما أخبر به من حال آلهتهم ونفى
ما يدعون لهم من الإلهية (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) فى أنفسكم وفيما يعين لكم من أمرهم أو خطاب
لم وتعرّف الفقراء للبالغة فى فقرهم كأنهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء لحسب وأن افتقار
سائر الخلق بالنسبة إلى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الإنسان ضعيفاً (والله هو الغنى الحميد) أى
المتغنى على الإطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد)
١٧ ليسوا على صفتكم بل مستمرّون على الطاعة أو بعالم آخر غير ما تعرفونه (وما ذلك) أى ما ذكر
من الإذهاب بهم والإتيان بآخرين (على الله بعزیز) بمنعذر ولا متعسر.

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهَلٍ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

٣٥ فاطر

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾

٣٥ فاطر

وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾

٣٥ فاطر

وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾

٣٥ فاطر

وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

٣٥ فاطر

- ١٨ (ولا تزر وازرة) أى لا تحمل نفس آثمة (وزر أخرى) إثم نفس أخرى بل إنما تحمل كل منهما وزرها وأما ما فى قوله تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم من حمل المهابين أثقالا غير أثقالهم فهو حمل أثقال إضلالهم مع أثقال ضلالهم وكلاهما أوزارهم ليس فيها من أوزار غيرهم شىء. (وإن تدع مثقلة) أى نفس أثقالها الأوزار (إلى حملها) لحمل بعض أوزارها (لا يحمل منه شىء) لم تحب بحمل شىء منه (ولو كان) أى المدعو المفهوم من الدعوة (ذا قرى) ذا قرابة من الداعى وقرىء ذو قرى وهذا نفي للحمل اختياراً والاول نفي له جباراً (إنما تنذر) استئناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر أى إنما تنذر بهذه الإنذارات (الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخشونه تعالى غائبين عن عذابه أو عن الناس فى خلواتهم أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم (وأقاموا الصلاة) أى راعوها كما ينبغى وجعلوها مناراً منصوباً وعلماً مرفوعاً أى إنما ينفع إنذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من أهل القرد والعناد (ومن تزكى) أن تطهر من أضرار الأوزار والمعاصى بالتأثر من هذه الإنذارات (فإنما يتزكى لنفسه) لاقتصار نفعه عليها كما أن من تدنس بها لا يتدنس إلا عليها وقرىء من أركى فأنما يركى وهو اعتراض مقرر لحشيتهم وإقامتهم الصلاة لأنها من معظم مبادئ التزكى (وإلى الله المصير) لا إلى أحد غيره استقلالاً أو اشتراكاً فيجازيهم على تزكيتهم أحسن الجزاء (وما يستوى الأعمى والبصير) أى
- ١٩ الكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) أى ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع أفراد النور لتعدد
- ٢٠ فنون الباطل واتحاد الحق (ولا الظل ولا الحرور) أى ولا الثواب ولا العقاب وإدخال لعل المتقابلين
- ٢١ لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم
- ٢٢ ما يهب نهاراً والحرور ما يهب ليلاً (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين

٣٥ فاطر

إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾

٣٥ فاطر

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ

٣٥ فاطر

الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾

٣٥ فاطر

ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ

٣٥ فاطر

بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهَا وَعَرَبِيٌّ سُودٌ ﴿٢٧﴾

- أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وأوثر صيغة الجمع في الطرفين تحقيقاً للتباين بين أفراد الفريقين وقيل
تمثيل للعلماء والجهلة (إن الله يسمع من يشاء) أن يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاعتناظ بعظاته (وما أنت
بمسمع من في القبور) ترشيح تمثيل المصيرين على الكفر بالأموات وإشباع في إقناطه ﷺ من إيمانهم
٢٣ (إن أنت إلا نذير) ما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك إليه في
٢٤ المطبوع على قلوبهم (إنا أرسلناك بالحق) أي محققين أو محققاً أنت أو إرسالا مصحوباً بالحق ويجوز أن
يتعلق بقوله (بشيراً ونذيراً) أي بشيراً بالوعد الحق ونذيراً بالوعيد الحق (وإن من أمة) أي مامن
أمة من الأمم الدارجة في الأزمنة الماضية (إلا خلا) أي مضى (فيها نذير) من نهي أو طام ينذرهم
والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قريبة البشارة لاسيما وقد اقترنا آنفاً ولأن الإنذار هو الأنسب
٢٥ بالمقام (وإن يكذبوك) أي تموا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم (فقد كذب الذين من قبلهم)
من الأمم العاتية (جاءتهم رسالهم بالبينات) أي المعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم (وبالزبر) كصحف
إبراهيم (وبالكتاب المنير) كالنوراة والإنجيل والزبور على إرادة التفصيل دون الجمع ويجوز أن يراد
٢٦ بهما واحداً والعطف لتغاير العنوانين (ثم أخذت الذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميرهم لدمهم
بما في حيز الصلة والإشعار بعلّة الأخذ (فكيف كان نكير) أي إنكارى بالعقوبة وفيه مزيد تشديد
٢٧ وتهويل لها (ألم تر) استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف أحوال الناس ببيان أن الاختلاف
والنفاوت أمر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية أي ألم تعلم (أن الله
أنزل من السماء ماء فأخرجنا به) بذلك الماء والانتفاخ لإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع
البدیع المنبي عن كمال القدرة والحكمة (ثمرات مختلفاً ألوانها) أي أجناسها أو أصنافها على أن كلا منها
ذو أصناف مختلفة أو هيئاتها وأشكالها أو ألوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الأوفق
لما في قوله تعالى (ومن الجبال جدد) أي ذو جدد أي خطوط وطرائق ويقال جدة الحمار للخطوة السوداء

وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعَلَمَتُونَ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

٣٥ قاطر

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ
تَجَرَّةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾

٣٥ قاطر

- على ظهره وقرى جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة ووجدت بفتحين وهو الطريق الواضح (بيض وحر مختلف ألوانها) بالشدة والضعف (وغرايب سود) عطف على يبيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرايب وهو تأكيد لمضمير يفسره ما بعده فإن الغريب تأكيد للأسود كالفاقع للأصفر والقاني للأحمر ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد ونظيره في الصفة قول النابغة [والمؤمن العائذات الطير يمسحها] وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرار باعتبار الإضمار والإظهار (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) أى ومنهم بعض مختلف ألوانه أو وبعضهم ٢٨ مختلف ألوانه على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمناً بالله وإيراد الجملتين اسميتين مع مشاركتيهما لما قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونهما على تبين الناس في الأحوال الباطنة لما أن اختلاف الجبال والناس والدواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر فعبّر عنه بما يدل على الاستمرار وأما إخراج الثمرات المختلفة لحيث كان أمراً حادثاً عبّر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريرى المنبئ عن الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف أحوال الجبال والناس وغيرهما فإنها مشاهدة غنية عن التأمل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر وقوله تعالى (كذلك) مصدر تشبيهى لقوله تعالى مختلف أى صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافاً كانتاً كذلك أى باختلاف الثمار والجبال وقرى ألواناً وقرى والدواب بالتخفيف مبالغة في الحرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) تكملة لقوله تعالى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم أما فى الأوصاف المعنوية فبطريق التمثيل وأما فى الأوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان أى (إنما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشى والعلم بشئونه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه عز وجل كما قال ﷺ أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولذلك عقب بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمزول من هذه المعرفة امتنع إنذارهم بالكلية وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية ولو آخر انعكس الأمر وقرى برفع الاسم الجليلة ونصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فإن المعظم يكون مهيأ (إن الله عزير غفور) تعليل لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للنائب عن عصيانه (إن الذين يتلون كتاب الله) أى يداومون على قراءته أو متابعة ما فيه حتى ٢٩

٣٥ فاطر

لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٥﴾

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ

٣٥ فاطر

بَصِيرٌ ﴿٣٦﴾

ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ۚ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ

٣٥ فاطر

سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ۚ يُؤْتِنِ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٧﴾

صارت سمة لهم وعنواناً والمراد بكتاب الله تعالى القرآن وقيل جلس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الأمم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذلك فإن صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعيتها تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما سيأتي من توفية الأجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفاً ظاهراً مما لا سبيل إليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الإسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيقتها قبل انتساخها والإشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والإقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعاً لما أن الباقي مشروعاً ليس إلا حكمها لكن لا من حيث إنه حكمها بل من حيث إنه حكم القرآن وأما تلاوتها فبمزل من المشروع واستتباع الأجر بالمرة فتدبر (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية) كيفما أنفق من غير قصد إليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة (يرجون تجارة) تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر إن وقوله تعالى (إن تبور) أي لن تكسب ولن تهك بالخسران أصلاً صفة لتجارة جيء بها للدلالة على أنها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران لأنه اشتراء باق بفان والإخبار برجاتهم من أكرم الأكرمين عدة قطعية بمحصل مرجوهم وقوله ٣٠ تعالى (ليؤفقه أجورهم) متعلق بـ إن تبور على معنى أنه ينتقى عنها الكساد وتنفق عند الله تعالى ليؤفقه أجورهم (ويزيدهم من فضله) على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمحل عليه ما عدم من أفعالهم المرضية أي فعلوا ذلك ليؤفقه أجورهم الخ وقيل يرجون على أن اللام للعاقبة (إنه غفور شكور) تعليل لما قبله من التوفية والزيادة أي غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم أي مجازيهم عليها وقيل هو خبر إن الذين يرجون حال من واو أنفقوا (والذي أوحينا إليك من الكتاب) وهو القرآن ومن للتبيين أو الجنس ومن للتبعض وقيل اللوح ومن للابتداء (هو الحق مصدقاً لما بين يديه) أي أحقه مصدقاً لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيقته تستلزم موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام (إن الله بعباده خبير بصير) محيط ببواطن أمورهم وظواهرها فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبر للتنبيه على أن العمد هي الأمور الروحية (ثم أوحينا الكتاب) أي قضينا بتوريثه منك أن نورته والتعبير عنه بالماضي لتقرره ٣٢

جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٥﴾ فاطر

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٦﴾ فاطر

وتحقيقه وقيل أورثناه من الأمم السالفة أى أخرناه عنهم وأعطيناه (الذين اصطفتنا من عبادنا) وهم علماء الأمة من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير سيرتهم أو الأمة بأسرهم فإن الله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم أمة وسطاً ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الاتماء إلى أفضل رسله عليهم الصلاة والسلام وليس من ضرورة وراثته الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى خلف من بعدهم خلف وورثوا الكتاب الآية (فمنهم ظالم لنفسه) بالتقصير في العمل به وهو المرجأ لأمركه (ومنهم مقتصد) يعمل به في أغلب الأوقات ولا يخلو من خلط السيئ (ومنهم سابق بالخيرات ياذن الله) قيل هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وقيل هم المداومون على إقامة مواجبه علماء وعملاء وتعلماء وفي قوله ياذن الله أى بتيسيره وتوفيقه تنبيهه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة مأخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله ﷺ وأما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وأما المقتصد فأولئك يحاسبون حساباً يسيراً وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك يحبسون في طول المحشر ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روى أن عمر رضى الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله ﷺ سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له (ذلك) إشارة إلى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار بعلم تبتته وبعد منزلته في الشرف (هو الفضل الكبير) من الله عز وجل لا ينال إلا بتوفيقه تعالى (جنات عدن) إما بدل من الفضل الكبير بتنزيل ٣٣ السبب منزلة المسبب أو مبتدأ خبره (يدخلونها) وعلى الأول هو مستأنف وجمع الضمير لأن المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين وما ألهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الآخرين وإن لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقاً لكن فيه تحذير ألها من التقصير وتحريضاً على السعى في إدراك شأو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للفعول (يحلون فيها) خبر ثان أو حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهى حالية (من أساور) هى جمع أسورة جمع سوار (من ذهب) من الأولى تبعية والثانية بيانية أى يحلون بعض أساور من ذهب كأنه أفضل من سائر أفرادها (ولؤلؤاً) بالنصب عطفاً على محل من أساور وقرئ بالجر عطفاً على ذهب أى من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من ذهب في صفاء اللؤلؤ (ولباسهم فيها حرير) وتغيير الأسلوب قد مر في سورة الحج (وقالوا) أى يقولون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) وهو ما أهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس رضى الله عنهما حزن الأعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاح الحزن وسوسة إبليس وقيل هم المعاش وقيل حزن ٣٤ ٢٠ - ابن السعدي ٧

الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ۖ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ فاطر

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ

فاطر ٣٥

نَجْزِي كُلَّ كَافُورٍ ﴿٣٦﴾

وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۖ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ

فاطر ٣٥

مَنْ تَذَكَّرَ ۖ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾

زوال النعم والظاهر أنه الجنس المنتظم لجميع أحزان الدين والدنيا وقرىء الحزن وعن رسول الله ﷺ ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكانى بأهل لا إله إلا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن (إن ربنا لغفور) ٣٥ أى للذنبين (شكور) للطيعين (الذي أحلنا دار المقامة) أى دار الإقامة التى لا انتقال عنها أبداً (من فضله) من إنعامه وفضله من غير أن يوجهه شيء من قبلنا (لا يمسنا فيها نصب) تعب (ولا يمسنا فيها لغوب) كلال والفرق بينهما أن النصب نفس المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والنصر يحبنى الثانى مع استلزام نفى الأول له وتكرير الفعل المنفى للبالغة فى بيان انتفاء كل منهما (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم) لا يحكم عليهم بموت ثان (فيموتوا) ويستريحوا ونصبه بإضمار أن وقرىء فيموتون عطفاً على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولا يخفف عنهم من عذابها) بل كلما خبت زيد إسماعها (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى كل كفور) مبالغ في الكفر أو الكفران لا جزاء أخف وأدنى منه وقرىء يجرى على البناء للمفعول وإسناده إلى الكل وقرىء يجرى الكفران لا جزاء أخف وأدنى منه وقرىء يجرى على البناء للمفعول وإسناده إلى الكل وقرىء يجرى (وهم يصطرخون فيها) يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمال في الاستغاثة لجمود المستغيث صوته (ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل) بإضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والإشعار بأن استخراجهم لتلافيه وأنهم كانوا يحسبونهم صالحاً والآن تبين خلافه وقوله تعالى (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) جواب من جمته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة أى ألم نمهلكم أو ألم تؤخركم ولم نعمركم عمراً يتذكر فيه من تذكر أى يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكير قيل هو أربعون سنة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ستون سنة وروى ذلك عن على رضى الله عنه وهو العمر الذى أعذر الله فيه إلى ابن آدم قال ﷺ أعذر الله إلى امرئ آخر أجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى (وجاءكم النذير) عطف على الجملة الاستفهامية لأنها فى معنى قد عمرناكم كما فى قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا الخ لأنه فى معنى قد شرحنا الخ والمراد بالنذير رسول الله ﷺ أو مامعه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الأقارب والاقتصار على ذكر النذير لأنه الذى

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ ٣٥ فاطر
 هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ ٣٥ فاطر
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ
 فِي السَّمَوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَهُمُ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ٣٥ فاطر

بقتضيه المقام والفاء في قوله تعالى (فذوقوا) لترتيب الأمر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير
 وفي قوله تعالى (فأولئك المظالمين من نصير) للتعليل (إن الله عالم غيب السموات والأرض) بالإضافة وقرى ٣٨
 بالتنوين ونصب غيب على المفعولية أي لا يخفى عليه خافية فيها فلا تخفى عليه أحوالهم (إنه عليم بذات
 الصدور) قيل إنه تعليل لما قبله لأنه إذا علم مضمرة الصدور وهي أخفى ما يكون كان أعلم بغيرها (هو الذي ٣٩
 جعلكم خلائف في الأرض) يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى أنه
 تعالى جعلكم خلفاء في أرضه وألقى إليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها وأباح لكم منافعها وأجعلكم
 خلفاء عن قبلكم من الأمم وأورثكم ما بأيديهم من متاع الدنيا للتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر)
 منكم مثل هذه النعمة السنية وغطها (فعليه كفره) أي وبال كفره لا يتعداه إلى غيره وقوله تعالى (ولا يزيد
 الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتًا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارًا) بيان لوبال الكفر وغائلته وهو
 مقت الله تعالى إياهم أي بغضه الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي مابعده شر وخسار
 والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على أن اقتضاء الكفر لكل واحد من المؤمنين الهائلين القبيحين بطريق
 الاستقلال والاصالة (قل) تبكيئنا لهم (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أي آلهتكم والإضافة ٤٠
 إليهم لأنهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير أن يكون له أصل ما أصلا وقيل جعلوهم شركاء لأنفسهم فيما يملكونه
 ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه (أروني ماذا خلقوا من الأرض) بدل اشتغال من رأيتم كأنه قيل
 أخبروني عن شركائكم أروني أي جزء خلقوا من الأرض (أم لهم شرك في السموات) أي أم لهم شركة
 مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الألوهية ذاتية (أم آتيناهم كتاباً) ينطق
 بأنا آتيناهم شركاء (فهم على بينة منه) أي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بأن لهم شركة جمالية ويجوز
 أن يكون ضمير آتيناهم للشركين كما في قوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطاناً الخ وقرى على بينات وفيه إيماء
 إلى أن الشرك أمر خطير لا بد في إثباته من تعاضد الدلائل (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً)
 لما نفي أنواع الحجج في ذلك أضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تقرير الأسلاف للأخلاف وإضلال
 الرؤساء للأتباع بأنهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقريب إليه .

إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ
إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ①

٣٥ فاطر

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ②

٣٥ فاطر

أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولَىٰ وَلَئِنْ
فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ③

٣٥ فاطر

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ④

٣٥ فاطر

- ٤١ (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهو له أي
بمسكهما كراهة زوالهما أو بمنعهما أن تزولا لأن الإمساك منع (ولئن زالتا إن أمسكهما) أي ما أمسكهما
(من أحد من بعده) من بعد إمساكه تعالى أو من بعد الزوال والجملة سادة متتدا الجوابين ومن الأولى
مزيدة لتأكيد العموم والثانية للابتداء (إنه كان حلما غفورا) غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها
جناياتهم حيث أمسكهما وكانا جديرين بأن تهدأ هدا حسبا قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه
٤٢ وتنشق الأرض وقرىء ولو زالتا (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى
الأمم) بلغ قرىشا قبل مبعث رسول الله ﷺ أن أهل الكتاب كذبوا رسلم فقالوا لعن الله اليهود
والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن أنا رسول لكونن أهدى من إحدى الأمم اليهود
والنصارى وغيرهم أو من الأمة التي يقال لها إحدى الأمم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة
(فلما جاءهم نذير) وأي نذير أشرف الرسل عليهم الصلاة والسلام (مازادهم) أي النذير أو بجيئه (إلا
٤٣ نفورا) تباعدا عن الحق (استكبارا في الأرض) بدل من نفورا أو مفعول له (ومكر السيء) أصله
وإن مكروا السيء أي المكر السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء وقرىء بسكون الهمزة في الوصل
ولعله اختلاس ظن سكوتا أو وقفة خفيفة وقرىء مكر أسبنا (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون)
أي ما ينظرون (إلا سنة الأولى) أي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا) بأن يضع
موضع العذاب غير العذاب (ولن تجد لسنة الله تحويلا) بأن ينقله من المكذبين إلى غيرهم والفاء لتعليل
ما يفيد الحكم بانتظارهم العذاب من بجيئه ونفى وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفى وجودهما
٤٤ بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفى مستقل لتأكيد انتفاهما (أو لم يسيروا في الأرض فينظروا
كان عاقبة الذين من قبلهم) استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

٣٥ فاطر

في مسيرهم إلى الشام واليمن والعراق من آثار دمار الأمم الماضية العاتية والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام أى أقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم (وكانوا أشد منهم قوة) وأطول أعماراً فما تفعمهم طول المدى وما أغنى عنهم شدة القوى * ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى (وما كان الله ليعجزه من شيء) أى ليسبقه ويفوته (في السوات ولا في الأرض) اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الأمم السالفة وقوله تعالى (إنه كان عليهما قديراً) أى مبالغاً في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع أعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها لتعليل لذلك (ولو يؤاخذ الله الناس جميعاً) بما كسبوا) من السيئات كما فعل بأولئك (ما ترك على ظهرها) أى على ظهر الأرض (من دابة) من نسمة تدب عليها من بنى آدم وقيل ومن غيرهم أيضاً من شؤم معاصيهم وهو المروى عن ابن مسعود وأنس رضى الله عنهما ويعضد الأول قوله تعالى (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) وهو يوم القيامة (فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً) فيجازيهم عند ذلك بأعمالهم إن * خيراً نظير وإن شراً فشر. عن النبي ﷺ من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية أبواب الجنة أن ادخل من أى باب شئت والله تعالى أعلم.

٣٦ — سورة يس
(مكية وآياتها ثلاث وثمانون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يس ٣٦

يس ﴿١﴾

يس ٣٦

وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾

يس ٣٦

إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾

(سورة يس مكية . وعنه ﷺ تدعى المعمة نعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضى له كل حاجة وآياتها ثلاث وثمانون)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (يس) إما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الإعراب أو اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الأكثر فحله الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو النصب على أنه مفعول لفعل مضمّر وعليهما مدار قراءة يس بالرفع والنصب أي هذه يس أو أقرأ يس ولا مساغ للنصب بإضمار فعل القسم لأن ما بعده مقسم به وقد أبوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الأول ولا مجال للعطف لاختلافهما إعراباً وقيل هو مجرور بإضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة من أن ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون أو كانت موازنة لمفرد نحو طس ويس وحم الموازنة لتقابل وهابيل يتأتى فيها الإعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب أسماء السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كما في حيث وأين حسبا يشهد بذلك قراءة يس بالكسر كبير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد في الحرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه يا إنسان في لغة طي قالوا المراد به رسول الله ﷺ ولعل أصله يا أنيسه فاقصر على شطره كما قيل من الله في أيمن الله (والقرآن) بالجر على أنه مقسم به ابتداء وقد جوز أن يكون عطفاً على ٢ يس على تقدير كونه مجروراً بإضمار باء القسم (الحكيم) أي المضمّن للحكمة أو الناطق بها بطريق الاستعارة أو المنتصف بها على الإسناد المجازي وقد جوز أن يكون الأصل الحكيم قائمه لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فبانقلابه مرفوعاً بعد الجر استكن في الصفة المشبهة كما مر في صدر سورة لقمان (إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) جواب للقسم والجملة لرد إنكار الكفرة بقولهم في حقه ﷺ لست مرسلًا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما أشير إليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالإقسام به أولاً وبوصفه بالحكيم ثانياً تنويه بشأنه وتنبيهه على أنه كما يشهد برسالته ﷺ من حيث نظمه المعجز المنظور على بدائع الحكم يشهد بهما من هذه الحثية أيضاً لما أن الإقسام بالشئ

٣٦ يس

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ①

٣٦ يس

تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ②

٣٦ يس

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ③

٣٦ يس

لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ④

استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهداً به ودليلاً عليه قطعاً وقوله تعالى (على صراط مستقيم) خبر آخر لأن أو حال من المستكن في الجار والمجرور على أنه عبارة عن الشريعة الشريفة بكاملها لأن التوحيد فقط وقائده بيان أن شريعته ﷺ أقوم الشرائع وأعدلها كما يعرب عنه التنكير التفضيلى والوصف لإثر بيان أنه ﷺ من جملة المرسلين بالشرائع (تنزيل العزيز الرحيم) نصب على المدح وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على أنه بدل من القرآن وأياً ما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بياناً لكمال عراقتة في كونه منزلاً من عند الله عز وجل كأنه نفس التنزيل وإظهاراً لفخامته الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرافة العامة حث على الإيمان به ترهيباً وترغيباً وإشعاراً بأن تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وقيل النصب على أنه مصدر مؤكد لفعله المضممر أى نزل تنزيل العزيز الرحيم على أنه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شأن القرآن وعلى كل تقدير ففيه فضل تأكيد لمضمون الجملة القسمية (لتنذر) متعلق بتنزيل على الوجوه ٦ الأول وبعاملة المضممر على الوجه الأخير أى لتنذر به كما في صدر الأعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين أى إنك مرسل لتنذر (قوماً ما أنذر آباؤهم) أى لم ينذر آباؤهم الأقربون لتطاول مدة الفترة على أن مانافية فتسكون صفة مبينة لغاية احتياجهم إلى الإنذار أو الذى أنذره أو شيئاً أنذره آباؤهم ألا بعدون على أنها موصولة أو موصوفة فيكون مفعولاً ثانياً لتنذر أو إنذار آباؤهم الأقدمين على أنها مصدرية فيكون نعتاً لمصدر مؤكد أى لتنذر إنذار كائناتاً مثل إنذارهم (فهم غافلون) على الوجه الأول متعلق بنفى الإنذار مترتب عليه والضمير للفريقين أى لم تنذر آباؤهم فهم جميعاً لأجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله تعالى لتنذر أو بما يفيد أنه لمن المرسلين وأرد لتعليل إنذاره ﷺ أو إرساله بغفلتهم المحوجة إليهما على أن الضمير للقوم خاصة فالمرضى فهم غافلون عنه أى عما أنذر آباؤهم الأقدمون لا امتداد المدة واللام في قوله تعالى (لقد حق القول على أكثرهم) جواب القسم أى والله لقد ثبت وتحقق عليهم ٧ البتة لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب إصرارهم الاختيارى على الكفر والإنكار وعدم تأثرهم من التذكير والإنذار وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من القول قوله

٣٦ يس

إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾

٣٦ يس

وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾

٣٦ يس

وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

٣٦ يس

إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾

- ٨ تعالى لإبليس عند قوله لا غوينهم أجمعين لا ملان جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لا ملان جهنم من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فإنه كما ترى قد أوقع فيه الحكم بإدخال جهنم على من تبع إبليس وذلك لتعليل له بتبعيته قطعاً وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم بأكثرهم إنما هو لكونهم من جملة أولئك المصيرين على تبعية إبليس أبداً وإذا قد تبين أن مناط ثبوت القول وتحقيقه عليهم لإصرارهم على الكفر إلى الموت ظهر أن قوله تعالى (فهم لا يؤمنون) متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً) تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم إرجعائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت أعناقهم (فهي إلى الأذقان) أي قالا غلالاً منتبهة إلى أذقانهم فلا تدعهم يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه ولا يطأطئون رءوسهم له (فهم مقمحون) رافعون رءوسهم غاضون أبصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق أو ينظرون إلى جهته (وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) إما تنمة للتمثيل وتكميل له أي تكميل أي وجعلنا مع ما ذكر من أمامهم سداً عظيماً ومن وراءهم سداً كذلك فغطينا بها أبصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدر على إِبصار شيء ما أصلاً وإما تمثيل مستقل فإن ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا أبصارهم بحيث لا يبصرون شيئاً قطعاً كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مظلورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الأدلة والآيات وقرى سداً بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فالضم وقرى فأغشيناهم من العشا وقيل الأيتان في بني غزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى رسول الله ﷺ يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو ﷺ يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده اتثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكهه عنها بجهد فرجع إلى قومه فأخبرهم بذلك فقال غزوى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله تعالى بصره (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) بيان لشأنهم بطريق التصريح لإثريانه بطريق التمثيل أي مستو عندهم إنذارك إياهم وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى (لا يؤمنون) استئناف مؤكداً لما قبله مبين لما فيه من إجمال ما فيه الاستواء أو حال مؤكدة له أو بدل منه ولما بين كون الإنذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقليل (إنما تنذر) أي إنذاراً مستتبعا للأثر (من اتبع الذكر) أي القرآن بالتأمل فيه أو الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان (وخشى الرحمن بالغيث) أي

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ ٣٦ يس

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ ٣٦ يس

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ ٣٦ يس

- خاف عقابه وهو غائب عنه على أنه حال من الفاعل أو المفعول أو خافه في سريره ولم يغتر برحمته فإنه منتقم قهار كما أنه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم (فبشره بمغفرة) عظيمة (وأجر كريم) لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة أو الأمر بها على ما قبلها من اتباع الذكروا الحشبة (إننا نحن نحي الموتى) بيان لشأن عظيم بنطوى على الإنذار والتبشير انطواء إجمالاً أي نبههم بعد عمانهم وعن الحسن لإحيائهم لإخراجهم من الشرك إلى الإيمان فهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق المبشر به (ونكتب ما قدموا) أي ما أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها (وآثارهم) التي أبقوها من الحسنات كعلم علومه أو كتاب ألفوه أو حبس وقفوه أو بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادئ الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي أحدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي آثار المشائين إلى المساجد ولعل المراد أنها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم (وكل شيء) من الأشياء كائناً ما كان (أحصيناه في إمام مبين) أصل عظيم الشأن مظهر لجميع الأشياء بما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع (وأضرب لهم مثلاً أصحاب القرية) ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط وأخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد إلى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الأمثال على أحد الوجهين أي بينا لكم أحوالاً بديعة هي في الغرابة كالأمثال فالمعنى على الأول اجعل أصحاب القرية مثلاً لهؤلاء في الغلو في الكفر والإصرار على تكذيب الرسل أي طبق حالهم بحالهم على أن مثلاً مفعول ثان لا ضرب وأصحاب القرية مفعوله الأول آخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكروا بين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله تعالى أصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف أو بيان له والقرية أنطاكية (إذ جاءها المرسلون) بدل اشتغال من أصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها ونسبة إرسالهم إليه تعالى في قوله (إذ أرسلنا إليهم اثنين) بناء على أنه كان بأمره تعالى لتكثير التشليل وتنميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما (فكذبوهما) أي فأتياهم فدعواهم إلى الحق فكذبوهما في الرسالة (فعززنا) أي قويتنا يقال عزز المطر الأرض إذا لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه إذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولأن المقصد ذكر الممرز به (بثالث) هو شمعون (فقالوا) أي جميعاً (إننا إليكم مرسلون) مؤكدين كلامهم سبق الإنكار لما أن تكذيبيهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك أنهم كانوا عبدة أصنام فأرسل إليهم
- ٢١٥ - أبي السعود ٧٥

قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾

٣٦ يس

٣٦ يس

قَالُوا رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾

٣٦ يس

وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾

عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيات له وهو حبيب النجار صاحب يسر، فسألها فأخبراه قال أمعك آية فقالا نشق المريض ونرى الأكمة والأبرص وكان له ولد مريض منذ سنين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي على أيديهما خلق وباع حديثهما إلى الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قال نعم من أوجدك وآلهتك فقال حتى أنظر في أمركما فتبعهما الاسبس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون فدخل متكررا وهاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به فقال له يوما بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولونه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكم قال الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه وأوجزا قالوا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قال ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر فأخذنا بندقيتين فوضعهما في صدقيه فصار تامقلتين ينظرهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع وهم يحسبون أنه منهم ثم قال إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال إني أدخلت في سبعة أودية من النار وإني أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا وقال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد والجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه عن يؤمن أحد سوى حبيب ولو أن الملك وقوه من حوائشه آمنوا لكان الظاهر أن يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك أو قتلوا كدأب النجار الشهيد وكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم إلا أن يكون إله الملك بطريق الخفية على خوف من عذابه ملته فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الأعذار (قالوا) أي أهل أنطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة (ما أنتم إلا بشر مثلدنا) من غير مزية لكم علينا ووجه لا اختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لا انتقاض النفي المقتضي لإعمال ما يالا (وما أنزل الرحمن من شيء) مما تدعونه من الوحي والرسالة (إن أنتم إلا تكذبون) في دعوى رسالته (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله تعالى وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الإنكار (وما علينا) أي من جهة ربنا (إلا البلاغ المبين) أي إلا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا

١٥

١٦

١٧

٣٦ يس

قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾

٣٦ يس

قَالُوا تَطَيَّرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

٣٦ يس

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْتَقِمُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾

٣٦ يس

أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾

٣٦ يس

وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾

- بِالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا مؤاخذه لنا بعد ذلك من جهة ربنا أو ما علينا شيء نطالب به من جهتمكم إلا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلناه فأى شيء تطلبون مناحي تصدقونا بذلك (قالوا) لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل (إنا تطيرنا بكم) تشاء منا بكم جرياً على دين الجملة ١٨ حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وإن كان مستجباً لكل شر ووبال ويتشاهمون بما لا يوافقها وإن كان مستتباً لسعادة الدارين أو بناء على أن الدعوة لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من إصابة ضر متعلق بأنفسهم وأهلهم وأموالهم إن لم يؤمنوا فكانوا ينفرون عنه وقد روى أنه حبس عنهم القطر فقالوه (لئن لم تنتهوا) أى عن مقاتلتكم هذه (لنرجنكم) بالحجارة (وليمسنكم منا عذاب أليم) لا يقادر قدره (قالوا طائركم) أى سبب شؤمكم (معكم) لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح أعمالكم وقرى طيركم ١٩ (أئن ذكركم) أى وعظمت بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه أى تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرىء بألف بين الهمزتين وبفتح أن بمعنى أ تطيرتم لأن ذكركم وأن ذكركم وأن ذكركم بغير استفهام وأين ذكركم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو أبلغ (بل أنتم قوم مسرفون) إضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سبباً للشؤم أو مصححاً للتوعد أى ليس الأمر كذلك بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان فلذلك أناكم الشؤم أو في الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءتم بمن يجب إكرامه والتبرك به (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) هو حبيب النجار وكان ٢٠ ينحت أصنامهم وهو من آمن برسول الله ﷺ وبينهما ستائة سنة كما آمن به تبع الأكر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره ﷺ أحد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم الصلاة والسلام أظهر دينه (قال) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه • ساعياً كأنه قيل فإذا قال عند مجيئه فقيل قال (يا قوم اتبعوا المرسلين) تعرض لعنوان رسالتهم حثاً لهم على اتباعهم كأن خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم واستماتها نحو قبول نصيحته وقوله تعالى (اتبعوا من ٢١ لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) تكرر لنا كيد وللتوسل به إلى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التزه عن الغرض الدنيوى والاهتداء إلى خير الدنيا والدين (ومالى لا أعبد الذى فطرني) تلطف في الإرشاد ٢٢

ءَاتَخَذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً إِنْ يَرِدْ مِنْ الرَّحْمَنِ بُضْرٌ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ٣٦ يس

إِنِّي إِذَا لَنِي ضَلَلْتُ مُبِينٌ ﴿٢٤﴾ ٣٦ يس

إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ ٣٦ يس

قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ٣٦ يس

بِمَا غَفَرْتُ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَكْرُمِينَ ﴿٢٧﴾ ٣٦ يس

يأرياده في معرض للناسحة لنفسه وإحاض النصح حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريرهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره كما ينبي عنه قوله (وإليه ترجعون) مبالغة في التهديد ثم عاد إلى المساق الأول فقال (أأخذ من دونه آلهة) إنكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الإطلاق وقوله (إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً) أي لا تنفعني شيئاً من النفع (ولا ينقذون) من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب إليه بعضهم ربما يوم أن هناك آلهة ليست كذلك وقرئ إن يردن بفتح الياء على معنى إن يوردني ضراً أي يجعلني مورداً للضر (إني إذا) أي إذا اتخذت من دونه آلهة (لني ضلال مبين) فإن إشاراك ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر بالخالق المقدر الذي لا قادر غيره ولا خير إلا خيره ضلال بين لا يخفى على أحد من له تمييز في الجملة (إني آمنت بربكم) خطاب منه الرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكرهموا برجمه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتلوه فقال ذلك وإنما أكد لإظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط وأضاف الرب إلى ضميرهم روماً لزيادة التقرير وإظهار الاختصاص والافتداء بهم كأنه قال بربكم الذي أرسلكم أو الذي تدعوننا إلى الإيمان به (فاسمعون) أي اسمعوا إيماني واشهدوا لي به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافهم بذلك لإظهار التصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل وإضافة الرب إلى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبية على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الأصنام أرباباً وقيل للناس جميعاً (قيل ادخل الجنة) قيل له ذلك لما قتلوه إكراماً له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى إلى الجنة قاله الحسن وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حتى يرزق وقيل معناه البشري بدخول الجنة وأنه من أهلها وإنما لم يقل له لأن الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللبالغة في المسارعة إلى بيانه والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حاله ومقاله كأنه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في دينه والتسخي بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى (قال ياليت قومي يعلمون) (بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) فإنه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كأنه قيل فإذا قال عند نبذه تلك الكرامة السنية فقيل قال الخ وإنما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك عن اكتساب مثله

وَمَا أُنزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ ٣٦ يس

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ ٣٦ يس

يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ ٣٦ يس

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ٣٦ يس

بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والطاعة جرياً على سنن الأولياء في كظم الغيظ والترحم على الأعداء أو ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره وأنه كان على الحق وأن عداوتهم لم تكسبه إلا سعادة وقرىء من المكرمين وما موصولة أو مصدرية والباء صلة يعلمون أو استفهامية وردت على الأصل والباء متعلقة بغفر أي بأي شيء غفر لي رب يريده تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على أذيتهم (وما أنزلنا على قومه من بعده) من بعد قتله أو رفعه (من جند من السماء) لإهلاكهم والانتقام منهم ٢٨ كما فعلناه يوم بدر والخذلق بل كفيينا أمرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم وإهلاكهم وإيمانهم إلى تفخيم شأن الرسول ﷺ (وما كنا منزلين) وما صح في حكمتنا أن نزل لإهلاك قومه جنداً من السماء لما أنقذنا لكل شيء سبباً حيث أهلكنا بعض من أهلكنا من الأمم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالإغرق وجعلنا أنزال الجند من خصائصك في الانتصار من قومك وقيل ماموصولة معطوفة على جند أي وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة قوريج وأمطار شديدة وغيرها (إن كانت) أي ما كانت ٢٩ الأخذة أو العقوبة (إلا صيحة واحدة) صاحبها جبريل عليه السلام وقرىء إلا صيحة بالرفع على أن كان تامة وقرىء إلا زقية واحدة من زقا الطائر إذا صاح (فإذا هم خامدون) ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزاً إلى أن الحى كالنار الساطعة في الحركة والانتهاز والميت كالرماد كما قال لبيد [وما المرء إلا كالشهاب وضوئه • يحور رماداً بعد إذ هو ساطع] (يا حسرة على العباد) تعالى فمذه من الأحوال التي حقها ٣٠ أن تحضري فيها وهي ما دل عليه قوله تعالى (ما يأتيتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) فإن المستهزئين بالناصحين الذين ينطت بنصائحهم سعادة الدارين أحقاء بأن يتحسروا ويتحسروا عليهم المتحسرون أو قد تلهم على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد جوز أن يكون تحسراً عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على أنفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لأن المعنى يا حسرتي ونصبتها أطولها بما تعلق بهما من الجار وقيل بإضمار فعلها والمنادى محذوف وقرىء يا حسرة العباد بالإضافة إلى الفاعل أو المفعول ويا حسرة على العباد بإجرام الوصل مجرى الوقف (ألم يروا) أي ألم يعلموا وهو معلق عن العمل ٣١ في قوله تعالى (كم أهلكنا قبلهم من القرون) لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها وإن كانت خبرية لأن أصلها الاستفهام خلا أن معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك ألم تر أن زيدا لمنطلق وإن لم يعمل في لفظه (أنهم

- وإن كل لما جميع لدينا محضرون ﴿٣٢﴾
 ٣٦ يس
 وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها جبالاً فنه يا كلون ﴿٣٣﴾
 ٣٦ يس
 وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ﴿٣٤﴾
 ٣٦ يس
 لياكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴿٣٥﴾

إليه لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا على المعنى أى ألم يروا كثرة إهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفاً ومن غيرهم كونهم غير راجعين إليه وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ ألم يروا من أهلكنا والبدل حينئذ بدل اشتمال (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) بيان لرجوع الكل إلى المحشر بعد بيان عدم الرجوع إلى الدنيا وإن نافية وتنوين كل عوض عن المضاف إليه ولما بمعنى إلا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له أو لما بعده والمعنى ما كلهم إلا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون فكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على أن مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى أن كلهم مجموعون الخ (وآية لهم الأرض الميتة) بالتخفيف وقرئ بالتشديد وقوله تعالى آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم إمامتعلقة بها لأنها بمعنى العلامة أو بمضمرة هو صفة لها والأرض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى (أحييناها) استئناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والأرض الميتة مبتدأ موصوف وأحييناها خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الأرض مبتدأ وأحييناها خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لها هو الأرض وأحييناها صفتها لأن المراد بها الجنس لا المينة والأول هو الأولى لأن مصب الفائدة هو كون الأرض آية لهم لا كون الآية هى الأرض (وأخرجنا منها جبالاً) جنس الحب (فنه يا كلون) تقديم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب) أى من أنواع النخل والعنب ولذلك جمعاً دون الحب فإن الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الأنواع وذكر النخيل دون التمر لطابق الحب والأعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع (ولفجرنا فيها) وقرئ بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظاً ومعنى (من العيون) أى بعضاً من العيون لحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أو العيون ومن مزيدة على رأى الاختفش (لياكلوا من ثمره) متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لأنه من مبادئ الإثمار أى وجعلنا فيها جنات من نخيل وربنا مبادئ إثمارها لياكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل بإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات إلى الغيبة والإضافة لأن الثمر يخلق الله تعالى وقرئ بضميتين وهى لغة فيه أو جمع ثمار وبضمة وسكون (وما عملته أيديهم) عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل مانافية والمعنى أن الثمر يخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة نصب على الحالية ويؤكد الأول قراءة

سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ يس

وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمُ الْيَلُّ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ يس

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ يس

- حملت بلاهاه فإن حذف العائد من الصلة أحسن من الحذف من غيرها (أفلا يشكرون) إنكار واستقباح * لعدم شكرهم للنعم الممدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى يرون هذه النعم أو أينعمون بها فلا يشكرونها (سبحان الذى خلق الأزواج كلها) استئناف مسوق لتزييه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على آياته المذكورة واستعظام ما ذكر في حيز صلة من بدائع آثار قدرته وأسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من إخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذى هو التباعد عن السوء اعتقاداً وقولاً أى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الأرض والماء إذا أبعد فيهما وأمن ومنه فرس سبوح أى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أى أصبح سبحانه أى أنزهه عما لا يليق به عقداً وعملاً تزيهاً خاصاً به حقيقة بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتغاف من السبح ومن جهة النقل إلى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس إلى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة إقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كخفران أريد به التنزه التام والتباعد الكلى عن السوء ففيه مبالغة من جهة إسناد التنزه إلى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل مالا يليق به تنزهاً خاصاً به فالجمله على هذا إخبار من الله تعالى بتنزهه وبرأته عن كل مالا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الأول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للتوأمين أن يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالأزواج الأنصاف والأنواع (مما تنبت الأرض) بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الأشياء المذكورة * وغيرها (ومن أنفسهم) أى خلق الأزواج من أنفسهم أى الذكر والأنثى (ومما لا يعلمون) أى والأزواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الإحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شيء من مصالحهم الدينية والدنيوية وإنما أطلعهم على ذلك بطريق الإجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه (وآية لهم الليل) جملة من خبر مقدم ٣٧ ومبتدأ مؤخر كاسم وقوله تعالى (نسلخ منه النهار) جملة مبدئية لكيفية كونه آية أى نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من السلخ وهو إزالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والأغلب في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت الإهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة (فإذا هم مظلمون) أى داخلون في الظلام مفاجأة وفيه رمز إلى أن الأصل هو الظلام والنور عارض (والشمس تجري لمستقر لها) لحد ٣٨ معين ينتهى إليه دورها فشبه بمستقر المسافر إذا قطع مسيره أو لكبد السماء فإن حركتها فيه توجد أبطأ

٣٦ يس

وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٦﴾

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٦﴾ يس

٣٦ يس

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٣٦﴾

بحيث يظن أن لها هناك وقفة قال [والشمس حيرى لها بالجو تدويم] أو لا استقرار لها على نهج مخصوص أو لم تنتهى مقدار لكل يوم من المشرق والمغرب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقاً ومغرباً تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود إليهما إلى العام القابل أو المنقطع جريهما عند خراب العالم وقرى إلى مستقر لها وقرى لا مستقر لها أى لا يكون لها فافانها متحركة دائماً وقرى لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس (ذلك) إشارة إلى جريهما وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإبذان بعلو رتبته وبعد منزلته أى ذلك الجرى البديع المنطوى على الحكم الرائعة التى تحار فى فهمها العقول والأفهام (تقدير العزيز) الغالب ٣٩ بقدرته على كل مقدور (العليم) المحيط عليه بكل معلوم (والقمر قدرناه) بالنصب بإضمار فعل يفسره الظاهر وقرى بالرفع على الابتداء أى قدرناه (منازل) وقيل قدرناه مسيره منازل وقيل قدرناه ذامنازل وهى ثمانية وعشرون الشرطين البطان الثريا الدبران الحقعة المنعة الذراع النثرة الطرف الجهة الزبرة الصرقة العوا السباك الغفر الزباني الإكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعد سعد الأخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فإذا كان فى آخر منازلها وهو الذى يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس (حتى عاد كالرجون) كالشمر أخ الموج فعلون من الانعراج وهو الأعوج جاج وقرى كالرجون وهما الغتان كالزبون والبريون ٤٠ (القديم) العتيق وقيل هو مامر عليه حول فصاعداً (لا الشمس ينبغى لها) أى يصح ويتسهل (أن تدرك القمر) فى سرعة السير فإن ذلك يحل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو فى الآثار والمنافع أو فى المكان بأن تنزل فى منزله أو فى سلطانه فتطمس نوره وإيلاء حرف النفي الشمس للدلالة على أنها مستخرات لا يتيسر لها إلا ما قدر لها (ولا الليل سابق النهار) أى يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكساً للأول وإيراد السابق مكان الإدراك لأنه الملائم لسرعة سيره (وكل) أى وكلهم على أن التنوين عوض عن المضاف إليه الذى هو الضمير العائد إلى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعتهما فإن اختلاف الأحوال يوجب تعدداً مافى الذات أو إلى الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها (فى فلك يسبحون) ٤١ يسرون بانسباط وسهولة (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أولادهم الذين يبعثونهم إلى تجارتهم أو صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فإن الذرية تطلق عليهم لاسيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما أن استقرارهم فى السفن أشق واستمسكهم فيها أبعد (فى الفلك المشحون) أى المملوء وقيل هو فلك نوح

يس ٣٦

وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾

يس ٣٦

وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾

يس ٣٦

إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

يس ٣٦

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾

- عليه السلام وحمل ذرياتهم فيها حمل آباؤهم الأقدمين وفي أصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص أعقابهم بالذكور دونهم لأنه أبلغ في الامتتان وأدخل في التعجيب الذي عليه يدور كونه آية (وخلقنا لهم من مثله) ٤٢
 بما يماثل الفلك (ما يركبون) من الإبل فإنها سفائن البر أو بما يماثل ذلك الفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات العباد ليس لمجرد كون صنعهم بإقدار الله تعالى وإلهامه بل لمزيد اختصاص أصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبا يعرب عنه قوله عز وجل واصنع الفلك بأعيننا ووحينا والتعبير عن ملاستهم بهذه السفن بالركوب لأنها باختيارهم كما أن التعبير عن ملاسة ذريتهم بفلك نوح عليه السلام بالخل لكونها بغير شعور منهم واختيار (وإن نشأ نغرقهم) الخ من تمام الآية ٤٣
 فإنهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرى نغرقهم بالتشديد وفي تعليق الإغراق بمحض المشيئة إشعار بأنه قد تكامل ما يوجب إهلاكهم من معاصيهم ولم يبق إلا تعلق مشيئته تعالى به أي إن نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك لحديث خلق الإبل حينئذ كلام جرى به في خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التماثل بين الإبل والفلك فكانها نوع منه أو مع ما يركبون من السفن والزوارق (فلا صريح لهم) أي فلا مغيب لهم يحرمهم من الفرق *
 ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم أتاها الصريح (ولا هم ينقذون) أي ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى (إلا رحمة منا ومتاعا) استثناء مفرغ من أعم العلل الشاملة للباعث المتقدم ٤٤
 والغاية المتأخرة أي لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الأشياء إلا الرحمة عظيمة من قبلنا داعية إلى الإغاثة والانتقاذ وتمتيع بالحياة مترتب عليهما ويجوز أن يراد بالرحمة ما يقارن التمتع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للإغاثة والانتقاذ أي لنوع من الرحمة وتمتيع (إلى حين) أي إلى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل [ولم أسلم لكى أتقى ولكن * سلمت من الحمام إلى الحمام] (وإذا قيل لهم اتقوا) بيان لإعراضهم عن ٤٥
 الآيات التنزيلية بعد بيان إعراضهم عن الآيات اللفافية التي كانوا يشاهدونها وعدم تأملهم فيها أي إذا قيل لهم بطريق الإنذار بما نزل من الآيات أو بغيره اتقوا (ما بين أيديكم وما خلفكم) من الآفات والنوازل فإنها محيطة بكم أو ما يصيبكم من المكارم من حيث تحسبون ومن حيث لا تحسبون أو من الوقائع البازلة على الأمم الحالية قبلكم والعذاب المعد لكم في الآخرة أو من نوازل السماء ونوائب ٢٢ - أبي السعود ٧٣

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ ٣٦ يَسْ

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ ٣٦ يَسْ

• الأرض أو من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة أو ما تقدم من الذنوب وما تأخر (لعلكم ترحمون) إما حال من واو اتقوا أو غاية له أي راجين أن ترحموا أو كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرقت أن مناط النجاة ليس إلا رحمة الله تعالى وجواب إذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى (وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) انفهاما يينا أما إذا كان الإنذار بالآية الكريمة فبعبارة النص وأما إذا كان بغيرها فبدلالة أنهم حين أعرضوا عن آيات ربهم فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الأولوية كأنه قيل وإذا قيل لهم اتقوا العذاب أعرضوا حسب اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجديدي ومن الأولى مزيدة لتأكيد العموم والثاني تبعية واقعة مع مجرورها صفة لآية وإضافة الآيات إلى اسم الرب المضاف إلى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع انهويل ما اجتروا عليه في حقها والمراد بها إما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما يزل إليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسواها من آياته الموجبة للإقبال عليها والإيمان بها إلا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء وإما ما يعبرها من الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعجيب المصنوعات التي من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد بإتيانها ما يعبر نزول الوحي وظهور تلك الأمور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التي من جملتها ما ذكر من شئونه الشاهدة بوحدايته تعالى وتفرده بالآلوهية إلا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدى إلى الإيمان به تعالى وإيثاره على أن يقال إلا أعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر الدلالة على استمرارهم على الإعراض حسب استمرار إتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز النصب على أنها حال من مفعول تاتي أو من فاعله المتخصص بالوصف لاشتغالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال أي ما تأتيتهم من آية من آيات ربهم في حال من أحوالهم إلا حال إعراضهم عنها أو ما تأتيتهم آية منها في حال من أحوالها إلا حال إعراضهم عنها (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) أي أعطاكم بطريق التفضل ٤٧ والإنعام من أنواع الأموال عبر عنها بذلك تحقيقاً للحق وترغيباً في الإنفاق على منهاج قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك وتنبهاً على عظم جنايتهم في ترك الامتنال بالأمر وكذلك من التبعية أي إذا قيل لهم بطريق النصيحة أنفقوا بعض ما أعطاكم الله تعالى من فضله على المحتاجين فإن ذلك مما يرد • البلاء ويدفع المسكاره (قال الذين كفروا) بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة (الذين آمنوا) ثم كما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الأمور بمشيئة الله تعالى (أنطعم) حسبما تعظوننا به (من لو يشاء الله

- وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ ٣٦ يس
- مَآ يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ٣٦ يس
- فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ٣٦ يس
- وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ ٣٦ يس
- قَالُوا يَا بُولُتْنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ٣٦ يس

أطعمه) أى على زعمكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان بمكة زنادقة إذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا والله أيفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من أموالهم التى زعموا أنهم جعلوها لله تعالى من الحرث والأنعام يوهمون أنه تعالى لم يأمر بشأ إطعامهم وهو قادر عليه فنحن أحق بذلك وما هو إلا لفرط جهالتهم فإن الله تعالى يطعم عباده بأسباب من جملتها حث الأغنياء على إطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك (إن أنتم إلا فى ضلال مبين) حيث تأمرونا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقد جوز أن يكون جواباً لهم من جهته تعالى أو حكاية للجواب المؤمنين لهم .

(ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) أى فيما تعدونا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله ﷺ والمؤمنين لما أنهم أيضاً كانوا يتلون عليهم آيات الوعيد بقيامها ومعنى القرب فى هذا إما بطريق الاستمراء وإما باعتبار قرب العهد بالوعد (ما ينظرون) جواب من جهته تعالى أى ما ينتظرون (إلا صيحة واحدة) هى النفخة الأولى (تأخذهم) مفاجأة (وهم يخصمون) أى يتخاصمون فى متاجرم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها كقوله تعالى فأخذتهم الصاعقة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علامتها ولا يزعموا أنها لا تأتئهم وأصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وأدغمت فى الصاد ثم كسرت الحاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء الإنباع وفتح الحاء على إلقاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالإسكان على تجويز الجمع بين الساكنين إذا كان الثانى مدغماً وإن لم يكن الأول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه إذا جادله (فلا يستطيعون توصية) فى شيء من أمورهم إن كانوا فيما بين أهلهم (ولا إلى أهلهم يرجعون) إن كانوا فى خارج أبوابهم بل تبغثهم الصيحة فيموتون حيثما كانوا (ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية بينها وبين الأولى أربعون سنة أى ينفخ فيه وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع (فإذا هم من الأجداث) أى القبور جمع جدث وقرئ بالفاء (إلى ربهم) مالك أمرهم على الإطلاق (ينسلون) يسرعون بطريق الإجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين (قالوا) أى فى ابتداء بعثهم من القبور (يا بولتنا) احضر فهذا أوانك وقرئ يا بولتنا (من بعثنا من مرقدنا) وقرئ من أهينا من هب من نومه إذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى أهينا وقيل أصله

٣٦ يس

إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَبِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٦﴾

٣٦ يس

فَالْيَوْمَ لَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾

٣٦ يس

إِنْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٣٦﴾

هب بنا لحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز وإشعار بأنهم لا اختلاط عقولهم يظنون أنهم كانوا نياما وعن مجاهد أنه للكفار هجمة يحدون فيها طعم النوم فإذا صبح بأهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وأبي بن كعب وقتادة رحمهم الله تعالى أن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فإذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من أهوال القيامة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل إذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد إما مصدر أى من رقادنا أو اسم مكان أريد به الجنس فينتظم مراد الكل (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) جملة من مبتدأ وخبر وما هو صولة محذوفة للعائد أو مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة أو المؤمنين عدل به عن سنن سؤا لهم تذكيراً لكفرهم وتقريباً لهم عليه وتنبهاً على أن الذى يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ماذا هو دون البعث كأنهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم ذلك فى كتبه وأرسل إليكم الرسل فصدقكم فيه وليس الأمر كما تنوهمونه حتى تسألوا عن البعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضاً وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد الخ خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف أى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق (إن كانت) أى ما كانت النفخة التى حكيت آنفاً (إلا صبيحة واحدة) حصلت من نفخ إسرافيل عليه السلام فى الصور (فإذا هم جميع) أى مجموع (لدينا محضرون) من غير لبث ماطرفة عين وفيه من تهوين أمر البعث والحشر والإبذان باستغنائهما عن الأسباب مالا يخفى (فاليوم لا تظلم نفس) من النفوس برة كانت أو فاجرة (شيثاً) من الظلم (ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) أى إلا جزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كأنهما شئ واحد أو إلا بما كنتم تعملونه أى بمقابلته أو بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده أنه تعالى يوفيه أجورهم ويزيدهم من فضله أضعافاً مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقاً للحق وتقريباً لهم وقوله تعالى (إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فكهون) من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فإن الإخبار بحسن حال أعدائهم إثر بيان سوء حالهم بما يزيدهم مساة على مساة وفى هذه الحكاية من جررة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة إلى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذى يصد المرء ويشغله عما سواه من شئونه لكونه أم عنده من الكل إما لإيجابه كمال المسرة

٣٦ يس

هَمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مَتَكِعُونَ ﴿٥٦﴾

٣٦ يس

لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾

والبهجة أو كمال المساءة والغم والمراد ههنا هو الأول وما فيه من التنكير والإبهام للإيذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية وأما أن المراد به اقتصاص الأبطال أو السماع وضرب الأوتار أو الزاور أو ضيافة الله تعالى أو شغلهم عما فيه أهل النار على الإطلاق أو شغلهم عن أهاليهم في النار لا يهمهم أمرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روى كل واحد منها عن واحد من أكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكره فقط بل بيان أنه من جملة أشغالهم وتخصيص كل منهم كلاماً من تلك الأمور بالذکر محمول على اقتضاء مقام البيان لإياه وهو مع جاره خبر لإن وفاكهون خبر آخر لها أي أنهم مستقرون في شغل وأي شغل في شغل عظيم الشأن متنعمون بنعيم مقيم فأترون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للإيذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها وزيادة مساهمة الخاطئين بذلك وقرىء في شغل بسكون الغين وفي شغل بفتحيتين وافتحة وسكون والكل لغات وقرىء فكهون للبائخة وفكهون

- بضم الكاف وهي لغة كنطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى (هم) ٥٦ وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون) استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكليمهم بما يزيدهم بهجة وسروراً من شركة أزواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل وأهو والجاران بما تعلقاً به من الاستقرار أخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الأول والثاني مستأنف على أنه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على أنه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرىء متكئين بلا همز نصباً على الحال من المستكن في الظرفين أو أحدهما وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر إن ومتكئون خبر آخر لها وعلى الأرائك متعلق به وكذا في ظلال أو هذا بمضمهر هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظن كشعاب جمع شعب أو جمع ظلة كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والأرائك جمع أريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب لا تكون أريكة حتى تكون عليها حجلة وقوله تعالى (لهم فيها فاكهة) الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة ٥٧ من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الإنس ومحافل القدس تكميلاً لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة أي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من الفواكه وما في قوله تعالى (ولهم ما يدعون) موصولة أو موصوفة تدبرها عن مدعو عظيم الشأن معين * أو مبهم لإيذاناً بأنه التحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به روماً لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه أو هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر وأياً ما كان فهو مبتدأ ولهم خبره والحجلة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لثلا

٣٦ يش

سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾

٣٦ يش

وَأَمْتَنُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾

يتوم كون ماعبارة عن توابع الفاكه وتبناها والمعنى ولهم ما يدعون به لأنفسهم من مدعو عظيم الشأن أو كل ما يدعون به كائناً ما كان من أسباب البهجة وموجبات السرور وأياً ما كان ففيه دلالة على أنهم في أقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كما أشير إليه مثل اشتوى واجتمع إذا شوى وجعل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتقاء بمعنى الترامى وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع على ما شئت بمعنى تمنه على وقال الزجاج هو من الدعاء أى ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالأحتمال بمعنى الحل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشى وقوله تعالى (سلام) على التقدير الأول بدل من ما يدعون أو خبر لمبتدأ محذوف وقوله تعالى (قولا) مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كأنه قيل ولهم سلام أو ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائناً (من) جهة (رب رحيم) أى يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك أو بدونهما بالغة في تعظيمهم قال ابن عباس رضى الله عنهما والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وأما على التقدير الثانى فقد قيل إنه خبر لما يدعون ولهم إيمان الجملة كما يقال لزيد الشرف متوفر على أن الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والجرور ليان من له ذلك أى ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقولا حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة أى عدة من رب رحيم والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر أى لهم سلام أى تسليم قولا من رب رحيم أو سلامة من الآفات فيكون قولا مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ماصباً لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاماً بالنصب على الحالية أى لهم مرادهم سالماً خالصاً وقرئ سلم وهو بمعنى السلام فى المعنيين (وامتازوا اليوم) عطف إماماً على الجملة السابقة المسوقة لبيان أحوال أهل الجنة لا على أن المقصود عطف فعل الأمر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال أولئك ووصف ثوابهم كما مر فى قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية وكان تغيير السبك لتخييل كال التباين بين الفريقين وحالهما وإماماً على مضمر ينساق إليه حكاية حال أهل الجنة كأنه قيل لإثبات كونهم فى شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقرؤا بذلك عيناً وامتازوا عنهم (أيها المجرمون) إلى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى وأما ما قيل من أن المضمر فليمتازوا فبمعزل من السداد لما أن المحكى عنهم ليس مصيرهم إلى ما ذكر من الحال المرضية حتى يتسنى ترتيب الأمر المذكور عليه بل إنما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يمدى نفعاً لأن مناط الإضمار انسياق الإفهام إليه وانصباب

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنِيءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ ٣٦ يس

وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ٣٦ يس

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ٣٦ يس

- نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحالة منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من السكينة البارعة والحكمة الرائعة حسبا مريانه وأسقط كونها مترتبة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدي لإضمار شيء يتعلق به إخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرّة (ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان) من جملة ما يقال لهم بطريق التقريرع والإلزام والتبسكيت بين الأمر بالامتنياز وبين الأمر بدخول جهنم بقوله تعالى اصولها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة والمراد ههنا ما كلفهم الله تعالى أسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام من الأمر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهور بني آدم وأشهدوا على أنفسهم وقيل هو مانصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره المراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ أعهد بكسر الهمزة وأعهد بكسر الهاء وأحمد الحاء مكان العين وأحد بالإدغام وهي لغة بني تميم (إنه لكم عدو مبين) أي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهى عنه وقيل تعليل للنهي (وأن اعبدوني) عطف على أن لا تعبدوا على أن أن فيهما مفسرة للعمد الذي فيه معنى القول بالنهي والأمر أو مصدرية حذف عنها الجار أي ألم أعهد إليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الأمر لما أن حق التخليّة التقدم على التحلية كافي كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى (هذا صراط مستقيم) فإنه إشارة إلى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والإسلام وهو المشار إليه بقوله تعالى هذا صراط على مستقيم والمقصود بقوله تعالى لأفعلن لهم صراطك المستقيم والتنكير للنفيخ واللام في قوله تعالى (ولقد أضل منكم جبلا كثيرا) جواب قسم ٦٢ محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيّد التقريرع ببيان أن جناباتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الانعاط بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الأمم الحالية بسبب طاعتهم للشيطان فالخطاب لمنأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوصا بزيادة التوبيخ والتقريرع لتضاعف جناباتهم والجليل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وبضمتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في فطرة وخلقة وقرئ جبلا بالياء وهو الصنف من الناس أي وبالله لقد أضل منكم خلقا كثيرا أو صنفا

٣٦ يس

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾

٣٦ يس

أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ٣٦ يس

٣٦ يس

وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾

كثيراً عن ذلك الصراط المستقيم الذي أمرتكم بالثبات عليه فأصابهم لأجل ذلك ما أصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق أخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى (أفلم تكونوا تعقلون) للعطاب على مقدر يقتضيه المقام أي أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون أنها لضلالهم أو فلم تكونوا تعقلون شيئاً أصلاً حتى تردعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى (هذه جهنم التي كنتم توعدون) استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتفريع والإلزام والتبكيك عند إشرافهم على شفير جهنم أي كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم الصلاة والسلام بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً وقوله تعالى قال اخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لآل جهنم منكم أجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) أمر تنكيل وإهانة كقوله تعالى ذق لأنك أنت العزيز الخ أي ادخلوها من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم) أي ختما يمنعها عن الكلام التفات إلى الغيبة للإيدان بأن ذكر أحوالهم القبيحة استدعى أن يعرض عنهم ويحكي أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الإيحاء إلى * أن ذلك من مقتضيات الختم لأن الخطاب لتلقى الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ نختم (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) يروى أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرم فيحلفون ما كانوا مشركين لحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لا أجيز على شاهداً إلا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعداً لكن وسمحةً فعنكن كنت أناضل وقيل تكليم الأركان وشهادتها دلالتها على أفعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ وتكلم أيديهم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ وتكلمنا أيديهم وتشهد بلام الأمر والجزم (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) الطمس تعفية شق العين حتى تعود مسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء أي لو نشاء أن نطمس على أعينهم لفعلناه وإيثار صبغة الاستقبال وإن كان المعنى على المضى لإفادة أن عدم الطمس على أعينهم لاستمرار عدم المشيئة فإن المضارع المنفي الواقع موقع الماعى ليس بنص في إفادة انتفاء استمرار

وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

يس ٣٦

وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

يس ٣٦

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾

يس ٣٦

الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في قوله تعالى ولو يجعل الله للناس الشراستعجالهم بالخير (فاستبقوا الصراط) أى فأرادوا أن يستبقوا إلى الطريق الذى اعتادوا سلوكه على أن انتصابه بنزع الجار أو هو بتضمين الاستباق معنى الابتدار أو بالظرفية (فأنى يصرون) الطريق وجهة السلوك (ولو نشاء لمسنخناهم) بتغيير صورهم وإبطال قوامهم (على مكانتهم) أى مكانهم إلا أن المكانة أخص ٦٧ كالقامة والمقام وقرىء على مكاناتهم أى لمسنخناهم مسخاً بمجدهم مكانهم لا يقدر أن يبرحوه بإقبال ولا إدبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى (فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون) أى ولا رجوعاً فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رضى الله عنهما قرودة وخنازر وقيل حجارة وعن قتادة لا فعدناهم على أرجلهم وأزمنام وقرىء مضياً بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته تعالى على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان أنهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاض بما شاهدوا من آثار دمار أمثالهم أحقاء بأن يفعل بهم فى الدنيا تلك العقوبة كما فعل بهم فى الآخرة عقوبة الختم وأن المانع من ذلك ليس إلا عدم تعلق المشيئة الإلهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جرياً على موجب جنائهم المستدعية لها لفعلناها ولكننا لم نشأها جرياً على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين إلى إمامهم (ومن نعمه) أى نطل عمره (ننكسه فى الخلق) أى ٦٨ نكسبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه أولاً فلا يزال يتزايد ضعفه وتتناقص قوته وتنتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود إلى حالة شبيهة بحال الصبي فى ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والإدراك وقرىء ننكسه من الثلاثى المجرى وننكسه من الإنكاس (أفلا يعقلون) أى يرون ذلك فلا يعقلون أمان قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وأن عدم إيقاعهم العدم تعلق مسكنته تعالى بهم اتعقلون بالتاء لجرى الخطاب قبله (وما علمناه الشعر) رد وإبطال لما كانوا يقولونه فى حقه ﷺ من أنه شاعر وما يقوله شعر ٦٩ أى ما علمناه الشعر بتعليم القرآن على معنى أن القرآن ليس بشعر فإن الشعر كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبنى على خيالات وأوهام واهية فأين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن بمائلة كلام البشر المشحون بقنون الحكم والأحكام الباهرة الموصلة إلى سعادة الدنيا والآخرة ومن أين اشتبه عليهم الشئون واختلط بهم الظنون فأنهم الله أنى يؤفكون (وما ينبغى له) وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه أى جعلناه بحيث لو أراد فرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه آمياً لا يهتدى للخط لتسكون الحجة أثبت والشبهة أدهض وأما قوله ﷺ أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد ٢٣٥ - أبى السعد ٧٥٠

٣٦ يس

لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

٣٦ يس

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ﴿٧١﴾

٣٦ يس

وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾

المطلب وقوله **يُنذِرَ** هل أنت إلا أصبع دمية وفي سبيل الله مالم يقبض من قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد إليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقرآن أي وما ينبغي للقرآن أن يكون شعراً (إن هو) أي ما القرآن (إلا ذكر) أي عظة من الله عز وجل وإرشاد للثقلين كما قال تعالى إن هو إلا ذكر للعالمين (وقرآن مبين) أي كتاب سماوي بين كونه كذلك أو فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحارب ويتلى في

٧٠

المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكما بينه وبين ما قالوا (لينذر) أي القرآن أو الرسول **يُنذِرُ** ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به أي عليه ولينذر مبنياً للمفعول من الإنذار (من كان حياً) أي عاقلاً متأملاً فإن الغافل بمنزلة الميت أو مؤمناً في علم الله تعالى فإن الحياة الأبدية بالإيمان وتخصيص الإنذار به لأنه المنتفع به (ويحق القول) أي تجب كلمة العذاب (على الكافرين) المصيرين على الكفر وفي إيرادهم بمقابلة من كان حياً إشعار بأنهم لخلوم عن آثار الحياة وأحكامها التي هي المعرفة

٧١

أموات في الحقيقة (أو لم يروا) الهمة للإنكار والتعجب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف أي ألم يتفكروا أو ألم يلاحظوا ولم يعلموا علماً يقينياً مناخاً للعناية (أنا خلقنا لهم) أي لأجلهم وانتفاعهم (بما عملت أيدينا) أي بما تولينا إحداثه بالذات وذكر الأبدى وإسناد العمل إليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالإحداث والاعتناء به (أنعاماً) مفعول

خلقنا وتأخيره عن الجارين المتعلقين به مع أن حقه التقديم عليهما لما مر مراراً من الاعتناء بالمقدم والنشوي إلى المؤخر فإن ماحقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترتبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئاً عن كون المؤخر أمراً نافعاً خطيراً كما في النظم الكريم فإن الجار الأول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الأمور الخطيرة يزيدان النفس شوقاً إليه ورغبة فيه ولأن في تأخيره جملاً بينه وبين أحكامه المنفردة عليه بقوله تعالى (فهم لها مالكون)

الآيات الثلاث أي فلكنها إياهم وإيثار الجملة الاسمية على ذلك الدلالة على استقرار مالكيتهما واستمرارها واللام متعلقة بالكون مقوية لعمله أي فهم مالكون لها بتمليكنا إياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يراحمهم في ذلك غيرهم أو قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها بأفئادنا وتمكيننا وتسخيرنا إياها لهم كما في قول من قال [أصبحت لأحمل السلاح ولا

٧٢

أملك رأس البعير إن نفرا] والأول هو الأظهر ليكون قوله تعالى (وذللناها لهم) تأسيساً لنعمة على حيالها لا تنمة لما قبلها أي صيرناها منقاداً لهم بحيث لا تستعصى عليهم في شيء مما يريدون بها حق الذبح

- وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ٣٦ يس
- وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ ٣٦ يس
- لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُّحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ ٣٦ يس
- فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ٣٦ يس

حسبنا ينطق به قوله تعالى (فنها ركوبهم) الخ فإن الفاء فيه لتفريع أحكام التذليل عليه وتفصيلها أى في بعض منها ركوبهم أى مركوبهم أى معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تبات الركوب وقرىء ركوبتهم وهى بمعنى كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرىء ركوبهم أى ذو ركوبهم (ومنها يأكلون) أى وبعض منها يأكلون لحمه (ولهم فيها) أى فى الأنعام بكلا قسميها (منافع) ٧٣ آخر غير الركوب والآكل كالجلود والأصواف والأوبار وغيرها والحراثة بالثيران (ومشارب) من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل مافصل فى سورة النحل (أفلا يشكرون) أى أيشاهدون هذه النعم أو أيتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها (واتخذوا من دون الله) أى متجاوزين الله تعالى الذى شاهدوا ٧٤ تفرد به بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة (آلهة) من الأصنام وأشركوا به تعالى فى العبادة (لعلهم ينصرون) رجاء أن ينصروا من جهة من فيها حزبهم من الأمور أو يشفعوا لهم فى الآخرة وقوله تعالى (لا يستطيعون نصرهم) الخ استئناف سيق لبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس ٧٥ تدبيرهم أى لا تقدر آلهتهم على نصرهم (وهم) أى المشركون (لهم) أى لأهلهم (جند محضرون) يشيعونهم عند مساقمهم إلى النار وقيل معدون فى الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده مساق النظم الكريم فإن الفاء فى قوله تعالى (فلا يحزنك قولهم) لترتيب النهى على ما قبله فلا بد أن يكون عبارة عن ٧٦ خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به أطباعهم الفارغة وانعكاس الأمر عليهم بترتيب الشرع على ما رتبوه لرجاء الخير فإن ذلك مما يهون الخطب ويورث السآلة وأما كونهم معدين لخدمتهم وحفظهم فمعمول من ذلك والنهى وإن كان بحسب الظاهر متوجهاً إلى قولهم لكنه فى الحقيقة متوجه إلى رسول الله ﷺ ونهى له عليه السلام عن التأثير منه بطريق الكناية على أبلغ وجه وآكده فإن النهى عن أسباب الشىء ومبادئه المؤدية إليه نهى عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية وقد يوجه النهى إلى المسبب ويراد النهى عن السبب كما فى قوله لا أرينك هنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبىء عنه ما ذكر من اتخاذهم الأصنام آلهة فإن ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء آلهتنا وأنهم شركاء لله سبحانه فى المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرىء يحزنك بضم الياء وكسر الزاى من أحزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى (إننا نعلم ما يسرون وما يعلنون) تعليل صريح للنهى بطريق الاستئناف بعد ٧٦ تعليله بطريق الإشعار فإن العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعاً أى إننا نجازيهم بجميع جناباتهم الخافية

٣٦ يس

أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾

والبادية التي لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه فضل تسليية لرسول الله ﷺ وتقديم السر على العلن إما للبالغة في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة والكامنة وإما لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مبادئه مضمرة في القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة) كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان إنكارهم البعث بعد ما شاهدوا في أنفسهم أوضح دلائله وأعدل شواهدهم كما أن ماسبق مسوق لبيان بطلان إشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بأيديهم ما يوجب التوحيد والإسلام وأما ما قيل من أنه تسليية ثانية لرسول الله ﷺ بهوين ما يقولونه بالنسبة إلى إنكارهم الحشر فكلا والهمزة للإنكار والتعجيب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتبعة للعطوف كما مر في الجملة الإنكارية السابقة أي لم يتفكر الإنسان ولم يعلم علماً يقينياً أنا خلقناه من نطفة الخ أو هي عين الجملة السابقة أعيدت تأكيداً للكثير السابق وتمييداً لإنكار ما هو أحق منه بالإنكار والتعجيب لما أن المنكر هناك عدم عليهم بما يتعلق بخلق أسباب معاشهم وهما عدم عليهم بما يتعلق بخلق أنفسهم ولا ريب في أن علم الإنسان بأحوال نفسه أم وإحاطته بها أسهل وأكمل فالإنكار والتعجيب من الإخلال بذلك أدخل كأنه قيل ألم يعلموا خلقه تعالى لأسباب معاشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لأنفسهم أيضاً مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الأهمية على معنى أن المنكر الأول بعيد قبيح والثاني أبعد وأقبح ويجوز أن تكون الواو لعطف الجملة الإنكارية الثانية على الأولى على أنها متقدمة في الاعتبار وأن تقدم الهمزة عليها لاقتضاها الصدارة في الكلام كما هو رأي الجمهور وإيراد الإنسان مورد الضمير لأن مدار الإنكار متعلق بأحواله من حيث هو إنسان كما في قوله تعالى ألا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً وقوله تعالى (فإذا هو خصيم مبين) أي شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل في حيز الإنكار والتعجيب كأنه قيل أولم ير أنا خلقناه من أخس الأشياء وأمنها ففاجأ خصومتنا في أمر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة وإيراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة واستمراره عليها روى أن جماعة من كفار قريش منهم أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي بن خلف ألا ترون إلى ما يقول محمد أن الله يبعث الأموات ثم قال واللات والعزى لا صيرن إليه ولا خصمنه وأخذ عظمها باليا لجمل يفته بيده ويقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال ﷺ نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فزلت وقيل معنى قوله تعالى فإذا هو خصيم مبين فإذا هو بعدما كان ماء مهيناً رجل يميز منطق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الإنكار والتعجيب بل هو من متهمة شواهد صحة البعث فقوله تعالى

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾

- ٧٨ (وضرب لنا مثلاً) معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخل في حيز الإنكار والتعجب وأما على التقدير الأول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصوصتنا وضرب لنا مثلاً أى أورد في شأننا قصة عجبية في نفس الأمر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهي إنكار إحيائنا العظام أو قصة عجبية في زعمه واستبعادها وعدّها من قبيل المثل وأنكرها أشد الإنكار وهي إحيائنا إياها وجعل لنا مثلاً ونظيراً من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى (ونسى خلقه) أى خلقنا إياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه إما عطف على ضرب داخل في حيز الإنكار والتعجب أو حال من فاعله بإضمار قد أو بدونه وقوله تعالى (قال) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كأنه قيل أى مثل ضرب أو ماذا قال فقيل قال (من يحيى العظام) منكر آله أشد النكير مؤكداً له بقوله تعالى (وهي رميم) أى بالية أشد البلى بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الأول هو إنكار إحيائه تعالى للعظام فإنه أمر عجيب في نفس الأمر حقيق لغرابته وبعده من العقول بأن يعد مثلاً ضرورة جزم العقول ببطلان الإنكار ووقوع المنكر لكونه كالإنشاء بل أهون منه في قياس العقل وعلى الثانى هو إحياءه تعالى لها فإنه أمر عجيب في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وأنكره أشد الإنكار مع أنه في نفس الأمر أقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الإنشاء أو أهون منه وأما على الثالث فلا فرق بين أن يكون المثل هو الإنكار أو المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبراً للثبوت لأنه اسم لما يلي من العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من أثبت للعظم حياة وبني عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة وأما أصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد بإحياء العظام ردها إلى ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس (قل) تبكيتاً له بتذكير مانسبه من فطرته الدالة على حقيقة الحال وإرشاده إلى طريقة الاستشهاد بها (يحييها الذى أنشأها أول مرة) فإن قدرته كما هي لاستحالة النغير فيها والمادة على حالها (وهو بكل خلق عليم) مبالغ في العلم بتفاصيل كينيات الخلق والإيجاد إنشاء وإعادة محيط بجميع الأجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الأشخاص أصولها وفعولها وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة إما اعتراض تذييل مقرر لمضمون الجواب أو معطوفة على الصلة والعدول إلى الجملة الاسمية للتنبيه على أن علمه تعالى بما ذكر أمر مستمر ليس كإنشائه للنبشآت وقوله تعالى (الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا) بدل من الموصول الأول وعدم الاكتفاء بعطف صلته على صلته

أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ٣٦ يس

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٧﴾ ٣٦ يس

فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ٣٦ يس

للتأكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة أي خلق لأجلكم ومنفعتكم منه ناراً على أن الجمل إبداعى والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تأخيرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر ووصف الشجر بالأخضر نظراً إلى اللفظ وقد قرىء الخضراء نظراً إلى المعنى وهو المرخ والعفار يقطع الرجل منهما عصيتين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتندح النار بإذن الله تعالى وذلك قوله تعالى (فإذا أنتم منه توقدون) فن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من الماتية المضادة لها بكيفيته كان أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غضاً فطراً عليه اليوسة والبللى وقوله تعالى (أوليس الذى خلق السموات والأرض) الخ استئناف مسوق من جهته عز وجل لتحقيق مضمون الجواب الذى أمر ﷺ بأن يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ليس الذى أنشأها أول مرة وليس الذى جعل لهم من الشجر الأخضر ناراً وليس الذى خلق السموات والأرض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما (بقادر على أن يخلق مثلهم) فى الصغر والقماء بالنسبة إليهما فإن بديهة العقل قاضية بأن من قدر على خلقهما فهو على خلق الأناسى أقدر كما قال تعالى لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس وقرىء يقدر وقوله تعالى (بلى) جواب من جهته تعالى وتصريح بما أقاده الاستفهام الإنكارى من تقرير ما بعد النفي وإيدان بتعين الجواب نطقوا به أو تلعثموا فيه مخافة الإلزام وقوله تعالى (وهو الخلاق العليم) عطف على ما يفيد الإيجاب أى بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ فى الخلق والعلم كيفاً وكما (إنما أمره) أى شأنه (إذا أراد شيئاً) من الأشياء (أن يقول له كن) أى أن يعلق به قدرته (فيكون) فيحدث من غير توقف على شيء آخر أصلاً وهذا تمثيل لآثار قدرته تعالى فيما أراد به بأمر الأمر المطاع المأمور المطيع فى سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شيء ما وقرىء فيكون بالنصب عطفاً على يقول (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء) تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب عما قالوا فى شأنه تعالى وقد مر تحقيق معنى سبحان والفاء الإشارة إلى أن ما فصل من شأنه تعالى موجبة لتزهره وتنزيهه أكمل إيجاب كما أن وصفه تعالى بالمالكية السلبية المطلقة للإشعار بأنها مقتضية لذلك أنهم اقتضاء والملكوت مبالغة فى الملك كالرحموت والرهبوت وقرىء ملكة كل شيء وعلمة كل شيء وملك كل شيء (والله يرجعون) لا إلى غيره وقرىء ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى . عن ابن عباس رضى الله عنهما كنت لا أعلم ما روى فى فضائل يس

٣٧- سورة الصافات

(مكية وآياتها مائة واثنان وثمانون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٧ الصافات

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝

٣٧ الصافات

فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝

٣٧ الصافات

فَالنَّازِلَاتِ نَزْرًا ۝

وقراءتها كيف خصت بذلك فإذا أنه لهذه الآية قال رسول الله ﷺ إن لكل شيء قلباً وإن قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له وأعطى من الأجر كما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة وأياماً مسلم قرىء عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفًا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأياماً مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمسك في قبره وهو ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان . وقال ﷺ إن في القرآن سورة تشفع لقارئها وتستغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس .

(سورة الصافات مكية وآياتها مائة واثنان وثمانون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والصافات صفاً) لإقسام من الله عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصوف على أن المراد إيقاع نفس الفعل من غير قصد إلى المفعول أو الصافات أنفسها أى الناظمات لها في سلك الصوف بقيامها في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا إلا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى وإنا لنحن الصافون وقيل الصافات أقدامها في الصلاة وقيل أجنحتها في الهواء (فالزجرات زجراً) أى الفاعلات للزجر أو الزاجرت لما نيظ بها زجره من الأجرام العلوبة والسفلية وغيرها على وجه يليق بالزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والإغواء وعن استراق السمع كما سيأتى وصفاً وزجراً مصدران مؤكداً لما قبلهما أى صفاً بديعاً وزجراً بليغاً وأما ذكر أى قوله تعالى (فالتاليات ذكرأ) ففعل التاليات أى التاليات ذكر أعظم الشأن من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرها من التسبيح والتعديس والتحميد والتمجيد وقيل هو أيضاً مصدر مؤكد لما قبله فإن التلاوة من باب الذكرك ثم إن هذه الصفات إن أجريت على الكل فمطعمها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل إما بكون الفضل للصف ثم للزجر ثم

٣٧ الصافات

إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿١﴾

٣٧ الصافات

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٢﴾

٣٧ الصافات

إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٣﴾

للتلاوة أو على العكس وإن أجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو للدلالة على ترتيب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى أن طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس وقيل المراد بالمد كورات نفوس العلماء العمال الصافات أنفسها في صفوف الجماعات وأقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواظاة والنصائح التاليات آيات الله تعالى الدارسات شرائعه وأحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات أنفسهم في مواطن الحروب كأنهم بنيان مرصوص أو طوائف قوادم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات آيات الله تعالى وذكره وتبديحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف ودلالته على ترتيب الصفات في الفضل أو ترتيب موصوفاتها فيه فالذي سلف وأما الدلالة على الترتيب في الوجود كما في قوله [يا لهف زبانة للحرث اله صابح فالغائم فالآيب] فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فإنه لو سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والغزاة فتأخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله تعالى وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرىء بإدغام التاء في الصاد والزاي والذال (إن إلهكم لواحد) جواب القسم والجملة تحقيق للحق الذي هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التأكيد القسمي وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به أعني قوله تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) فإن وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من أوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته وأعدل شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ورب خبر ثان لأن أو خبر مبتدأ محذوف أي مالك السموات والأرض وما بينهما من الموجودات ومرربها ومبلغها إلى كمالاتها والمراد بالمشارك مشارق الشمس وإعادة الرب فيها غاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجدها كل يوم فإنها ثلثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب منها وأما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغربا هما (إننا زينا السماء الدنيا) أي القربى منكم (بزينة) بحجية بدية (الكواكب) بالجر بدل من زينة على أن المراد بها الاسم أي ما يزن به لا المصدر فإن الكواكب أنفسها وأوضاع بعضها من بعض زينة وأي زينة وقرىء بالإضافة على أنها بيانية لما أن الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز أن يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب بضوء الكواكب هذا وأما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على

٤

٥

٦

٣٧ الصافات

وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾

٣٧ الصافات

لَّا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾

٣٧ الصافات

دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾

٣٧ الصافات

إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾

- تقدير إضافتها إلى الفاعل بأن زانت الكواكب إياها وأصله بزينة الكواكب وعلى تقدير إضافتها إلى المفعول بأن زان الله الكواكب وحسناها وأصله بزينة الكواكب والمراد هو التزيين في رأى العين فإن جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كأنها جواهر متلألئة في سطح سماء الدنيا بصور بدیعة وأشكال رائعة ولا يقدح في ذلك ارتكاز الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في الستة المتوسطة إن ثبت ذلك (وحفظاً) منصوب إما بعطفه على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل إنا خلقنا الكواكب ٧ زينة للسماء وحفظاً (من كل شيطان مارد) أى خارج عن الطاعة برى الشهب وإما بإضمار فعله وإما بتقدير فعل مؤخر معلل به كأنه قيل وحفظاً من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وقوله تعالى (لا يسمعون إلا الملاء الأعلى) كلام ٨ مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعترهم في أثناء ذلك من العذاب ولا سبيل إلى جعله صفة لكل شيطان ولا جواباً عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على أن يكون الأصل لثلاث يسمعون المحذوف اللام كما حذف من قولك جئتكم أن تكر منى فبقى أن لا يسمعون ثم محذوف أن ويهدر عملها كما في قول من قال [ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى] لما أن كل واحد من ذينك المحذوفين غير منكر بانفراده فأما اجتماعهما فن أنكر المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن أمثالها وأصل يسمعون يتسمعون والملاء الأعلى الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هم الكتبة وعنه أشراف الملائكة عليهم الصلاة والسلام أى لا يتطلبون السماع والإصغاء إليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف (ويقذفون) يرمون (من كل جانب) من جميع جوانب السماء إذا قصدوا الصعود إليها (دحوراً) علة للقذف أى للدحور أو حال بمعنى مدحورين أو مصدر مؤكد له ٩ لأنهما من واد واحد وقرئ دحوراً بفتح الدال أى قذفاً دحوراً مبالغة في الطرد وقد جوز أن يكون مصدرراً كالقبول والولوع (ولهم عذاب واصل) أى ولهم في الآخرة غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى وأعدنا لهم عذاب السعير (إلا من خطف الخطفة) استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الحاء والطاء المشددة وفتح الحاء وكسر الطاء

فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ⑪ ٣٧ الصافات

بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ⑫ ٣٧ الصافات

وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ⑬ ٣٧ الصافات

وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ⑭ ٣٧ الصافات

وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑮ ٣٧ الصافات

أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ⑯ ٣٧ الصافات

وتشديد ما وأصلها اختطف (فأنبه شهاب) أي تبعه ولحقه وقرى فأنببه والشهاب ما يرى منقضا من السماء (ثاقب) مضى في الغاية كأنه ينقب الجو بضوئه يرجم به الشياطين إذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم أو يحرقهم أو يخلبهم قالوا وإنما يعود من يسلم منهم حيا طمعا في السلامة ونيل المراد كراكب السفينة (فاستفتهم) فاستخبر مشركي مكة (أم أشد خلقا) أي أقوى خلقا وأمن بنية أو أصعب خلقا وأشق لإيجاد (أم من خلقنا) من الملائكة والسماء والأرض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب النواقب ومن التغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه إطلاقه ومجيبه بعد ذلك لاسيما قراءة من قرأ أم من عددنا وقوله تعالى (إنا خلقناهم من طين لازب) فإنه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الأمم كعاد وثمود ولأن المراد إثبات المعاد ورد استحالتهم والأمر فيه بالإضافة إليهم وإلى من قبلهم سواء وقرى لازم ولا تب (بل عجب) أي من قدرة الله تعالى على هذه الخلق العظيمة وإنكارهم للبعث (ويسخرون) من تعجيبك وتقريرك للبعث وقرى بضم التاء على معنى أنه باع كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي إلى حيث عجب منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها أو عجب من أن ينكروا البعث من هذه أفاعيله ويسخروا من يحوزه والعجب من الله تعالى إما على الفرض والتخييل أو على معنى الاستعظام اللازم له فإنه روعة تدهري الإنسان عند استعظام الشيء وقيل إنه مقدر بالقول أي قل يا محمد بل عجب (وإذا ذكروا) أي ودأبهم المستمر أنهم إذا عظوا بشيء من المواعظ (لا يذكرون) لا يتعظون وإذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم (وإذا رأوا آية) أي معجزة تدل على صدق الغافل به (يستسخرون) يبالغون في السخرية ويقولون إنه سحر أو يستدعي بعضهم من بعض أن يسخر منها ١٥، ١٦ (وقالوا إن هذا) أي ما يرونه من الآيات الباهرة (إلا سحر مبين) ظاهر سحره (أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما) أي كان بعض أجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لأنه منقلب من الأجزاء البادية والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون في قوله تعالى (أنا لمبعوثون) أي نبعث لأن دونه خطوباً

- أَوْءَا بَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ ٣٧ الصافات
- قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ ٣٧ الصافات
- فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ ٣٧ الصافات
- وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ ٣٧ الصافات
- هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ٣٧ الصافات
- أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ ٣٧ الصافات

لو تفرد واحد منها الكفى في المنع وتقديم الظرف لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إلى حالة منافية له غاية الدافاة وكذا تكرير الهمزة في أننا للبالغه والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بأن واللام لتأكيد الإنكار لا لإنكار أننا كيدكما يوهمه ظاهر النظم الكريم فإن تقديم الهمزة لافتضاءها الصدارة كما في مثل قوله تعالى أفلا تعقلون على رأى الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الأولى وبطرح الثانية فقط (أو آباؤنا الأولون) رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيديويه أى ١٧ وآباؤنا الأولون أيضاً مبشرون وقيل عطف على محل إن واسمها وقيل على الضمير في مبشرون للفصل بهمزة الإنكار الجارية مجرى حرف النفي في توله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا وأياً ما كان فإدراج زيادة الاستبعاد بناء على أنهم أقدم فبعثهم أبعد على زعمهم وقرئ (أو آباؤنا) قل) تبكيتاً لهم (نعم) والخطاب في قوله ١٨ تعالى (وأنتم داخرون) لهم ولا بانهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم أى كلكم مبشرون والحال أنكم صاغرون أذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهى لغة فيه (فإنما هى زاجرة واحدة) ١٩ هى إما ضمير مبهم يفسره خبره أو ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمرة أو تعليل لنهى مقدر أى إذا كان كذلك فإنما هى الخ أو لا تستصعبوه فإنما هى الخ والزجرة الصيحة من زجر الراعى غنمه إذا صاح عليها وهى النفخة الثانية (فإذا هم) قائمون من مرافدهم أحياء (ينظرون) يبصرون كما كانوا أو ينتظرون ما يفعل بهم (وقالوا) أى المبشرون وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرر (يا ويلنا) أى هلاكنا حضر ٢٠ فهذا وإن حضورك وقوله تعالى (هذا يوم الدين) تعليل لدعائهم الول بطريق الاستئناف أى اليوم الذى نجازى فيه بأعمالنا وإنما علموا ذلك لأنهم كانوا يسمعون فى الدنيا أنهم يبعثون ويحاسبون ويجهزون بأعمالهم فلما شاهدوا البعث أيقنوا بما بعده أيضاً وقوله تعالى (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون) ٢١ كلام الملائكة جواباً لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو أيضاً من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء أو الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى (أحشروا الذين ظلموا) خطاب من الله عز وجل للملائكة ٢٢

٣٧ الصفات

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾

٣٧ الصفات

وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

٣٧ الصفات

مَالَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾

٣٧ الصفات

بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾

٣٧ الصفات

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾

٣٧ الصفات

قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾

أو من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم إلى المرقف وقيل من الموقف إلى الجحيم (وأزواجهم) أي أشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبده وعابد الكواكب مع عبده كقوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم (وما كانوا يعبدون) (من دون الله) من الأصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم قيل هو عام مخصوص بقوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية الكريمة وأنت خير بأن الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أي عرفوهم طريقها ووجههم إليها وفيه تهكم بهم (وقفوهم) احبسوهم في الموقف كأن الملائكة سارعوا إلى ما أمروا به من حشرهم إلى الجحيم فأمروا بذلك وعلل بقوله تعالى (إنهم مسئولون) إيذاناً من أول الأمر بأن ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليعتبر بحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا الكن لا عن عقابهم وأعمالهم كما قيل فإن ذلك قد وقع قبل الأمر بهم إلى الجحيم بل مما ينطق به قوله تعالى (مالكم لا تناصرون) بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم أي لا ينصر بعضهم بعضاً كما كنتم تزعمون في في الدنيا وتأخير هذا السؤال إلى ذلك الوقت لأنه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة إلى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ أشد وقعاً وتأثيراً وقرئ لا تناصرون ولا تناصرون بالإدغام (بل هم اليوم مستسلمون) منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الخيل عليهم أو أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز فكلمهم مستسلم غير منتصر (وأقبل) حينئذ (بعضهم على بعض) هم الاتباع والرؤساء أو الكفرة والقرناء (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضاً سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال (قالوا) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا أي الاتباع للرؤساء أو الكل للقرناء (إنكم كنتم تأتوننا) في الدنيا (عن اليمين) عن أقوى الوجوه وأمتها أو عن الدين أو عن الخير كأنكم تنفعوننا نفع السامع فتبعناكم فهلكنا مستعار من بين الإنسان الذي هو أشرف الجنانين وأقواهما وأنفعهما ولذلك سمي يميناً ويمين بالسامع أو عن القوة والقسر فتقسرونا على الفنى وهو الاً وفق للجواب أو عن الحلف حيث كانوا يحلفون أنهم على الحق .

٣٧ الصافات	قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾
٣٧ الصافات	وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾
٣٧ الصافات	حَقَّقَ عَلَيْنَا قَوْلَ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰٓئِقُونَ ﴿٣١﴾
٣٧ الصافات	فَاغْوَيْنَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾
٣٧ الصافات	فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾
٣٧ الصافات	إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾
٣٧ الصافات	إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾
٣٧ الصافات	وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا هَٰذَا لَشَاعِرٍ فَجَنُونِ ﴿٣٦﴾
٣٧ الصافات	بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾
٣٧ الصافات	إِنَّكُمْ لَذَٰٓئِقُوا الْعَذَابِ الْآلِيمِ ﴿٣٨﴾

- (قالوا) استئناف كما سبق أى قال الرؤساء أو القراء (بل لم تكونوا مؤمنين) أى لم تمنعكم من الإيمان ٢٩
 بل لم تؤمنوا باختياركم وأعرضتم عنه مع تمسكنكم منه وآثرتم الكفر عليه (وما كان لنا عليكم من سلطان) ٣٠
 من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم (بل كنتم قوما طاغين) مختارين للطغيان مهربين عليه (حق علينا) ٣١
 أى لزمنا وثبت علينا (قول ربنا) وهو قوله تعالى لا ملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين (إنا لذائقون)
 أى العذاب الذى ورد به الوعيد (فاغوينكم) فدعوناكم إلى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم ٣٢
 واستجابكم الغي على الرشد (إنا كنا غاوين) فلا عتب علينا فى تعرضنا لإغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة
 لتكفروا أمثالنا فى الغواية (فإنهم) أى الاتباع والمتبوعين (يومئذ فى العذاب مشتركون) حسبما كانوا ٣٣
 مشتركين فى الغواية (إنا كذلك) أى مثل ذلك الفعل البديع الذى تقتضيه الحكمة التشريعية (نفعل
 بالمجرمين) المنتاهين فى الإجمام وهم المشتركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى (إنهم كانوا إذا قيل
 لهم) بطريق الدعوة والتلقين (لا إله إلا الله يستكبرون) عن القبول (ويقولون أنما لناركوا لهتنا لشاعر
 مجنون) (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) رد عليهم وتكذيب لهم ببيان أن ما جاء به من التوحيد هو
 الحق الذى قام به البرهان وأجمع عليه كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام فأين الشعر والمجنون من ساحته
 الرفيعة (إنكم) بما فعلتم من الإشراك وتكذيب الرسول ﷺ والاستكبار (لذائقوا العذاب الآليم) ٣٨

٣٧ الصفات

وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾

٣٧ الصفات

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾

٣٧ الصفات

أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾

٣٧ الصفات

فَوَاكِهُهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾

٣٧ الصفات

فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾

- والالتفات لإظهار كمال الغضب عليهم وقرىء بنصب العذاب على تقدير النون كقوله [ولا ذاكر الله إلا قليلاً] وقرىء لذا انقون العذاب على الأصل (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) أى [الجزاء ما كنتم تعملونه من السيئات أو إلا بما كنتم تعملونه منها (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع من ضمير ذا انقرو وما بينهما اعتراض جىء به مسارعة إلى تحقيق الحق ببيان أن ذوقهم العذاب ليس إلا من جهتهم لا من جهة غيرهم أصلاً وجعله استثناء من ضمير تجزون على معنى أن الكفرة لا يجزون إلا بقدر أعمالهم دون عباد الله المخلصين فإنهم يجزون أضعافاً مضاعفة بما لا وجه له أصلاً لا سيما جملة استثناء متصلاً بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فإنه ليس في حيز الاحتمال فالمعنى إنكم لذا انقون العذاب الأليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى (أولئك) إشارة إليهم للإيذان بأنهم ممتازون بما انصفوا به من الإخلاص في عبادة الله تعالى فمن عداهم امتيازاً بالغاً منتظمون بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار بعلو طبقتهم وبعد منازلهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى (لهم) إما خبر له وقوله تعالى (رزق) مرتفع على القاعلية بما فيه من الاستقرار أو مبتدأ ولهم خبر مقدم والجملة خبر لأولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما أفاده الاستثناء إجمالاً بياناً تفصيلاً وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على أنه متأول بالمبتدأ وقوله تعالى (معلوم) أى معلوم الخصائص من حسن المنظر ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيماً وقوله تعالى (فواكه) إما بدل من رزق أو خبر مبتدأ مضمراً أى ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر لأن أرزاق أهل الجنة كلها فواكه أى ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لأنهم مستغنون عن القوت لكون خلقهم محكمة محفوظة من التحلل المذوج إلى البدل وقيل لأن الفواكه من أتباع سائر الأطعمة فذكرها مفعول عن ذكرها (وهم مكرمون) عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك أعظم الثواب وأليقها بأولى الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل إليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن أرزاق الدنيا وقرىء مكرمون بالتشديد (في جنات النعيم) أى في جنات ليس فيها إلا النعيم وهو ظرف أو حال من المستكن في مكرمون أو خبر ثان لأولئك .

٣٧ الصافات

عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾

٣٧ الصافات

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾

٣٧ الصافات

بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾

٣٧ الصافات

لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾

٣٧ الصافات

وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾

٣٧ الصافات

كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

٣٧ الصافات

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾

- ٤٤ وقوله تعالى (على سرر) محتمل للعالية والخبرية فقوله تعالى (متقابلين) حال من المستمكن فيه أو في
مكرمون وقوله تعالى (يطاف عليهم) إما استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية تكامن مجالس أنسهم
أو حال من الضمير في متقابلين أو في أحد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون (بكأس) يأناء فيه خمر
أو بخمر فإن السكاس تطلق على نفس الخمر كما في قول من قال [وكأس شربت على لذة] وأخرى تدوايت
منهاها [(من معين) متعلق بمضمهر هو صفة لكأس أى كائنة من شراب معين أو من نهر معين وهو
الجارى على وجه الأرض الظاهر للعيون أو الخارج من العيون من عان الماء إذا نبع وصف به الخرو هو
للدهاء لآهاتجى فى الجنة فى أنهار كمايجرى الماء قال تعالى وأنهار من خمر (بيضاء لذة للشاربين) صفتان أيضاً
٤٦ السكاس ووصفها بلذة إما للبالة كأنها نفس اللذة أو لأنها تأنيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال [ولذ
كطعم الصر خدى تركته] بأرض العدا من خيفة الحدثان [يريد به النوم (لا فيها غول) أى غائلة كفاى
٤٧ خمر الدنيا من غاله إذا أفسده وأهلكه ومنه الغول (ولاهم عنها ينزفون) يسكرون من نزف الشارب
فهو نزيف ومنزوف إذا ذهب عقله ويقال للمطعمون نزف فوات إذا خرج دمه كله أفرد هذا بالنفى مع
اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما أنه من معظم مفسد الخمر كأنه جنس برأسه والمعنى لا فيها نوع من
أنواع الفساد من مغص أو صداع أو خمار أو عريدة أو لغو أو تأثيم ولا هم يسكرون وقرىء ينزفون
بكسر الزاى من أنزف الشارب إذا نفذ عقله أو شرابه وقرىء ينزفون بضم الزاى من نزف ينزف بضم الزاى
فيهما (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن أبصارهن على أزواجهن لا يمددن طرفاً إلى غيرهم (عين) نجل
٤٨ العيون جمع عيناء والنجل سعة العين (كأنهن بيض مكنون) شبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه
٤٩ فى الصفاء والبياض المخلوط بأدنى صفرة فإن ذلك أحسن ألوان الأبدان (فأقبل بعضهم على بعض
٥٠ يتساءلون) معطوف على يطاف أى يشربون فيتحدثون على الشراب كما هو عادة الشرب قال [وما

٣٧ الصفات

قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

٣٧ الصفات

يَقُولُ أَأَنْتَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾

٣٧ الصفات

أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾

٣٧ الصفات

قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾

٣٧ الصفات

فَاطْلِعْ قَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾

٣٧ الصفات

قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾

بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام [فيقبل بعضهم على بعض يتسألون عن الفضائل
والمعارف و عما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع
٥٢، ٥١ حتما (قال قائل منهم) في تضاعيف محاوراتهم (إني كان لي) في الدنيا (قرين) مصاحب (يقول)
لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الإيمان والتصديق بالبعث (أنتك لمن المصدقين) أي بالبعث
٥٣ وقرىء بتشديد الصاد من التصديق والاول هو الأوفق لقوله تعالى (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا
لمدينون) أي لمبعوثون ومجزون من الدين بمعنى الجزاء أو لمسوسون يقال دانه أي ساسه ومنه الحديث
العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق بالله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدي بعض إخوانه فقال
أين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الآخرة خير آمنه فقال أنتك لمن المصدقين بيوم الدين أو
من المصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما
٥٤ حينئذ لتأكيد إنكار الجزاء المبني على إنكار البعث (قال) أي ذلك القائل بعد ما حكى جلسائه مقالة قرينه
في الدنيا (هل أنتم مطلعون) أي إلى أهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل
القائل هو الله تعالى أو بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون أن تطلعوا على أهل النار لاريكم ذلك القرين
٥٥ فتعلموا أين منزلتكم من منزلتهم قيل إن في الجنة كوى ينظر منها أهلها إلى أهل النار (فاطلع) أي عليهم (قرأه)
أي قرينه (في سواء الجحيم) أي في وسطها وقرىء فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرىء مطلعون
فاطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع واطلع بمعنى
واحد والمعنى هل أنتم مطلعون إلى القرين فاطلع أنا أيضاً أو عرض عليهم الاطلاع فقبلوا ما عرضه
فاطلع هو بعد ذلك وإن جعل الاطلاع متعدياً قلنا أنه لما شرط في إطلاعه إطلاعهم كما هو ديدن
الجلساء فكأنهم مطلعوه وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرىء مطلعون بكسر النون أراد مطلعون
إيأى فوضع المتصل موضع المنفصل كقولهم [هم الفاعلون الخيروا الأمرونه] أو شبه اسم الفاعل بالمضارع
٥٦ لما بينهما من التآخي (قال) أي القائل مخاطباً لقرينه (تالله إن كدت لتردين) أي أتهلكني بالإغواء وقرىء

٣٧ الصافات

وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾

٣٧ الصافات

أَفَأَنْخُنْ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾

٣٧ الصافات

إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٥٩﴾

٣٧ الصافات

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾

٣٧ الصافات

لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾

٣٧ الصافات

أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾

- لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وإن هي المخففة من إن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام فارقة
 أى تالله إن الشأن كدت لتزدين (ولولا نعمة ربي) بالهداية والعصمة (لكنت من المحضرين) أى من ٥٧
 الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأضرابك وقوله تعالى (أفأنا نحن بميتين) رجوع إلى محادثة ٥٨
 جلساته بعد إتمام الكلام مع قريبه تبجحاً وإبتهاجاً بما أناح الله عز وجل لهم من الفضل العظيم والنعيم
 المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام أى أنحن مخلدون
 منعمون فأنحن بميتين أى بمن شأنه الموت وقرىء بماتين (إلا موتنا الأولى) التى كانت فى الدنيا وهى ٥٩
 متناولة لما فى القبر بعد الإحياء للسؤال قاله تصديقاً لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى
 وقيل إن أهل الجنة أول ما دخلوا الجنة لا يعلمون أنهم لا يموتون فإذا جىء بالموت على صورة كبش
 أملح فذبح ونودى بأهل الجنة خلود فلا موت وبأهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك تحدياً
 بنعمة الله تعالى واغبطاً بها (وما نحن بمعذبين) كالكفار فإن النجاة من العذاب أيضاً نعمة جليلة
 مستوجبة للتحدث بها (إن هذا) أى الأمر العظيم الذى نحن فيه (هو الفوز العظيم) وقيل هو من قول ٦٠
 الله عز وجل تقريراً لقولهم وتصديقاً له وقرىء هو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظيمى
 (لمثل هذا فليعمل العاملون) أى لتبيل هذا المرام الجليل يجب أن يعمل العاملون لا للحفظ الديبوبة ٦١
 السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا أيضاً يحتمل أن يكون من كلام رب العزة (أذلك خير ٦٢
 نزلاً أم شجرة الزقوم) أصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشيء فانتصابه على التمييز أى
 أذلك الرزق المعلوم الذى حاصله اللذة والسرور خير نزلاً أم شجرة الزقوم التى حاصلها الألم والغم ويقال
 النزل لما يقام ويهيا من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى أن الرزق المعلوم نزل أهل
 الجنة وأهل النار نزلهم شجرة الزقوم فأيهما خير فى كونه نزلاً والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق دفرة
 مرة كريهة الرائحة تكون فى تهامة سميت به الشجرة الموصوفة .

لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ②٨

٥٦ الواقعة

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ②٩

٥٦ الواقعة

وَأُولَئِكَ مِنَ الْآخِرِينَ ③٠

٥٦ الواقعة

وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ③١

٥٦ الواقعة

فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ③٢

٥٦ الواقعة

وَوَيْلٌ لِّمَنِ يَحْمُومٌ ③٣

٥٦ الواقعة

لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ ③٤

٥٦ الواقعة

لَهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ③٥

٥٦ الواقعة

* جمع عروب وهي المتحبة إلى زوجها الحسنة التبعل وقرىء عرباً بسكون الراء (أتراباً) مستريات
 ٣٨ في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن واللام في قوله تعالى (لأصحاب اليمين) متعلقة بأشئنا أو
 جعلنا أو باتراً بأكقولك هذا ترب لهذا أى مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لأبكار أى كائنات
 ٣٩ لأصحاب اليمين أو خبر مبتدأ محذوف أى هن لأصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى (ثلة من الأولين)
 ٤٠ (وثة من الآخرين) وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف ختمت به قصة أصحاب اليمين أى هم أمة
 من الأولين وأمة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن أبي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة
 من الأولين أى من سابقى هذه الأمة وثة من الآخرين من هذه الأمة في آخر الزمان وعن سعيد بن
 جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعاً من
 ٤١ أمتي (وأصحاب الشمال) شروع في تفصيل أحوالهم التي أشير عند التنويع إلى هولها وفظاعتها بعد
 * تفصيل حسن حال أصحاب اليمين والكلام في قوله تعالى (ما أصحاب الشمال) عين ما فصل في نظيره وكذا
 ٤٢ في قوله تعالى (في سموم وحميم) والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة
 ٤٤٠٤٣ (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم (لابارد) كسائر الظلال (ولا كريم) فيه خير ما في الجملة
 سمي ذلك ظلًا ثم نفي عنه وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل
 ٤٥ وقرىء لابارد ولا كريم بالرفع أى لاهو بارد ولا كريم وقوله تعالى (لأنهم كانوا قبل ذلك مترفين)
 تعليل لا بتلائم بما ذكر من العذاب أى لأنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بأنواع
 النعم من الماء كل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا

٣٧ الصافات

فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾

٣٧ الصافات

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾

٣٧ الصافات

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾

٣٧ الصافات

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾

٣٧ الصافات

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

٣٧ الصافات

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾

٣٧ الصافات

وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

- ٧٠ الأمر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلاً عن صلاحية الدليل (فهم على آثارهم يهرعون) من غير أن يتدبروا
أنهم على الحق أولاً مع ظهور كونهم على الباطل بأدنى تأمل والإهراع الإسراع الشديد كأنهم يزعمون
ويحنون حناً على الإسراع على آثارهم وقيل هو إسراع فيه شبه رعدة (ولقد ضل قبلهم) أي قبل قومك
٧١ قريش (أكثر الأولين) من الأمم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى (ولقد أرسلنا
فيهم منذرين) أي أنبياء أولى عدد كثير وذو شأن خطير بينوا لهم بطلان مام عليه وأنذروهم عاقبته
الوخيمة وتكرير القسم لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين (فانظر كيف كان عاقبة
٧٢ المنذرين) من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا إلى الإنذار ولم يرفعوا لرأساً والخطاب إما لرسول الله ﷺ
أو لكل أحد ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى أنهم أهلكوا هلاكاً فظيعاً استثنى منهم
المخلصون بقوله تعالى (إلا عباد الله المخلصين) أي الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للإيمان والعمل
٧٣ بموجب الإنذار وقرىء المخلصين بكسر اللام أي الذين أخلصوا دينهم لله تعالى (ولقد نادانا نوح)
٧٤ تفصيل لما أجمل فيما قبل ببيان أحوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض
المنذرين حسبما أشير إليه بقوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم
إلياس وبيان حسن عاقبة بعضهم الذين أخلصهم الله تعالى ووقفهم للإيمان كما أشار إليه الاستثناء كقوم
يونس عليه السلام ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غنى عن البيان واللام جواب قسم محذوف
وكذا ما في قوله تعالى (فلنعم المجيبون) أي وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من إيمان قومه بعد مادعاهم
إليه أحقاباً ودهوراً فلم يردهم دعاؤه إلا فراراً ونفوراً فأجبناه أحسن الإجابة فوالله لنعم المجيبون
نحن لحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء (ونجيناها وأهلها من الكرب
٧٥ العظيم) أي من الغرق وقيل من أذية قومه .

لَا يَكُلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾

٥٦ الواقعة

فَالْيَوْمَ مِنْهَا الْبَطُونُ ﴿٥٣﴾

٥٦ الواقعة

فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾

٥٦ الواقعة

فَشَرِبُونَ شُرْبَ الْهَلِيمِ ﴿٥٥﴾

٥٦ الواقعة

هَذَا نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾

٥٦ الواقعة

نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾

٥٦ الواقعة

٥٢ (لا كلون) بعد البعث والجمع ودخول جهنم (من شجرة من زقوم) من الأولى لا ابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أى مبتدون الأكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو ٥٤، ٥٣ وصف لشجر أى كائن من زقوم (فالثون منها البطون) أى بطونكم من شدة الجوع (فشاربون عليه) عقيب ذلك بلا ريث (من الحميم) أى الماء الحار فى الغاية وتأنيث ضمير الشجر أولاً وتذكيره ثانياً باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للأكل وقوله تعالى (فشاربون شرب الهيم) كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا أى لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم وهى الإبل التى بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع أهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل التى لا يتأسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار فى أحشائهم ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فإذا ملأ أمته بطونهم وهو فى غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذى يقطع أمعاهم فيشربون شرب الهيم ٥٦ وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو أيضاً مصدر وقرئ بالكسر على أنه اسم المشروب (هذا) الذى ذكر * من أنواع العذاب (نزلهم يوم الدين) أى يوم الجزاء فإذا كان ذلك نزلهم وهو ما بعد للنازل بما حضر فاطنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار فى النار وفيه من التهم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاى تخفيفاً والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررمة لمضمون الكلام ٥٧ الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها أى فهلا تصدقون بالخلق فإن ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبىء عن خلافه ليس من التصديق فى شىء وقيل بالبعث استدلالاً لا عليه بالإنشاء فإن من قدر عليه قدر على الإعادة حتماً والأول هو الوجه كما ستحيط به خبراً .

٣٧ الصافات

إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٥﴾

٣٧ الصافات

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾

٣٧ الصافات

أَفْكَاءَ آلِهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾

٣٧ الصافات

فَمَا ظَنُّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾

٣٧ الصافات

فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾

٣٧ الصافات

فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾

٣٧ الصافات

فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾

- ٨٤ كان بينهما إلابيان هو دوصالح عليهم السلام وكان بين نوح وإبراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة (إذ جاء ربه) منصوب باذكر أو متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة (بقلب سليم) أى من آفات القلوب أو من العلائق الشاغلة عن التبتل إلى الله عز وجل ومعنى المجيء به ربه لإخلاصه له كأنه جاء به متحنفاً لإياه بطريق التمثيل (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) بدل من الأولى أو ظرف لجاء أو لسليم أى أى شيء تعبدونه
- ٨٥ (أفكاء آلهة دون الله تريدون) أى تريدون آلهة من دون الله إفكاً أى للإفك فقدم المفعول على الفعل
- ٨٦ (للعناية ثم المفعول له على المفعول به لأن الأهم مكافئهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم ويجوز أن يكون إفكاً مفعولاً به بمعنى أنهم يريدون إفكاً ثم يفسر الإفك بقوله آلهة من دون الله دلالة على أنها إفك في نفسها للمبالغة أو يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز أن يكون حالاً بمعنى أفكين (فما ظنكم برب العالمين)
- ٨٧ أى بمن هو حقيق بالعبادة لكونه رباً للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة وأشركتم به أخس مخلوقاته أو فما ظنكم به أى شيء هو من الأشياء حتى جعلتم الأصنام له أنداداً أو فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم من الإشراك به (فنظر نظرة في النجوم) قيل كانت له عليه الصلاة والسلام حصى لها
- ٨٨ نوبة معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فإذا هي قد حضرت (فقال إني سقيم)
- ٨٩ وكان صادقاً في ذلك فجعله عنراً في تخلفه عن عيدهم وليل أراد إني سقيم القلب لكفركم وقيل نظر في علمها أو في كتبها أو في أحكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه الصلاة والسلام إيهامهم حين أرادوا أن يخرجوا به عليه الصلاة والسلام إلى معيدهم لتركوه فإن القوم كانوا أنجما من فاهمهم أنه قد استدل بأماره في النجوم على أنه سقيم أى مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه إلى معيدهم وتركوه في بيت الأصنام وذلك قوله تعالى (فتولوا عنه مدبرين) أى هاربين مخافة العدوى.

٥٦ الواقعة

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾

٥٦ الواقعة

بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾

٥٦ الواقعة

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾

٥٦ الواقعة

ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾

٥٦ الواقعة

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

٥٦ الواقعة

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾

٥٦ الواقعة

ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِعُونَ ﴿٧٢﴾

* (فظلم) بسبب ذلك (تفكهمون) تتعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما تعبت فيه وأنفقتم عليه أو على ما اقترعتم لأجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكية وقد استعير للتنقل بالحديث وقرىء تفكسون أى تندمون وقرىء فظلمت بالكسر وفظلمت على الأصل (إنا لمغرمون) أى للزمن غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرىء أننا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو فى حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهمون أى قائلين أو تقولون إنا لمغرمون (بل نحن محرومون) حرمانا رزقنا أو محارفون محدودون لاحظ لنا ولا بخت لا يجدودون (أفرأيتم الماء الذى تشربون) عذبا فراتا ٦٦ وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به (أأتم أنزلتموه من المزن) أى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب (أم نحن المنزلون) له بقدرتنا (لونشاء جعلناه أجاجا) ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع إثباتها فى الشرطية الأولى للتعويل على علم السامع أو الفرق بين المطعوم والمشروب فى الأهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان أن عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة الإنبات والإزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى (فلولا تشكرون) تخصيص على شكر الكل (أفرأيتم النار التى تورون) أى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد (أأتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد وهى المرخ والعفار (أم نحن المنشئون) لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالإنشاء المنبئ عن بديع الصنع العرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التى لا تخلو عن النار حتى قيل فى كل شجر نار واستشهد المرخ والعفار كإثبات التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء فى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر لذلك .

٣٧ الصافات

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾

٣٧ الصافات

فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

٣٧ الصافات

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾

٣٧ الصافات

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾

٣٧ الصافات

فَبَشِّرْنَهُ بِنُحْلٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبُنْيَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبُحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَّبِعُ

٣٧ الصافات

أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾

- أولياً مع مافيه من تحقيق الحق ببيان أن جميع ما يعملونه كأننا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما صدرية أى عملكم على أنه بمعنى المفعول وقيل بمعناه فإن فعلهم إذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم أولى بذلك (قالوا ابنوا له بنياناً فالقوه فى الجحيم) أى فى النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهى ٩٧ شدة التأجج واللام عوض من المضاف إليه أى جحيم ذلك البيان وقد ذكر كيفية بنائهم له فى سورة الأنبياء (فارادوا به كيداً) فإنه عليه الصلاة والسلام لما قهرهم بالحجة وألغىهم الحجر قصدوا ما قصدوا ٩٨ أثلاً يظهر للعامة عجزهم (فجعلناهم الأسفلين) الأذلين بإبطال كيدهم وجعله برهاناً نيراً على علو شأنه عليه الصلاة والسلام يجعل النار عليه برداً وسلاماً (وقال إني ذاهب إلى ربى) أى مهاجر إلى حيث ٩٩ أمرنى ربى كما قال إني مهاجر إلى ربى وهو الشام أو إلى حيث أتجر فيه لعبادته تعالى (سيهدين) أى إلى مافيه صلاح دينى أو إلى مقصدى وبت القول بذلك لسبق الوعد أو لفرط توكله أو للبناء على عاداته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ولذلك أتى بصيغة التوقع (رب هب لى من الصالحين) أى بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة ١٠٠ يعنى الولد لأن لفظ الهبة على الإطلاق خاص به وإن كان قد ورد مقيداً بالأخوة فى قوله تعالى ووهبنا له من رحمته أخاه هرون نبياً ولقوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) فإنه صريح فى أن المشر به عين ما استوهمه ١٠١ عليه الصلاة والسلام ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة أنه غلام وأنه يبلغ أنوان الحلم وأنه يكون حليماً وأى حلم يعادل حلمه عليه الصلاة والسلام حين عرض عليه أبوه الذبح فقال يأتى فافعل ما تؤمر سَتَجِدُنِي ١٠٢ إن شاء الله من الصابرين وقيل مانعت الله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأقل مانعتهم بالحلم لعدة وجوده غير إبراهيم وابنه فإنه تعالى نعمهما به وحالهما المحكية بعد أعدل بينة بذلك والفاء فى قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) فصيحة معربة عنه فقد حذف تعويلاً على شهادة الحال وإيضاحاً بعدم الحاجة إلى التصريح

٥٦ الواقعة

فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾

٥٦ الواقعة

لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾

٥٦ الواقعة

تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

٥٦ الواقعة

أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾

٥٦ الواقعة

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

٥٦ الواقعة

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾

- أى كثير النفع لاشتغاله على أصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى أو كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو إما متروك أريد به نفى عنهم ٧٨ أو مخوف ثقة بظهوره أى لعظمتهم أو لعلمتهم بموجبه (فى كتاب مكنون) أى مصون من غير ٧٩ المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح (لا يمسه إلا المطهرون) إما صفة أخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسدية وأضرار الأوزار أو للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الأحداث فيكون نفيًا بمعنى النهى أى لا ينبغي أن يمسه إلا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلبه أى لا ينبغي له أن يظلمه وقيل لا يطلبه إلا المطهرون من الكدور وقرىء المتطهرون والمطهرون بالإدغام والمطهرون ٨٠ من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أى أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار أو غيره (تنزيل من رب العالمين) ٨١ صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرىء تنزيلاً (أفبهذا الحديث) الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله وهو القرآن الكريم (أنتم مدهنون) أى ٨٢ متهاونون به كمن يدهن فى الأمر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به (وتجعلون رزقكم) أى شكر رزقكم (أنكم تكذبون) أى تضعون التكذيب موضع الشكر وقرىء وتجعلون شكركم أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمغنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه إلى الأنواء ٨٣ والأول هو الأوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فإن قوله عز وجل (فلولا إذا بلغت الحلقوم) الخ تبكى مبنى على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم إلى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معاشهم كما ستقف عليه ولولا التحضيض لإظهار عجزهم وإذا ظرفية أى فهلا إذا بلغت النفس أى الروح وقيل

٣٧ الصافات

وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَلْأَبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾

٣٧ الصافات

قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾

٣٧ الصافات

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾

٣٧ الصافات

وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾

٣٧ الصافات

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾

٣٧ الصافات

سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾

- وجعلها سائلة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة رضى الله عنه في أسلم إبراهيم ابنه وإسماعيل نفسه (وتله للجبين) صرعه على شقه فوق جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه بإشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين أمر الله تعالى وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل في المنحر الذي ينحر اليوم فيه (ونادينا أن يا إبراهيم) ١٠٤ (قد صدقت الرؤيا) بالعزم على الإتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته وقد روى أنه أمر السكينة بقوته ١٠٥ على حلقه مراراً فلم يقطع ثم وضع السكينة على قفاه فانقلب السكينة فعند ذلك وقع النداء جواب لما محذوف إبتدأنا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كأنه قيل كان ما كان، لا يحيط به نطاق البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما أنعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق أحدهما وإظهار فضلهم بذلك على العالمين مع إحراز الثواب العظيم إلى غير ذلك (إنا كذلك نجزي المحسنين) تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما بإحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوع المأمور به فإنه عليه الصلاة والسلام كان مأموراً بالذبح لقوله تعالى أفعلم ما تقرر ولم يحصل (إن هذا هو البلاء المبين) الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص ١٠٦ عن غيره أو المحنة البينة الصعوبة إذ لا شيء أصعب منها (وفدينا بذبح عظيم) (عظيم) ١٠٧ أى عظيم الجنة سمين أو عظيم القدر لأنه يفدى به الله نبياً ابن نبي وأى نبي من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشاً من الجنة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه الكبش الذي قرب به هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى فدى به إسماعيل عليه السلام وقيل فدى بوعلى أهبط عليه من ثبير وروى أنه هرب من إبراهيم عليه السلام عند الحجرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقى سنة في الرمي وروى أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالسوسة عند ذبح ولده وروى أنه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام الله أكبر الله أكبر فقال الذبيح لا إله إلا الله والله أكبر فقال إبراهيم الله أكبر والله الحمد فبقى سنة والفادي في الحقيقة هو إبراهيم وإنما قيل وفدنا لأنه تعالى هو المعطى له والأمر به على التجوز في الفداء أو الإسناد (وتركنا عليه في ١٠٨ الآخرين سلام على إبراهيم) قد سلف بيانه في غاتمة قصة نوح عليه السلام . ١٠٩

٣٧ الصفات

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾

٣٧ الصفات

إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾

٣٧ الصفات

وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾

٣٧ الصفات

وَبَشَّرْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

٣٧ الصفات

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾

٣٧ الصفات

وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾

٣٧ الصفات

وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾

- ١١٠ (كذلك نجزي المحسنين) ذلك إشارة إلى إبقاء ذكره الجليل فيما بين الأمم لا إلى ما أشير إليه فيما سبق
- ١١١ فلا تكرار وعدم تصدير الجملة بأننا لا اكتفاء بما مر آنفاً (إنه من عبادنا المؤمنين) الراسخين في الإيمان
- ١١٢ على وجهه الايقان والاطمئنان (وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين) أى مقضياً بنبوته مقدر أكونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقماً حالين ولا حاجة إلى وجود الم بشر به وقت البشارة فإن وجود ذى الحال ليس بشرط وإنما الشرط مقارنة لعلق الفعل به لا اعتبار معنى الحال فلا حاجة إلى تقدير مضاف يجعل عاملاً فيهما مثل وبشرناه بوجود إسحاق أى بأن يوجد إسحاق نبياً من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين فإن الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول وإسحاق عليه السلام لم يكن مقدر أ نبوة نفسه وصلاحيها حين ما يوجد ومن فسر الغلام بإسحاق جعل المقصود من البشارة نبوته عليه الصلاة والسلام وفى ذكر الصلاح بعد تعظيم شأنه وإيماء إلى أنه الغاية لها التضمنها معنى الكمال والتكميل
- ١١٣ بالفعل على الإطلاق (وباركنا عليه) على إبراهيم فى أولاده (وعلى إسحاق) بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بنى إسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب عليهم السلام أو أفضنا عليهم بركات الدين والدنيا وقرى وبركنا (ومن ذريتهما محسن) فى عمله أو لنفسه بالإيمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصى (مبين) ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على أن النسب لا تأثير له فى الهداية والضلال وأن الظلم فى أعقابهما لا يعود عليهما بتقصيصه
- ١١٤ ولا عيب (ولقد مننا على موسى وهرون) أى أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية
- ١١٥ (ونجيناهما وقومهما) وهم بنو إسرائيل (من الكرب العظيم) هو ملكة آل فرعون وتسلطهم عليهم بألوان الغشم والعذاب كما فى قوله تعالى وإذ أنجيناهم من آل فرعون وقيل هو الفرق وهو بعيد لأنه
- ١١٦ لم يكن عليهم كرباً ومشقة (ونصرناهم) أى إياها وقومهما على عدومهم (فكانوا) بسبب ذلك (هم الغالبين) عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد أن كان قومهم فى أسرهم وقصرهم مقهورين تحت أيديهم العادية يسومونهم

٣٧ الصافات

وَأَتَيْنَهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾

٣٧ الصافات

وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾

٣٧ الصافات

وَوَكَّأْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْأَخْرَبِ ﴿١١٩﴾

٣٧ الصافات

سَلَّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾

٣٧ الصافات

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾

٣٧ الصافات

إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

٣٧ الصافات

وَإِنَّا إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾

٣٧ الصافات

إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَالَا تُتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾

٣٧ الصافات

أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾

سوء العذاب وهذه التنجية وإن كانت بحسب الوجود مقارنة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص من المكروه بدى بها ثم بالنصر الذى يتحقق مدلوله بحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليب عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان حقه بإظهار أن كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها (وأتيناهما) بعد ذلك (الكتاب المستبين) أى البليغ فى البيان ١١٧ والتفصيل وهو التوراة (وهديناهما) بذلك (الصراط المستقيم) الموصول إلى الحق والصواب بما فيه ١١٨ من تفاصيل الشرائع وتفاصيل الأحكام (وتركنا عليهما فى الآخرين) (سلام على موسى وهرون) أى ١٢٠، ١١٩ أبقينا فيما بين الأمم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل (إنا كذلك) الجزاء الكامل (نجزى المحسنين) ١٢١ الذين هما من جملتهم لاجزاء قاصر أعنه (إنهما من عبادنا المؤمنين) سبق بيانه (وإن إلياس لمن ١٢٢ المرسلين) هو إلياس بن ياسين من سبط هرون أخى موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل لإدريس لأنه قرى مكانه لإدريس وإدريس قرى وإيليس قرى إلياس بحذف الهمزة (إذ قال لقومه ألا تتقون) ١٢٤ أى عذاب الله تعالى (أتدعون بعلا) أتعبدون وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لأهل بك من ١٢٥ الشام وهو البلد المعروف اليوم بيبعلبك قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتتوا به وعظموه حتى أخذموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن أى أتعبدون بعض البعول (وتذرون •

٣٧ الصفات

اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿١٢٦﴾

٣٧ الصفات

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾

٣٧ الصفات

إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾

٣٧ الصفات

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾

٣٧ الصفات

سَلَّمَ عَلَى آلِ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾

٣٧ الصفات

إِنَّا كَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾

٣٧ الصفات

إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

٣٧ الصفات

وَإِنَّ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾

٣٧ الصفات

إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾

٣٧ الصفات

إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾

٣٧ الصفات

ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾

أحسن الخالقين) أى وتركون عبادته وقد أشير إلى المقتضى للإنكار المعنى بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى (الله ربكم ورب آبائكم الأولين) بالنصب على البدلية من أحسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض لذكر ربوبيته تعالى لا بائهم لنا كيد إنكار تركهم عبادته تعالى والإشعار ببطان آراء آبائهم ١٢٧ أيضاً (فكذبوه فإنهم) بسبب تكذيبهم ذلك (لمحضرون) أى العذاب والإطلاق للاكتفاء بالقرائن ١٢٨ على أن الإحضار المطلق مخصوص بالشر عرافاً (إلا عباد الله المخلصين) استثناء من ضمير محضرون ١٢٩، ١٣٠ (وتركنا عليه في الآخرين سلام على ياسين) هو لغة في إلباس كسيناء في سدين وقيل هو جمع له أريد به هو وأتباعه كالمهلبيين والحنبيين وفيه أن العلم إذا جمع يجب تعريفه كالمثالين وقرئ بإضافة آل ١٣١، ١٣٢ إلى ياسين لأنهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين أبا إلباس (إنا كذلك نجزي المحسنين) إنه ١٣٣، ١٣٤ (من عبادنا المؤمنين) مر تفسيره (وإن لوطاً لمن المرسلين إذ نجيناه) أى اذكر وقت تنجيننا إياه ١٣٥، ١٣٦ (وأهله أجمعين إلا عجوزاً في الغابرين) أى الباقيين في العذاب أو الماضين الهالكين (ثم دمرنا الآخرين) فإن في ذلك شواهد على جليلة أمره وكونه من جملة المرسلين.

٢٧ الصافات	وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾
٢٧ الصافات	وَبِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾
٢٧ الصافات	وَإِنْ يُونُسَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾
٢٧ الصافات	إِذْ أَتَى إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾
٢٧ الصافات	فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾
٢٧ الصافات	فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾
٢٧ الصافات	فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾
٢٧ الصافات	لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾
٢٧ الصافات	فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾

(وإنكم) يا أهل مكة (تمرون عليهم) على منازلهم في متاجرهم إلى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فإن ١٣٧
 سدوم في طريق الشام (مصبحين) داخلين في الصباح (وبالليل) أي ومساء أو نهاراً وليلاً ولعلها وقعت ١٣٨
 بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحاً والقاصد له مساء (أفلا تعقلون) أن شاهدون ذلك فلا تعقلون
 حتى تعتبروا به وتحافوا أن يصيبكم مثل ما أصابهم (وإن يونس لمن المرسلين) وقرى بكسر النون ١٣٩
 (إذ أتى) أي هرب وأصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه ١٤٠
 (إلى الفلك المشحون) أي المملوء (فساهم) فقارع أهله (فكان من المدحضين) فصار من المغلوبين بالقرعة ١٤١
 وأصله المزلق عن مقام الظفر روى أنه عليه الصلاة والسلام لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل
 أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا فيها عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا
 الآبق ورمى بنفسه في الماء (فالتقمه الحوت) فابتلعه من اللقمة (وهو ملِيم) داخل في الملامة أو آت بما ١٤٢
 يلام عليه أو ملِيم نفسه وقرى ملِيم بالفتح مبنياً من ليم ككشيب في مشوب (فلولا أنه كان من المسبحين) ١٤٣
 إذا كثر من الله كثيراً بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وهو قوله لا إله إلا أنت سبحانه إني كنت
 من الظالمين وقيل من المصلين فإنه عليه الصلاة والسلام كان كثير الصلاة في الرخاء (للبث في بطنه إلى يوم ١٤٤
 يبعثون) حياً وقيل ميتاً وفيه حث على كثار الذكر وتعظيم شأنه ومن أقبل عليه في السراء أخذ بيده
 عند الضراء (فنبدناه بالعراء) بأن حملنا الحوت على أنفذه بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر أو نبت روى ١٤٥

٣٧ الصافات

وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾

٣٧ الصافات

وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾

٣٧ الصافات

فَعَامَنُوا فَسَعَيْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

٣٧ الصافات

فَاسْتَفْتَيْهِمَ الرِّبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾

أن الحوت سار مع السفينة رافعاً رأساً يتنفس فيه يونس عليه السلام ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالماً لم يتغير منه شيء فأسلموا وروى أن الحوت قذفه بساحل قرية من الموصل واختلف في مقدار لبثه ف قيل أربعون يوماً وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث إلا قليلاً ثم أخرج من بطنه بعد الوقت الذي التقم فيه روى عطاء أنه حين ابتلعه أوحى الله تعالى إلى الحوت إني جعلت بطنك له سجنًا ولم أجعله لك طعاماً (وهو سقيم) مما ناله قيل صار بدنه كبطن الطفل حين يولد (وأنبتنا عليه) أي فوقه مظلة عليه (شجرة من يقطين) وهو كل ما ينبت على الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقنا والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به والأكثرون على أنه الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله ﷺ إنك تحب القرع قال أجل هي شجرة أخى يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطي بورقه واستظل بأغصانه وأفطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت ولة تختلف إليه فيشرب من لبنها (وأرسلناه إلى مائة ألف) هم قومه الذين هرب منهم وهم أهل نينوى والمراد به إرساله السابق أخبر أولاً بأنه من المرسلين على الإطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل إلى أمة حجة وكان توسط تذكير وقت هربه إلى الفلك وما بعده بينهما لتذكير سببه وهو ماجرى بينه عليه الصلاة والسلام وبين قومه من إنذاره إياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعلمهم وتعليقهم لإيمانهم بظهور أماراته كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم أن إيمانهم الذي سيحكي بعد لم يكن عقيب الإرسال كما هو المتبادر من ترتيب الإيمان عليه بالفناء بل بعد الالتيا والتي وقيل هو إرسال آخر إليهم وقيل إلى غيرهم وليس بظاهر (أو يزيدون) أي في مرأى الناظر فإنه إذا نظر إليهم قال إنهم مائة ألف أو يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو (فآمنوا) أي بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب إيماناً خالصاً (فتمنهم) أي بالحياة الدنيا (إلى حين) قدره الله سبحانه لهم قيل ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع وأولى العزم من الرسل أو اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة (فاستفتهم) أمر الله عز وجل في صدر السورة الكريم برسوله ﷺ بتبكيك قريش وإبطال مذهبهم في إنكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحقيقه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فتون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر أنه قد ضل من قبلهم أكثر الأولين

٣٧ الصافات

أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْسَانًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾

٣٧ الصافات

أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾

٣٧ الصافات

وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾

٣٧ الصافات

أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

وأنه تعالى أرسل إليهم منذرين على وجه الإجمال ثم أورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبيناً في كل قصة منها أنهم من عباده تعالى واصفاً لهم تارة بالإخلاص وأخرى بالإيمان ثم أمره ﷺ ههنا بتبكيتهن بطريق الاستفتاء عن وجه أمر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائف حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الأمر على ما سبق من كون أولئك الرسل الذين هم أعلام الخلق عليهم الصلاة والسلام عباده تعالى فإن ذلك مما يؤكد التبكيته ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهن بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم إناثاً ثم أبطل أصل كفرهم المنطوي على هذين الكافرين وهو نسبة الولد إليه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ولم ينظمه في سلك التبكيته لمشاركتهم النصارى في ذلك أى فاستخبرهم (أربك البنات) اللاتي هن أوضاع الجنسين (ولهم البنون) الذين هم أرفعهم فإن ذلك مما لا يقول به من له أدنى شيء من العقل وقوله تعالى (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِناثاً) ١٥٠ إضراب وانتقال من التبكيته بالاستفتاء السابق إلى التبكيته بهذا كما أشير إليه أى بل أخلقنا الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق وأبعدهم من صفات الأجسام وذائل الطبائع إناثاً والآنوثة من أخس صفات الحيوان وقوله تعالى (وهم شاهدون) استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى أشهدوا خلقهم وقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم فإن أمثال هذه الأمور لا تعلم إلا بالمعاينة إذ لا سبيل إلى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد أن يكون القائل بأنوثتهم شاهداً عند خلقهم والجملة إما حال من فاعل خلقنا أى بل أخلقناهم إناثاً والحال أنهم حاضرون حينئذ أو عطف على خلقنا أى بل أخلقناهم شاهدون وقوله تعالى (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ) استئناف ١٥٢ من جهة غير داخل تحت الأمر بالاستفتاء مسوق لإبطال أصل مذهبهم الفاسد ببيان أن مبناه ليس إلا الإفك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة قطعاً (وإنهم لكاذبون) في قولهم ذلك كذباً بيناً لا ريب فيه وقرئ ولداً لله على أنه خبر مبتدأ محذوف أى الملائكة ولده تعالى عن ذلك علواً كبيراً فإن الولد فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (أصطفى البنات على ١٥٣ البنين) إثبات لإفكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لأمريين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء أخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام

٣٧ الصافات

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾

٣٧ الصافات

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾

٣٧ الصافات

أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾

٣٧ الصافات

فَاتُوا بِكُتُبِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾

٣٧ الصافات

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾

ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول أى لكاذبون فى قولهم أصطفى
 ١٥٤، ١٥٥ الخ تعسف بعيد (مالك كيف تحكمون) بهذا الحكم الذى يقضى بطلانه بديهة العقل (أفلا
 تذكرون) بحذف إحدى التامين من تذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر أى
 ١٥٦ ألا تلاحظون ذلك فلا تذكرون بطلانه فإنه مركز فى عقل كل ذكى وغبي (أم لكم سلطان مبين)
 لاضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر إلى تبكيتهم بتكليفهم مالا يدخل تحت الوجود أصلا
 أى بل لكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة أن الحكم بذلك لا بدله من
 ١٥٧ سند حسى أو عقلى وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقل (فاتوا بكتبكم) الناطق بصحة دعواكم (إن
 كنتم صادقين) فيها وفى هذه الآيات من الأنباء عن السخط العظيم والإنكار الفظيع لا قاييلهم والاستبعاد
 الشديد لا باطيلهم وتسفيه أحلامهم وتركيب عقولهم وأفهامهم مع استهزاء بهم وتعجيب من جهلهم مالا
 ١٥٨ يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) التفات إلى الغيبة للإيدان بانقطاعهم
 عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم وتحكى جنائياتهم لآخرين
 والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبت من الجن ومردوكان شرأ كله فهو شيطان ومن
 طهر منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وإنما عبر عنهم بذلك الاسم وضعاً منهم وتقصيراً بهم مع عظم
 شأنهم فيما بين الخلق أن يبلغوا منزلة المناسبة التى أضافوها إليهم ليعلمهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات
 الله وإنما أعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) أى وبالله لقد علمت
 الجنة التى عظموها بأن جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة أن الكفرة لمحضرون النار معذبون بها الكذبهم
 واقتراثهم فى قولهم ذلك والمراد به المبالغة فى التكذيب ببيان أن الذين يدعى هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون
 أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم فى ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأجله حكما مؤكدا وقيل إن قوما
 من الزنادقة يقولون الله تعالى وإبليس إخوان قاله هو الخير الكريم وإبليس هو الشرير اللئيم وهو
 المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الإمام الرازى وهذا القول عندى أقرب الأقاويل
 وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن ويعبرون عنهما بالنور والظلمة وقال مجاهد قال قريش

٣٧ الصافات	سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾
٣٧ الصافات	إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ ﴿١٦٠﴾
٣٧ الصافات	فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾
٣٧ الصافات	مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتْنِينَ ﴿١٦٢﴾
٣٧ الصافات	إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾
٣٧ الصافات	وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾

الملائكة بنات الله فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه فمن أمهاتهم تسكيتاً لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينهم وبين الجنة نسباً جعلوا بينهم مناسبة حيث أشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الأقاويل يجوز أن يكون الضمير في إنهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين أن الله تعالى يحضرم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى أو شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم والوجه هو الأول فإن قوله (سبحان الله عما يصفون) حكاية لتنزيه الملائكة إياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم ١٥٩ لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى (إلا عباد الله المخلصين) شهادة منهم ببراءة المخلصين ١٦٠ من أن يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئهم منه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على أبلغ وجه وآكده على أنه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برءاء من ذلك الوصف وقوله تعالى (فإنكم وما تعبدون) (ما أنتم عليه بفاتنين) تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين بما ذكر ببيان ١٦١، ١٦٢ عجزهم عن إغرائهم وإضلالهم والالتفات إلى الخطاب لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين أغوهم وفيه إيدان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وأنتم خطاب لهم وللمعبودينهم تغليباً وعلى متعلقة بفاتنين يقال فتن فلان على فلان أمراته أى أفسدها عليه والمعنى فإنكم ومعبودكم أيها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى يافساد عباده وإضلالهم (إلا من هو صال الجحيم) منهم أى داخلها لعلمه تعالى بأنه يصير على الكفر بسوء اختياره ويصير من ١٦٣ أهل النار لا محالة وأما المخلصون منهم فأنتم بمعزل من إفسادهم وإضلالهم فهم لا جرم برءاء من أن يفتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على أنه جمع محمول على معنى من قد سقط واو الالتقاء الساكنين وقوله تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم) تبين لجلية أمرهم ١٦٤ وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك

٣٧ الصافات

وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾

٣٧ الصافات

وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾

٣٧ الصافات

وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾

٣٧ الصافات

لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾

٣٧ الصافات

لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾

٣٧ الصافات

فَكْفُرُوا بِهِ ۖ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

٣٧ الصافات

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾

٣٧ الصافات

إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾

وتبرئة المخلصين عنه وإظهار لقصور شأنهم وقهاتهم أى ومامننا إلا له مقام معلوم فى العباداة والانتها إلى أمر الله تعالى مقصور عليه لا يتجاوز ولا يستطيع أن يزىل عنه خضوعاً لعظمته وخشوعاً لهيبته وتواضعاً لجلاله كما روى فنههم را كع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس رضى الله عنهما ما فى السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلى أو يسبح وروى أنه ﷺ قال أطت السماء وحق لها أن تظلم والذى نفسى بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى وقال السدى إلا له مقام معلوم فى القربة والمشاهدة (وإننا نحن الصافون) فى مواقف الطاعة ومواطن الخدمة (وإننا نحن المسبحون) المقدسون لله سبحانه عن كل مالا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لإبراز أن صدوره عنهم بحال الرغبة والنشاط هذا هو الذى تقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر فى تفسير ١٦٧ الآيات الكريمة وإعرا بها وجوه آخر فتأمل والله الموفق (وإن كانوا ليقولون) إن هى الخففة من الثقلية ١٦٨ وخمير الشأن محذوف واللام هى الفارقة أى إن الشأن كانت قریش تقول (لو أن عند ذكرأ من الأولين) ١٦٩ أى كتاباً من كتب الأولين من التوراة والإنجيل (لكننا عباد الله المخلصين) أى لاخلصنا العباداة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءنا نذير لنكونن أهدي من إحدى الأمم والفاء فى قوله ١٧٠ تعالى (فكفروا به) فصيحة كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أى لجأهم ذكر وأى ذكر سيد الأذكار وكتاب مهيم على سائر الكتب والأسفار فكفروا به (فسوف يعلمون) أى طاقبة ١٧١ كفرهم وغائلته (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) استئناف مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية ١٧٢ الاعتناء بتحقيق مضمونه أى وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبا هو قوله تعالى (إنهم

٣٧ الصافات

وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَلَبُونَ ﴿١٧٣﴾

٣٧ الصافات

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾

٣٧ الصافات

وَأَبْصَرُهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴿١٧٥﴾

٣٧ الصافات

أَفْبَعْدَآبِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾

٣٧ الصافات

فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾

٣٧ الصافات

وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾

٣٧ الصافات

وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴿١٧٩﴾

لهم المنصورون وإن جندنا) وهم أتباع المرسلين (لهم الغالبون) على أعدائهم في الدنيا والآخرة ولا يقدر في ذلك انهم في بعض المشاهد فإن قاعدة أمرهم وأساسه الظفر والنصرة وإن وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرىء على عبدنا بضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع أنها كلمات لا تنظامها في معنى واحد وقرىء كلماتنا (فتول عنهم) فأعرض عنهم واصبر (حتى حين) إلى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال ١٧٤ وقل يوم بدر وقل يوم الفتح (وأبصرهم) على أسوأ حال وأفظع نكال حل بهم من القتل والأسر والمراد بالامر بأبصارهم الإيدان بغاية قربه كأنه بين يديه (فسوف يبصرون) ما يقع حينئذ من الأمور وسوف للوعيد دون التبعيد (أفبعدا بنا يستعجلون) روى أنه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل ١٧٦ (فإذا نزل بساحتهم) أى إذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيش قد هجمهم فأباخ بفنائهم بغنة فشن ١٧٧ عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرّة وقل المراد نزول رسول الله ﷺ يوم الفتح وقرىء نزل بساحتهم على إسناده إلى الجار والمجرور وقرىء نزل مبنياً للمفعول من التنزيل أى نزل العذاب (فساء صباح المنذرين) * فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحاً وإن وقعت ليلاً روى أن رسول الله ﷺ لما أت خيبر وكانوا خارجين إلى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا لمحمد والخيس ورجعهم إلى حصنهم فقال ﷺ الله أكبر خرب خيبر إنما إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين (فتول عنهم حتى حين) (وأبصرهم) ١٧٩ فسوف يبصرون) تسليّة لرسول الله ﷺ إثر تسليّة وتأكيّد لوقوع الميعاد غب تأكيّد مع ما في إطلاق الفعلين عن المفعول من الإيدان بأن ما يبصره ﷺ حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من أنواع المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقل أريد بالأول عذاب الدنيا والثاني عذاب الآخرة .

٣٧ الصافات

سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾

٣٧ الصافات

وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾

٣٧ الصافات

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

- ١٨٠ (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) تنزيهه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بمجانب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الأمور التي من جملتها ترك إنجاز الموهود على موجب كلمته السابقة لاسيما في حق رسول الله ﷺ كما ينفي عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن الترية والتكميل والمالكية الكلية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ أولا وإلى العزة ثانياً كأنه قيل سبحان من هو مربيك ومملك ومالك العزة والغلبة على الإطلاق عما يصفه المشركون به من الأشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى (وسلام على المرسلين) ١٨١ شريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وإيدان بأنهم سالمون عن كل المكروه ١٨٢ فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى (والحمد لله رب العالمين) إشارة إلى وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وإيدان باستتباعها للأفعال الجميلة التي من جملتها إفاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدينية وإسباغهم عليهم وعلى من تبعهم صنوف النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمدته تعالى وإشعار بأن ما وعده ﷺ من النصر والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رساله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات الدينية والدينية عليهم ولعل توسط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الإشعار بأن توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد . عن علي رضي الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الآوفي من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . عن رسول الله ﷺ من قرأ الصافات أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرى من الشرك وشهد له حافظه يوم القيامة أنه كان مؤمناً بالمرسلين .

٣٨ - سورة ص

(مكية وآياتها ثمان وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص ٣٨

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾

ص ٣٨

بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾

(سورة ص مكية وآياتها ثمان وثمانون آية)

- (بسم الله الرحمن الرحيم) (ص) بالسكون على الوقف وقرىء بالكسر والفتح لانتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح بإضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصباً بإضمار اذكر أو اقرأ لفتحها كما مر في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لأنها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتثنية على أنه اسم الكتاب أو التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر أمر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من الأجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وائته عن نواهيه وتخلق بأخلاقه ثم إن جعل اسماً للحرف مسروداً على منهاج التحدى أو الرمز إلى كلام مثل صدق الله أو صدق محمد كما نقل عن أكابر السلف أو اسماً للسورة خبراً لمبتدأ محذوف أو نصباً على إضمار اذكر أو اقرأ أو أمرأ من المصاداة قالوا في قوله تعالى (والقرآن ذى الذكر) للقسم وإن جعل مقسماً به فهي للعطف عليه فإن أريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وإن أريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسبة المباركة وأياً ما كان ففي التكرير مزيد تأكيدي لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك أو الذكري والموعظة أو ذكر ما يحتاج إليه في أمر الدين من الشرائع والأحكام وغيرها من أقاصيص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأخبار الأنبياء الدارجة والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الأول والرابع والخامس محذوف هو ما ينبي عنه التحدى والأمر والإقسام به من كون المتحدى به معجزاً أو كون المأمور به واجباً وكون المقسم به حقيقةً بالإعظام أى أقسم بالقرآن أو بصاد وبه لأنه لمعجز أو لواجب العمل به أو لتحقيق بالإعظام وأما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز إليه ونفس الجملة المذكورة قبل القسم فإن التسمية تنويه بشأن المسمى وتنبه على عظم خطره أى إنه لصادق والقرآن ذى الذكر أو هذه السورة عظيمة الشأن والقرآن الخ على طريقة قولهم هذا حاتم والله ولما كان كل واحد من هذه الأوجه منبئاً عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية إنباء بيناً كان قوله تعالى (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) إضراباً عن ذلك كأنه قيل لا ريب فيه قطعاً وليس عدم إذعان الكفرة له لشبهة ريب ما فيه بل هم في استكبار وحية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له

ص ٣٨

كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مَن قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَاتٍ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣٨﴾

ص ٣٨

وَيَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٣٩﴾

ص ٣٨

أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٤٠﴾

وقيل الجواب ما دل عليه الجملة الإضرابية أى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا الخ
 ٣ وقرىء فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم التنبيه له من مبادئ الإيمان ودواعيه (كم أهلكنا من قبلهم من
 قرن) وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما أصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول أهلكنا ومن
 قرن تمييز والمعنى وقرنا كثيرا أهلكنا من القرون الخالية (فنادوا) عند نزول بأسنا وحلول نعمتنا استغاثة
 وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى (ولات حين مناص) حال من ضمير نادوا أى نادوا واستغاثوا طلبا للنجاة
 والحال أن ليس الحين حين مناص أى فوت ونجاة من ناصه أى فاته لا من ناص بمعنى تأخر ولاهى المشبهة
 بليس زيدت عليها تاء التأنيت للتأكيد كما زيدت على رب وشم وخصت بنفى الأحيان ولم يبرز إلا أحد
 معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هى النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الأحيان وحين
 مناص منصوب على أنه اسمها أى ولا حين مناص لهم أو بفعل مضمر أى ولا أرى حين مناص وقرىء بالرفع فهو
 على الأول اسمها والخبر محذوف وأى وليس حين مناص حاصل لهم وعلى الثانى مبتدأ محذوف الخبر أى ولا
 حين مناص كما ن لهم وقرىء بالكسر كما فى قوله [طلبوا صلحنا ولات أو أن] فاجبتا أن لات حين بقاء
 إما لأن لات تجر الأحيان كما أن لولا تجر الضمائر فى نحو قوله [لولاك هذا العام لم أحج] أو لأن أو أن
 شبه بإذ فى قوله [نهيتك عن طلبك أم عمرو] بعافية وأنت إذ صحيح فى أنه زمان قطع منه المضاف إليه
 وعوض التنوين لأن أصله أو أن صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا لقطع المضاف إليه من مناص
 إذ أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم بنى الحين لإضافته إلى غير
 متمكن وقرىء لات بالكسر كجبر ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالآسماء والبصريون بالتاء كالأفعال
 وما قيل من أن التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الإمام مالا وجه له فإن خط المصحف خارج عن القياس
 ٤ (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) حكاية لا باطيلهم المتفرعة على ما حكى من استكبارهم وشقاقهم أى عجبوا
 من أن جاءهم رسول من جنسهم بل أدون منهم فى الرياسة الدنيوية والمال على معنى أنهم عدوا ذلك أمرا
 عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وأنكروه أشد الإنكار لا أنهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه (وقال
 الكافرون) وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وإيذانا بأنه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه
 إلا المتوغلون فى الكفر والفسوق (هذا ساحر) فيما يظهره من الخوارق (كذاب) فيما يسند إلى الله
 ٥ تعالى من الإرسال والإنزال (أجعل الآلهة إلها واحدا) بأن نفى الألوهية عنهم وقصرها على واحد
 (إن هذا لشيء عجاب) بليغ فى العجب وذلك لأنه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين أجمعوا على ألوهيتهم

وَأَنْطَلِقَ أَمَلًا مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦٨﴾

ص ٣٨

مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿٦٩﴾

ص ٣٨

وواظبوا على عبادتهم كابرأ عن كابر فإن هذا مدار كل ما يأتون وما يذرون من أمور دينهم هو التقليد والاعتقاد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيباً بل محالاً وأما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالأشياء الكثيرة فلا وجه له لما أنهم لا يدعون أن لأهتهم علماً وقدرة ومدخلا في حدوث شيء من الأشياء حتى يلزم من نفي ألوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرىء بحباب بالشديد وهو أبغ ككرام وكرام روى أنه لما أسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وقد جئناك لنقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر رسول الله ﷺ وقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال ﷺ ماذا تسألوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكراً آلهتنا وندعك وإلهك فقال ﷺ أرايتم إن أعطيتكم ما سألتكم أمعطى أتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرأ فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا ذلك (وانطلق الملائمة) أى وانطلق الأشراف من قريش عن مجلس أبى طالب بعد ما بكتهم رسول الله ﷺ بالجواب العتيد وشاهدوا اتصاله ﷺ فى الدين وعزيمته على أن يظهره على الدين كله ويذهبوا مما كانوا يرجونه بتوسط أبى طالب من المصالحة على الوجه المذكور (أن أمشوا) أى قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة أمشوا (واصبروا على آلهتكم) أى واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعون فى حقها من القدح وأن هى المفسرة لأن الانطلاق عن مجلس التقاؤل لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وأمشوا من مشت المرأة إذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل أى اجتمعوا وكثروا وقرىء أمشوا بغير أن على إضمار القول وقرىء يمشون أن اصبروا (إن هذا لشيء يراد) تعليل للأمر بالصبر أو لوجوب الامتثال به أى هذا الذى شاهدناه من محمد ﷺ من أمر التوحيد ونفى آلهتنا وإبطال أمرها لشيء يراد أى من جهته ﷺ إضماؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا طائف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو امتنان فاقطعوا أطهاكم عن استنزاله من رأيه بوساطة أبى طالب وشفاعته وحسبكم أن لاتمنعوا من عبادة آلهتكم بالسكينة فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعون فى حقها من القدح وسوء القالة وقيل إن هذا الأمر لشيء يريد به الله تعالى ويحكم بإمضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر وقيل إن هذا الأمر لشيء من نواب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل إن دينكم لشيء يراد أى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل إن هذا الذى يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشيء يتمنى ويريد به كل أحد فتأمل فى هذه الأقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل (ما سمعنا بهذا) الذى يقوله (فى الملة الآخرة) أى الملة النصرانية التى هى آخر الملل فإنهم مثلثة أو فى الملة التى

أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدْعُونَ عَذَابَ ﴿٣٨﴾

أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٣٩﴾

أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿٤٠﴾

جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴿٤١﴾

- أدركنا عليها آباءنا ويجوز أن يكون الجار والمجرور حالا من هذا أى ماسمعنا بهذا من أهل الكتاب ولا الكهان كائنات في الملة المنقرضة ولقد كذبوا في ذلك أقبح كذب فإن حديث البعثة والنوحيد كان أشهر الأمور قبل الظهور (إن هذا) أى ما هذا (إلا اختلاق) أى كذب اختلقه (أنزل عليه الذكر) أى القرآن (من بيننا) ونحن رؤساء الناس وأشرفهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ومرداهم إنكار كونه ذكر أمزلا من عند الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا إليه وأمثال هذه المقالات الباطلة دليل على أن مناط تكذيبهم ليس إلا الحسد وقصر النظر على الحطام النبوى (بل هم في شك من ذكرى) أى من القرآن أو الوحى لميلهم إلى التقليد وإعراضهم عن النظر في الأدلة المؤدية إلى العلم بحقيقته وليس في عقيدتهم ما يثبتون به فهم مذبذبون بين الأوهام ينسبونه تارة إلى السحر وأخرى إلى الاختلاق (بل لما يدعوا عذاب) أى بل لم يدعوا بعد عذابى فإذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفى لما دلالة على أن ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى أنهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يدعوا عذابى الموعود فى القرآن ولذلك شكوا فيه (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) بل أعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاءون حتى يصيبوا بها من شاءوا ويصرفوها عن شاءوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنوبة بعض صناديدهم والمعنى أن النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فإنه العزيز أى الغالب الذى لا يغالب الوهاب الذى له أن يهب كل ما يشاء لكل من يشاء وفى إضافة اسم الرب المنبئ عن النبية والتبليغ إلى الكمال إلى ضميره ﷺ من تشريفه واللفظ به مالا يخفى وقوله تعالى (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) ترشيح لما سبق أى بل لهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا فى الأمور الربانية ويتحكموا فى الندائير الإلهية التى يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى (فليرتقوا فى الأسباب) جواب شرط محذوف أى إن كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا فى المعارج والمناهج التى يتوصل بها إلى العرش حتى يستروا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحى إلى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم مالا غاية وراءه والسبب فى الأصل هو الوصلة وقيل المراد بالأسباب السموات لأنها أسباب الحوادث السفلية وقيل أبوابها (جند ما هنالک مهزوم من الأحزاب) أى هم جند مامن الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكثرت بما يهدون وما مزيدة للتقليل والتحقير

- كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾
 وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾
 إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ حَقَّ عِقَابٍ ﴿١٤﴾

نحو قولك أكلت شيئاً ما وقيل للتعظيم على الهزء، وهنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد) الخ استئناف مقرر ١٢
 لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من جنودهم ما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الأوتاد معناه ذو الملك الثابت أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاد فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الأمر قال الأسود بن يعفر [واقعد غنوا فيها بأنعم عيشة في ظل ملك ثابت الأوتاد] أو ذو الجروع الكثيرة سموا بذلك لأن بعضهم يشد بعضاً كالوتد يشد البناء وقيل نصب أربع سوار وكان يمد يدي الممذب ورجليه إليها ويضرب عليها أوتاداً ويتركه حتى يموت وقيل كان يمد بين أربعة أوتاد في الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه (وتمود وقوم ١٣
 لوط وأصحاب الأيكة) أصحاب الغيضة من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى (أولئك الأحزاب) إما بدل من الطوائف المذكورة كما أن ذلك الكتاب بدل من الم على أحد الوجوه وفيه فضل تأكيدي وتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى (إن كل إلا كذب الرسل) استئناف جوي به تقريراً ١٤
 لتكذيبهم وبياناً لكيفيته وتمهيداً لما يعقبه أي ما كل أحد من آحاد أولئك الأحزاب أو ما كل حزب منهم كذب الرسل لأن تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعاً لا نفاق الكل على الحق وقيل ما كل حزب إلا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وأياً ما كان فالاستثناء مفرغ من أعم العلل في خبر المبتدأ أي ما كل أحد منهم محكوم عليه بحكم إلا محكوم عليه بأنه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبر عنه بخبر إلا مخبر عنه بأنه كذب الرسل وفي إسناد التكذيب إلى الطوائف المذكورة على وجه الإبهام أولاً والإيذان بأن كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانياً وتبين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثة أفنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأفضله ولذلك رتب عليه قوله تعالى (حق عقاب) أي ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت توجهه جنابهم من أصناف العقوبات المفصلة في مواضعها وإما بالمبتدأ وقوله تعالى إن كل إلا كذب الرسل خبره بخبر المائد أي إن كل منهم الخ والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكداً لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على أنهم الذين جعل الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبر والمعنى أن الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وأنهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر وأما ما قبل من أنه خبر والمبتدأ قوله تعالى وعاد الخ أو قوله وقوم لوط الخ فما يجب تنزيهه ساحة التنزيل عن أمثاله .

٣٨ ص

وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَبِيحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهُمْ مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾

٣٨ ص

وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

٣٨ ص

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾

- ١٥ (وما ينظر هؤلاء) شروع في بيان عقاب كفار مكة إثر بيان عقاب أضرابهم من الأحزاب الذين أخبر فيما سبق بأنهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فإن ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه إلى بيانه قطعاً وفي الإشارة إليهم بهؤلاء تحقير لشأهم وتهوين لآمرهم وأما جعله إشارة إلى الأحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر أو حضورهم في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال أصلاً كيف لا ولا انتظار سواء كان حقيقة أو استهزاء إنما يتصور في حق من لم يترتب على أعماله نتائجها بعد وبعد ما بين عقاب الأحزاب واستئصالهم بالمرء لم يبق ما أريد بيانه من عقوباتهم أمر منتظر وإنما الذين في مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظام الجرائم وكبار الجرائم الموجبة لأشد العقوبات مثل ما ارتكب الأحزاب أو أشد منه ولما يلاقوا بعد شيئاً من غوائلها أي وما ينظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف المهلكة في الكفر والتكذيب (إلا صبيحة واحدة) هي النفخة الثانية لا بمعنى أن عقابهم نفسها بما فيها من الشدة وال هول فإنها داهية يعم هولها جميع الأمم برها وقا جر ها بل بمعنى أنه ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من العقاب الفطيع إلا هي حيث أخرت عقوباتهم إلى الآخرة لما أن تعذبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه والنبي ﷺ بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ما قيل من أنها النفخة الأولى فيما لا وجه له أصلاً لما أنه لا يشاهد هولها ولا يصعق بها إلا من كان حياً عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعاً عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخر إليها بل يحل بهم من حين موتهم (مالها من فواق) أي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى (وقالوا ربنا عجل لنا قطنًا قبل يوم الحساب) حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنًا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصبيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطعه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله ﷺ وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور الإيمعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكال الرغبة والابتهاال (أصبر على ما يقولون) من أمثال هذه المقالات الباطلة (واذكر) لهم (عبدنا داود) أي قصته تهويلاً لآمر المعصية في أعينهم وتنبيهاً لهم على كمال قبح ما جرتوا عليه من المعاصي فإنه ﷺ مع علو شأنه واختصاصه بعظام النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن منزلته ووبختته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تظن فاستغفر ربه وأتاب ووجد منه ما يحكي من بكائه الدائب وغمه الواصب وندمه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الأذلين
- ١٦ (وقالوا ربنا عجل لنا قطنًا قبل يوم الحساب) حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنًا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصبيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطعه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله ﷺ وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور الإيمعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكال الرغبة والابتهاال (أصبر على ما يقولون) من أمثال هذه المقالات الباطلة (واذكر) لهم (عبدنا داود) أي قصته تهويلاً لآمر المعصية في أعينهم وتنبيهاً لهم على كمال قبح ما جرتوا عليه من المعاصي فإنه ﷺ مع علو شأنه واختصاصه بعظام النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن منزلته ووبختته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تظن فاستغفر ربه وأتاب ووجد منه ما يحكي من بكائه الدائب وغمه الواصب وندمه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الأذلين
- ١٧ (وقالوا ربنا عجل لنا قطنًا قبل يوم الحساب) حكاية لما قالوه عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة أي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنًا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدؤه الصبيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطعه إذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لأنها قطعة من القرطاس وقد فسر بها أي عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله ﷺ وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور الإيمعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكال الرغبة والابتهاال (أصبر على ما يقولون) من أمثال هذه المقالات الباطلة (واذكر) لهم (عبدنا داود) أي قصته تهويلاً لآمر المعصية في أعينهم وتنبيهاً لهم على كمال قبح ما جرتوا عليه من المعاصي فإنه ﷺ مع علو شأنه واختصاصه بعظام النعم والكرامات لما ألم بصغيرة نزل عن منزلته ووبختته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تظن فاستغفر ربه وأتاب ووجد منه ما يحكي من بكائه الدائب وغمه الواصب وندمه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الأذلين

ص ٣٨

إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسِخِّنُ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾

ص ٣٨

وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾

ص ٣٨

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخُطَابَ ﴿٢٠﴾

من كل دليل المرتكبين لا كبر الكبار المصيرين على أعظم المعاصي أو تذكرة قصته عليه الصلاة والسلام وصن نفسك أن تزل فيها كلفت من مصابرتهم وتحمل أذيتهم كيلا يلقاك مالم يقبه من المعاتبة (ذا الأيد)
 أى ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد بمعنى وأباد كل شئ مما يتقوى به (إنه أواب) رجاع إلى مرضاة الله تعالى وهو لتعليل لكونه ذا الأيد ودليل على أن المراد به القوة في الدين فإنه عليه الصلاة والسلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل (إننا سخرنا الجبال معه) استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين ١٨
 وأوايته إلى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وإيثارها على اللام لما أشير إليه في سورة الأنبياء من أن تسخير الجبال له عليه الصلاة والسلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلى فيها إليه عليه الصلاة والسلام كنتسخير الريح وغيرها لسلطان عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه الصلاة والسلام والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها وهو أقرب بالنسبة إلى ما في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (يسبحن) أى يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له أو يخلق الله تعالى فيها الكلام أو بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات الدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال واستئناف مبين لكيفية التسخير (بالعشى والإشراق) أى ووقت الإشراق وهو حين تشرق أى تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ رضى الله عنها أنه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الإشراق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية (والطير) عطف على الجبال (محشورة) ١٩
 حال من الطير والعامل سخرنا أى وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس رضى الله عنهما كان إذا سبج جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرىء والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية (كل له أواب) استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه إجمالا من تسبيح الطير أى كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجاع إلى التسبيح ووضع الأواب موضع المسبوح إما لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لأنه يرجع إلى فعله رجوعا بعد رجوع وإما لأن الأواب هو الثواب الكثير الرجوع إلى الله تعالى ومن دأبه إكثار الذكر وإدامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وجل أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ٢٠ ملكه) قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرىء بالتشديد للبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحى الله تعالى إليه فى المنام أن اقتل المدعى عليه فتأخر فأعيد الوحي فى اليقظة فأعلمه الرجل فقال إن الله تعالى لم يأخذنى

٣٨ ص

وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾

إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَنَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا

٣٨ ص

بِالْحَقِّ وَلَا تَسْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾

بهذا الذنب ولكن بأنى قتلت أبا هذا غيلة فقال الناس إن أذنب أحد ذنباً أظهره الله تعالى عليه فقتله فها به وعظمت هيئته في القلوب (وآتينا الحكمة) النبوة وكمال العلم وإتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة (وفصل الخطاب) أى فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل أو الكلام الملتصق الذى ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قدر وعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والإظهار والإضمار والحذف والتكرار وإنما سمى به أما بعد لأنه يفصل المقصود عما سبق تمهيداً له كالحمد والصلاة وقيل هو الخطاب الفصل الذى ليس فيه إيجاز غل ولا أطناب بل كما جاء فى نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر (وهل أتاك نبأ الخصم) استفهام معناه التعجب والتشويق إلى استماع ما فى حيزه لإيداعه بأنه من الأنبياء البديعة التى حقها أن تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم فى الأصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد وما فوقه كالضيف ومعنى خصمان فريقان (إذ تسوروا المحراب) إذ تصعدوا سوره ونزلوا إليه والسور الحائط المرتفع ونظيره أسنمه إذا علا سنامه وتذراه إذا علا ذروته وإذ متعلقة بمحذوف أى نبأ تحاكم الخصم إذ تسوروا أو بالنبا على أن المراد به الواقع فى عهد داود عليه السلام وأن إسناده الإتيان إليه على حذف مضاف أى قصة نبأ الخصم أو بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باقى لأن إتيانه الرسول ﷺ لم يكن حينئذ وقوله تعالى (إذ دخلوا على داود) بدل مما قبله أو ظرف لتسوروا (ففرع منهم) روى أنه تعالى بعث إليه ملكين فى صورة إنسانين قيل هما جبريل وميكائيل عليهما السلام فطلبيا أن يدخل عليهما فوجداه فى يوم عبادته فنهما الحرس فتسورا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر إلا وهما بين يديه جالسان ففرع منهم لأنهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله فى غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس رضى الله عنهما إن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوماً للعبادة ويوماً للقضاء ويوماً للاشتغال بخاصة نفسه ويوماً للوعظ والتذكير (قالوا) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه الصلاة والسلام كأنه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه فقيل قالوا إزالة لفزعه (لا تخف خصمان) أى نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصماً (بغى بعضنا على بعض) هو على الفرض وقصد التعرض فلا كذب فيه (فاحكم بيننا بالحق ولا تسطط) أى لا تمهر فى الحكومة وقرئ ولا تسطط أى لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تسطط وكلها من معنى السطط وهو مجاوزة الحدود وتخطى الحق (واهدينا إلى سواء الصراط) إلى وسط طريق الحق بزجر الباغى هما سلكه من طريق الجور وإرشاده إلى منهاج العدل .

إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ٣٨ ص
 قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ ۖ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
 بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۖ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ
 رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ٣٨ ص

- (إن هذا أخى) استئناف لبيان مافيه الخصومة أى أخى فى الدين أو فى الصحبة والتعرض لذلك تمهيد ٢٣
 لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه (له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) هى الأنثى من الضأن وقد يكنى
 بها عن المرأة والكناية والتعريض أبلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر الهمزة
 وقرئ ولى نعجة بسكون الياء (فقال أكفلنيها) أى ملكنيها وحقيقته اجمعنى أكفلها كما أكفل ماتحت
 يدى وقيل اجمعها كفى أى نصبى (وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى فى مخاطبته لإيادى محاجة بأن جاء بمحاج
 لم أقدر على رده أو فى مغالبتة لإيادى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو مخاطبته خطاباً أى غالبى
 فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى أى غالبى وعزنى بتخفيف الزاى طالباً للنفقة وهو
 تخفيف غريب كأنه قيس على ظلت ومست (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) جواب قسم ٢٤
 محذوف قصد به عليه الصلاة والسلام المبالغة فى إنكار فعل صاحبه وتهجين طامعه فى نعجة من ليس له
 غيرها مع أن له قطعاً منها ولعله عليه الصلاة والسلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه أو بناء
 على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر يالى لتضمنه معنى
 الإضافة والضم (وإن كثيراً من الخُلَطَاءِ) أى الشركاء الذين خلطوا أموالهم (ليبغى) ليتعدى وقرئ
 بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها وبجذف الياء اكتفاء بالكسرة (بعضهم على بعض) غير مراعاة
 يلحق الصحبة والشركة (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) منهم فإنهم يتحامون عن البغى والعدوان
 (وقيل مام) أى وهم قليل وما مزيدة للإيهام والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض (وظن داود أنما فتناه)
 الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة الظاهرة أى علم بما جرى فى مجلس الحكومة وقيل لما
 قضى بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك ثم صعدا إلى السماء حيال وجهه فعلم عليه الصلاة والسلام أنه
 تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه الصلاة والسلام دون غيره بتوجيه القصر المستفاد
 من كلمة إنما إلى المفعول بالقياس إلى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر إلى
 متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والإثبات فيها كما فى مثل قولك إنما ضربت زيداً وإنما ضربته
 تأديباً بل على تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام بالفتنة بتوجيه القصر إلى نفس الفعل بالقياس إلى ما يغايره
 من الأفعال لكن لا باعتبار النفي والإثبات معاً فى خصوصية الفعل فإنه غير ممكن قطعاً بل باعتبار النفي فيما فيه
 من معنى مطلق الفعل واعتبار الإثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فإن كل فعل من الأفعال المخصوصة ينحل

عند التحقيق إلى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل وإلى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو أثره في الحقيقة
 فإن معنى نصر مثلاً فعل النصر يرشدك إلى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع بفعل الإعطاء والمنع فورد
 القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي فيه والإثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود عليه السلام
 أنما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة أورياً وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل ينتبه بها لما قصد منها
 وإثارة طريق التمثيل لأنه أبلغ في التوبيخ فإن التأمل فيه إذا أداه إلى الشعور بما هو الغرض كان أوقع
 في نفسه وأعظم تأثيراً في قلبه وأدعى إلى التنبه للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمة عليه الصلاة والسلام
 بترك المجاهرة والإشعار بأنه أمر يستحي من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لإلجائه عليه الصلاة
 والسلام إلى التصريح بنسبة نفسه إلى الظلم وتنبهه عليه الصلاة والسلام على أن أورياً بصدد الخصام
 • (فاستغفر ربه) (إثر ما علم أن ما صدر عنه ذنب) (وخر راكعاً) (أى ساجداً على تسمية السجود ركوعاً
 • لأنه مبدؤه أوخر للسجود راكعاً أى مصلياً كأنه أحرم بركعتي الاستغفار (وأناب) أى رجع إلى الله
 تعالى بالتوبة . وأصل القصة أن داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له أورياً فقال قلبه إليها فسأله
 أن يطلقها فاستحي أن يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان عليه السلام وكان ذلك جائزاً في شريعته
 معتاداً فيها بين أمته غير غل بالمرءة حيث كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا
 أعجبته وقد كان الانصار في صدر الإسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير تكبير خلا أنه عليه
 الصلاة والسلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغى له أن يتعاطى
 ما يتعاطاه آحاد أمته ويسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نساءه بل
 كان يجب عليه أن يقالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن أورياً تزوجها بل كان خطبها
 ثم خطبها دواود عليه السلام فآثره عليه السلام أهلها فكان ذنبه عليه الصلاة والسلام أن خطب على خطبة
 أخيه المسلم هذا وأما ما يذكر من أنه عليه الصلاة والسلام دخل ذات يوم محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي
 ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب فديده ليأخذها لابن صغير له
 فطارت فامتد إليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهى
 امرأة أورياً وهو من غزاة البلقاء فكتب إلى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أورياً
 وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد ففتح الله
 تعالى على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل وأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء
 وتزوج امرأته فإفك مبتدع مكروه ومكر مخترع بثسما مكروه تجمعه الأسماع وتفرغ عنه الطباع ويل لمن ابتدعه
 وأشاعه وتبأ لمن اخترعه وأذاعه ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على
 ما يرويه القصاص جلده مائة وستين وذلك حد القرية على الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم هذا
 وقد قيل إن قوماً قصدوا أن يقتلوه عليه الصلاة والسلام فقتلوا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا
 عنده أقواماً فتصنعوا بهذا التحاكم فلم عليه الصلاة والسلام غرضهم فهم بأن ينتقم منهم فظن أن ذلك
 ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه عمام به وأناب .

فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ ٢٨ ص

يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ٣٨ ص
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ

النَّارِ ﴿٢٧﴾ ٣٨ ص

- (فغفرنا له ذلك) أى ما استغفر منه وروى أنه عليه الصلاة والسلام بقى ساجداً أربعين يوماً وليلة لا يرفع رأسه إلا الصلاة مكتوبة أو لما لا بد منه ولا يرفأ دمه حتى نبت منه العشب إلى رأسه ولم يشرب ماء إلا ثلثاه دمع وجهه نفسه راغباً إلى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له أيشا على ملكه ودعا إلى نفسه فاجتمع إليه أهل الزيف من بنى إسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه (وإن له عندنا الزاني) لقرابة وكرامة بعد المغفرة (وحسن مآب) حسن مرجع في الجنة (يادواد) ٢٦ إنا جعلناك خليفة في الأرض) إما حكاية لما خوطب به عليه الصلاة والسلام مبينة لزلغاه عنده عز وجل وإما مقول قول مقدر هو معطوف على غفرنا أو حال من فاعله أى وقتلناه أو قاتلناه يادواد الخ أى استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين أهلها أو جعلناك خليفة من كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على أن حاله عليه الصلاة والسلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط (فاحكم بين الناس بالحق) بحكم الله تعالى فإن الخلافة بكلا معنیه مقتضية له حتماً (ولا تتبع الهوى) أى هوى النفس في الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا (فيضلك عن سبيل الله) بالنصب على أنه جواب النهى وقيل هو مجزوم بالمعطف على النهى مفتوح لالتقاء الساكنين أى فيكون الهوى أو اتباعه سبباً لضلالك عن دلائله التى نصبها على الحق تكويناً وتشريعاً وقوله تعالى (إن الذين يضلون عن سبيل الله) تعليل لما قبله ببيان غائلته وإظهار سبيل الله في موقع الإضمار لزيادة التقرير والإيذان بكال شناعة الضلال عنه (لهم عذاب شديد) • جملة من خبر ومبتدأ وقعت خبراً لأن أو الظرف خبر لأن وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من معنى الاستقرار (بما نسوا) بسبب نسيانهم وقوله تعالى (يوم الحساب) إما مفعول لنسوا فيكون تعليلاً صريحاً لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الإشعار بعلية ما يستتبعه ويستلزمه أعنى الضلال عن سبيل الله تعالى فإنه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرّة بل هذا فرد من أفراد أوظرف لقوله تعالى لهم أى لهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب نسيانهم الذى هو عبارة عن ضلالهم ومن ضروره أن يكون مفعوله سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السرى قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فإن تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً) كلام مستأنف مقرر لما قبله ٢٧

أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ

ص ٣٨

كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾

ص ٣٨

كُنْتُمْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾

من أمر البعث والحساب والجزاء أى وما خلقناها وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذى تحار فى فهمه العقول خلقاً باطلاً أى خالياً عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطوياً على الحق المبين والحكم البالغة حيث خلقنا من بين ما خلقنا نفوساً أو دعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار ومكنها من الصفات العلية والعملية فى استجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دلائل آفافية وأنفسية ومنحناها القدرة على الاستشهاد بها ثم لم تقتصر على ذلك المقدار من الألطاف بل أرسلنا إليها رسلاً وأنزلنا عليها كتاباً بينا فيها كل دقيق وجليل وأزحنا عليها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالها (ذلك) إشارة إلى مانى من خلق ما ذكر باطلاً (ظن الذين كفروا) أى مظنونهم فإن جحودهم بأمر البعث والجزاء الذى عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم بطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً (فويل للذين كفروا) مبتدأ وخبر والفاء لإقادة ترتب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما أن وضع الموصول موضع ضميرهم للإشعار بما فى حيز الصلة بعملية كفرهم له ولا تنافى بينهما لأن ظنهم من باب كفرهم ومن فى قوله تعالى (من النار) تعليلية كما فى قوله تعالى فويل لهم مما كُتبت أيديهم ونظائره مفيدة لعملية النار لثبوت الويل لهم صريحاً بعد الإشعار بعملية ما يؤدى إليها من ظنهم وكفرهم أى فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض) أم منقطعة وما فيها من بل للإضراب الانتقالى عن تقرير أمر البعث والحساب والجزاء بما مر من نقي خلق العالم خالياً عن الحكم والمصالح إلى تقريره وتحقيقه بما فى الهمة من إنكار التسوية بين الفريقين ونفيها على أبلغ وجه وأكده أى بل أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين فى أقطار الأرض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين فى التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة أوفر حظاً منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتمعين البعث والجزاء حتماً لرفع الأولين إلى أعلى عليين ورد الآخرين إلى أسفل سافلين وقوله تعالى (أم نجعل المتقين كالفجار) إضراب وانتقال عن إثبات ما ذكر بلزوم المحال الذى هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الإطلاق إلى إثباته بلزوم ما هو أظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين وأشقياء الكفرة وحمل الفجار على جرة المؤمنين بما لا يساعده المقام ويجوز أن يراد بهذين الفريقين عين الأولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما أدخل فى إنكار التسوية من الوصفين الأولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين إنا نعطى فى الآخرة من الخير ما تعطون ٢٩. فنزلت (كتاب) خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن أو السورة وقوله تعالى (أنزلناه إليك) صفته

٣٨ ص

وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾

٣٨ ص

إِذْ عُرِي ضَّ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾

٣٨ ص

فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾

وقوله تعالى (مبارك) خبر ثان للبتداء أو صفة لكتاب عند من يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرىء مباركاً على أنه حال من مفعول أنزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى (ليدبروا آياته) متعلق بأنزلناه أى أنزلناه ليتفكروا فى آياته التى من جهاتها هذه الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعانى الفائقة والتأويلات اللائقة وقرىء ليتدبروا على الأصلى ولتدبروا على الخطاب أى أنت وعلماء أمتك بحذف إحدى التائين (وليتذكر أولو الألباب) * أى وليتعض به ذوو العقول السليمة أو ليستحضروا ما هو كالمركز فى عقولهم من فرط تمسكهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فإن الكتب الإلهية مينة لما لا يعرف إلا بالشرع ومرشدة إلى ما لا سبيل للعقل إليه (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد) وقرىء نعم العبد أى سليمان كما يبنى عنه تأخيره عن داود مع ٣٠ كونه مفعولاً صريحاً لو هبنا ولا ن قولته تعالى (لأنه أواب) أى رجع إلى الله تعالى بالتوبة أو إلى التسبيح مرجع له لتلليل اللدح وهو من حاله لما أن الضمير المجرور فى قوله تعالى (إذ عرض عليه) راجع إليه عليه ٣١ الصلاة والسلام قطعاً وإذ منصوب باذكر أى اذكر ما صدر عنه إذ عرض عليه (بالعشى) هو من الظهر إلى آخر النهار (الصافنات) فإنه يشهد بأنه أواب وقيل ظرف لأواب وقيل لنعم وتأخير الصافنات عن الظرفين لما مرر أمان التشويق إلى المؤخر والصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد أورجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لا يكاد يتفق إلا فى العراب الخالص وقيل هو الذى يجمع يديه ويسويهما وأما الذى يقف على سنبكه فهو المنخيم (الجياد) جمع جواد وجود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية أى إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها وإذا جرت كانت سرعاً خفافاً فى جريها وقيل هو جمع جيد روى أنه عليه الصلاة والسلام غزا أهل دمشق ونصيبين وأصلب ألف فرس وقيل أصابها أبوه من العماقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعديوماً بعد ما صلى الظهر على كرسية فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان له من الذكر وقتئذ وتتهيبوه فلم يعلموه فاعتم لمافاته فاستردها فعقرها تقر بالله تعالى وبقي مائة فما فى أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيراً منها وهى الریح تجري بأمره (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربى) قاله عليه ٣٢ الصلاة والسلام عند غروب الشمس اعترافاً بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة وندما عليه وتميهاً لما يعقبه من الأمر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار أواخر العرض المستمر دون ابتدائه

ص ٣٨

رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

ص ٣٨

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾

والتأكيد للدلالة على أن اعترافه وتدمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر وأصل أحبت أن يعدى بعلى لأنه بمعنى أثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدى تعديته وحب الخير مفعوله كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربى ووضعته موضعه وخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته عليه الصلاة والسلام ويحتمل أنه سماها خيراً لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة وقرئ (حتى توارت بالحجاب) متعلق بقوله أحبت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض أى أنبت حب الخير عن ذكر ربى واستمر ذلك حتى توارت أى غربت الشمس تشبهاً لغروبها فى مغربها بتوارى الخبأة بحجابها وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليها وقيل الضمير للصفات أى حتى توارت بحجاب الليل أى بظلامه (ردوها على) من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه ومن لم يقبضه له مع ظهوره توهم أنه متصل بمضمر هو جواب لمضمر آخر كأن سائلاً قال فإذا قال سليمان عليه السلام قبيل قال ردوها فتأمل والفاء فى قوله تعالى (فطفق مسحاً) فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيضاحاً بغاية سرعة الامتثال بالأمر أى فردوها عليه فأخذ يمسح السيف مسحاً (بالسوق والأعناق) أى بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته أى ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حباً لها وإعجاباً بها وليس بذلك وقرئ بالسوق على همز الواو لضمها كما فى أدور وقرئ بالسوق تنزيلاً لضمه السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأن الإلباس (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) أظهر ما قيل فى فتنة عليه الصلاة والسلام ماروى مرفوعاً أنه قال لا طوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى ولم يقل إن شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لوقال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرساناً أجمعون وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه فى السحاب فما شعر به إلى أن ألقى على كرسيه ميتاً فتنبه لخطئه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل إنه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها وأصاب بنتاً له تسمى جرادة من أحسن الناس فاصطفها لنفسه وأسلمت حبها وكان لا يرقأ دمعها جزعاً على أبيها فأمر الشياطين فثلوا لها صورته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائها يسجدون لها كعادتهم فى ملكه فأخبره آصف بملك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة وفرش له الرماذج جلس عليه تائباً إلى الله تعالى باكياً متضرعاً وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة يعطيها خاتمة وكان ملكه فيه فأعطاها يوماً فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شيء إلا فى نسائه وغير سليمان

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ٣٨ ص

فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ٣٨ ص

وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ ٣٨ ص

وَأَٰخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ٣٨ ص

عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطرده فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف وإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فكث على ذلك أربعين صباحاً عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظما بني إسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر فابتلعه سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجداً وعاد إليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمى به وهو جسم لاروح فيه لأنه لا تمثّل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه الصلاة والسلام عن حال أهله لأن اتخاذ التماثيل لم يكن محظوراً حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره (قال) بدل من أناب وتفسير له (رب اغفر لي) أي ٣٥ ماصدر عني من الزلة (وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لي مناسبة لحالي فإنه عليه الصلاة والسلام لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معاً استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما أولاً ينبغي لأحد أن يسلبه مني بعد هذه السلبات أولاً يصح لأحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ماليس لأحد من الفضل والمال على إرادة وصف الملك بالعظمة لا أن لا يعطى أحد مثله فيكون منافسة وقيل كان ملكاً عظيماً يخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بأمر الدين جرباً على سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصالحين وكون ذلك أدخل في الإجابة وقرئ: لي بفتح الياء (إنك أنت الوهاب) تعليل للدعاء بالمغفرة والهبه معاً لا بالآخرية فقط فإن المغفرة أيضاً من أحكام وصف الوهابية قطعاً (فسخرنا له الريح) أي ٣٦ أي فذلّلناها لطاعته إجابة لدعوته فعاد أمره عليه الصلاة والسلام إلى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ: الرياح (تجري بأمره) بيان لتسخيرها له (رخاء) أي ليناً من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل طيبة لا تمتنع عليه كالأموال المنقادة (حيث أصاب) أي حيث قصدوا أراد حكى الأصمى عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء وغواص) بدل من الشياطين (وأخريين ٣٧- ٣٨ مقررني في الأصفاد) عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كأنه عليه الصلاة والسلام فصل الشياطين إلى عملة استعملهم في الأعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك وإلى مرده قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل أجسامهم شفاقة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها ويقدرّون على

٣٨ ص

هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾

٣٨ ص

وَإِنْ لَمْ عِنْدَنَا لُزْلٌ وَحَسَنَ مَعَابٍ ﴿٤٠﴾

٣٨ ص

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصَبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾

الاهمال الصعبة وقد جوز أن يكون الإقران في الأصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق التمثيل والصنف القيد وسمى به العطاء لأنه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه على عكس وعد وأوعده وقوله تعالى (هذا) الخ إما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام مينة لعظم شأن ما أوتي من الملك وأنه مفوض إليه تفويضاً كلياً وإما مقول مقدر هو معطوف على سحرنا أو حال من فاعله كما مر في خاتمة قصة داود عليه السلام أي وقتلنا له أو قاتلنا له هذا الأمر الذي أعطيناك من الملك العظيم والبسطة والتسلط على مالم يسلم عليه غيرك (عطاؤنا) الخاص بك (فامنن أو أمسك) فأعط من شئت وامنع من شئت (بغير حساب) حال من المستكن في الأمر أي غير محاسب على شيء منه وإمساكك لتفويض التصرف فيه إليك على الإطلاق أو من العطاء أي هذا عطاؤنا ملتبساً بغير حساب لغاية كثرة أو صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الإشارة إلى تسخير الشياطين والمراد باليمن والإمساك الإطلاق والتقييد (وإن لم عندنا لزل) في الآخرة مع ماله من الملك العظيم في الدنيا (وحسن ما ب) هو الجنة قيل قتل سليمان عليه السلام بعد ممالك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري في تاريخه أن سليمان عليه السلام ورث ملك أبيه في عصر كينسر وبن سياوش وسار من الشام إلى العراق فبلغ خبره كينسر وهرب إلى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عليه السلام إلى مرو ثم إلى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف إلى أن وافى بلاد فارس فترها أياماً ثم عاد إلى الشام ثم أمر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار إلى تهامة ثم إلى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبها ما ذكر الله تعالى وغزا بلاد المغرب الأندلس و٤١ وطنجة وغيرهما والله تعالى أعلم (واذكر عبدنا أيوب) عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان بهذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وأيوب هو ابن عيص بن إسحاق عليه السلام (إذ نادى ربه) بدل اشتغال من عبدنا وأيوب عطف بيان له (أني) بأن (مسني الشيطان) بفتح ياء مسني وقرىء بإسكانها وإاء قاطعها (بنصب) أي تعب وقرىء بفتح النون وبفتحتين وبضميتين للتثنية (وعذاب) أي ألم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد بالضر في قوله أني مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارة وإلا لقليل إنه مسه الخ والإسناد إلى الشيطان إما لأنه تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل إنه أعجب بكثرة ماله أو استغاثه مظلوم فلم يفته أو كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهته ولم يفره أو لامتحان صبره فيكون اعتراقاً بالذنوب أو

أَرْكُضْ بِرَجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ ٣٨ ص

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ ٣٨ ص

وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ٣٨ ص

مراعاة للأدب أو لأنه وسوس إلى أتباعه حتى رفضوه وأخرجوه من ديارهم أو لأن المراد بالنصب ما كان يوسوس به إليه في مرضه من تعظيم منازل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويفريه على الكراهة والجزع فالتجأ إلى الله تعالى في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق لدفعه وردة بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عليه الصلاة والسلام بل من جملته قوله وأنت أرحم الراحمين فاكثف ههنا عن ذكره بما في سورة الأنبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى (اركض برجلك) الخ إما حكاية لما قيل له أو مقول لقول مقدر معطوف على نادى أى فقلنا له اركض برجلك أى اضرب بها الأرض وكذا قوله تعالى (هذا مغتسل بارد وشراب) فإنه أيضاً إما حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالأمر ونوع الماء أو مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق إليه الكلام كأنه قيل فضر بها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى (ووهبنا له أهله) معطوف على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفاً كأنه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الأنبياء ووهبنا له أهله إما بإحيائهم بعد هلاكهم وهو المروى عن الحسن أو بجمعهم بعد تفرقهم كما قيل (ومثلهم معهم) عطف على أهله فكان له من الأولاد ضعف ما كان له قبل (رحمة منا) أى لرحمة عظيمة عليه من قبلنا (وذكرى لأولى الأبواب) ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا إلى الله عز وجل فيما يحق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة (وخذ بيدك ضغثاً) معطوف على اركض ٤٤ أو على وهبنا بتقدير قلنا أى وقلنا خذ بيدك الخ والأول أقرب لفظاً وهذا أنسب معنى فإن الحاجة إلى هذا الأمر لا تمس إلا بعد الصحة فإن امرأته راحة بنت إفرام بن يوسف وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماصر بنت ميثا بن يوسف عليه السلام ذهبت لحاجة فأبطأت لحلف إن يرى ليضر بنهما مائة ضربة فأمره الله تعالى بأخذ الضغث والضعف الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبضة من الشجر وقال (فاضرب به) أى بذلك الضغث (ولا تحنث) فى يمينك فإن البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها وهى باقية ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة إما بأطرافها قائمة أو بأعراضها مبسوطة على هيئة الضرب (لأننا وجدناه صابراً) فيما أصابه فى النفس والأهل والمال وليس فى شكواه إلى الله تعالى لإخلال بذلك فإنه لا يسمى جزعاً كتمنى العافية وطلب الشفاء على أنه قال ذلك خيفة الفتنة فى الدين حيث كان الشيطان يوسوس إلى قومه

وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ④٥

إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ④٦

وَلِإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ④٧

وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ④٨

بأنه لو كان نبياً لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وإرادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان ويروى أنه عليه الصلاة والسلام قال في مناجاته إلهي قد علمت أنه لم يخالف لسان قلبي ولم يتبع قلبي بصرى ولم يهني ماملكت يميني ولم آكل إلا ومعنى يتيم ولم أبت شعبان ولا كاسيا ومعنى جانع أو عريان فكشف الله تعالى عنه (نعم العبد) أي أيوب (إنه أواب) لتعليل لمدحه أي رجاء إلى الله تعالى (واذكر عبدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا وقرىء عبدنا إما على أن إبراهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب بإضمار أعني والباقيان عطف على عبدنا وإما على أن عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع (أولى الأيدي والأبصار) أولى القوة في الطاعة والبصيرة في الدين أو أولى الأعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالأيدي عن الأعمال لأن أكثرها تباشر بها وبالأبصار عن المعارف لأنها أقوى مبادئها وفيه تعريض بالجملة البطالين أنهم كالزمنى والعامة وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمسكهم منهم ما وقرىء أولى الأيدي بطرح الياء والاكتفاء بالكسر وقرىء ④٥ أولى الأيدي على جمع الجمع (إنا أخلصناهم بخالصة) لتعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل أي جعلناهم خالصين لنا بخالصة خالصة الشأن كما ينبغي عنه التنكير التفضيحي وقوله تعالى (ذكرى الدار) بيان للخالصة بعد إيهامها للتفخيم أي تذكر الدار الآخرة دائماً فإن خلوصهم في الطاعة بسبب تذكركم لها وذلك لأن مطمح أنظارهم ومطرح أفكارهم في كل ما يأتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز ببقائه ولا يتسنى ذلك إلا في الآخرة وقيل أخلصناهم بتوفيقهم لها واللفظ بهم في اختيارها أو بعصداً لا ولقراءة من قرأ بخالصتهم وإطلاق الدار للإشعار بأنها الدار في الحقيقة وإنما الدنيا ممبر وقرىء بإضافة خالصة إلى ذكرى أي بما خلص من ذكرى الدار على معنى أنهم لا يشوبون ذكراً لها بهم آخر أصلاً أو تذكركم الآخرة وترغيبهم فيها وترهيدهم في الدنيا كما هو شأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم (ولأنهم عندنا من المصطفين الأخيار) من المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم في الخير والأخيار جمع خير كشر وأشرار ④٨ وقيل جمع خير أو خير مخفف منه كما موات في جمع ميب وميت (واذكر إسماعيل) فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للإشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير (واليسع) هو ابن خطوب بن العجوز استخلفه إلياس على بني إسرائيل ثم استنجه واللام فيه حرف تمر يف دخل على يسع كما في قول من

ص ٣٨

هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾

ص ٣٨

جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾

ص ٣٨

مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾

ص ٣٨

وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْطَّرَفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾

ص ٣٨

هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾

- قال [رايت الوليد بن اليزيد مباركا] وقرى. والبسح كأن أصله لبسح فيعمل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو على القراءتين علم أجمعى دخل عليه اللام وقيل هو يوشع (وذا الكفل) هو ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر إليه مائة نبي من بني إسرائيل من القتل فأوام وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة (وكل) أى وكلهم (من الاختيار) المشهور بن بالحبرية (هذا) إشارة إلى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم (ذكر) أى شرف لهم وذكر ٤٩ جميل يذكرون به أبداً أو نوع من الذكر الذى هو القرآن وباب منه مشتمل على أنباء الأنبياء عليهم السلام ومن ابن عباس رضى الله عنهما هذا ذكر من مضى من الأنبياء وقوله تعالى (وإن للمتقين لحسن مآب) شروع فى بيان أجرهم الجزيل فى الآجل بعد بيان ذكرهم الجليل فى العاجل وهو باب آخر من أبواب التنزيل والمراد بالمتقين إما الجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا أولياً وإما نفس المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التى هى الغاية القاصية من الكمال (جنت عدن) عطف بيان لحسن مآب عند ٥٠ من يجوز تخالفهما تعريفاً وتنكيراً فإن عدنا معرفة لقوله تعالى جنت عدن التى وعد الرحمن عباده أو بدل منه أو نصب على المدح وقوله تعالى (مفتحة لهم الأبواب) حال من جنت عدن والعامل فيها مافى للمتقين من معنى الفعل والأبواب مرتفعة باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها إما ضمير مقدر كما هو رأى البصريين أى الأبواب منها أو الألف واللام القائمة مقامه كما هو رأى الكوفيين إذا أصل أبوابها وقرئنا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو على أنهما خبران محذوف أى هى جنت عدن هى مفتحة (متكئين فيها) حال من ضمير لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) ٥١ استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو أيضاً حال ما ذكر أو من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للإيذان بأن مطامعهم لمحض التمتع والتلذذ دون التغذى فإنه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة (وعندهم ٥٢ قاصرات الطرف) أى على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم (أتراب) لدات لهم فإن التحاب بين الأقران أرسخ أو بعضهم لبعض لا يجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فإنه يسمم فى وقت واحد (هذا ٥٣ ما توعدون ليوم الحساب) أى لا تجله فإن الحساب علة للوصول إلى الجزاء وقرى بالياء ليوافق ما قبله

ص ٣٨

إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَالُهُ مِنْ نَفَادٍ ٥٤

ص ٣٨

هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَكَابٍ ٥٥

ص ٣٨

جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْشَأُ الْمِهَادُ ٥٦

ص ٣٨

هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ٥٧

ص ٣٨

وَأَنزَلْنَا مِنْ شَجَلِهِ أَزْوَاجَ ٥٨

ص ٣٨

هَذَا فَوْجٌ مُقْتَنَحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ٥٩

- ٥٤ والالتفات أليق بمقام الامتنان والتكريم (إن هذا) أى ما ذكر من ألوان النعم والكرامات (لرزقنا)
 ٥٥ أعطينا كونه (ماله من نفاذ) انقطاع أبداً (هذا) أى الأمر هذا أو هذا كما ذكر أو هذا ذكر وقوله
 ٥٦ تعالى (وإن للطاغين لشر مآب) شروع في بيان أضداد الفريق السابق (جهنم) إعرابه كما سلف (يصلونها)
 أى يدخلونها حال من جهنم (فبئس المهاد) وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والخصوص
 ٥٧ بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد (هذا فليذوقوه) أى ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله
 تعالى وإياي فارهبون أو العذاب هذا فليذوقوه أو هذا مبتدأ خبره (حميم وغساق) وما بينهما اعتراض
 وهو على الأولين خبر مبتدأ محذوف أى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد أهل النار من غسقت
 العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق
 لتنت أهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لتنت أهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه إلا الله
 ٥٨ تعالى وقرئ بتخفيف السين (وآخر من شكلة) أى ومذوق آخر أو عذاب آخر من مثل هذا المذوق
 أو العذاب في الشدة والفضاعة وقرئ وأخر أى ومذوقات آخر أو أنواع عذاب آخر وتوحيد ضمير
 شكلة بتأويل ما ذكر أو الشراب الشامل للحميم والغساق أو هو راجع إلى الغساق (أزواج) أى أجناس
 وهو خبر لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروباً أو صفة له أو للثلاثة أو مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل
 ٥٩ لهم (هذا فوج مقتنح معكم) حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار واقتنحها
 معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر والضلالة والافتحام الدخول في الشيء بشدة قال الراغب الاقتحام
 توسط شدة مخيفة وقوله تعالى (لا مرحباً بهم) من إتمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج أو صفة
 للفوج أو حال منه أى مقول أو مقولا في حقهم لا مرحباً بهم أى لا أتوا مرحباً أو لا رحبت بهم الدار
 مرحباً (إنهم صلوا النار) تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم أو وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحباً
 بهم إلى هنا كلام الرؤساء في حق أتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجراً من مقارنتهم

- قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَجَاءُ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَبُئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ ص ٣٨
- قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ ص ٣٨
- وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ ص ٣٨
- أَتَأْخُذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ ص ٣٨

- ٦٠ وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء بعضهم مع بعض في حق الاتباع (قالوا) أى الاتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم الرؤساء في قولهم (بل أنتم لأمرجاء بكم) الخ على الوجهين الأخيرين ظاهر وأما على الوجه الأول فلعلمهم إنما خاطبهم مع أن الظاهر أن يقولوا بطريق الاعتذار إلى الخزنة بل هم لأمرجاء بهم الخ قصداً منهم إلى إظهار صدقهم بالمخاطبة مع الرؤساء والتحاكم إلى الخزنة طمعاً في قضائهم بتخفيف عذابهم أو تضعيف عذاب خصمائهم أى بل أنتم أحق بما قيل لنا أو قلتم وقوله تعالى (أنتم قدمتموه لنا) تعليل لأحقيتهم بذلك أى أنتم قدمتم العذاب أو الصلي لنا وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدى إليه من العقائد الزائفة والأعمال السيئة وتزيينها في أعيننا وإغرائنا عليها لا أنا باشرناها من تلقاء أنفسنا (فبئس القرار) أى فبئس المقر جهنم قصدوا بدمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم (وقالوا) أى الاتباع أيضاً وتوسطه بين كلامهم لما بينهما من التباين البين ذاتاً وخطاباً أى قالوا معرضين عن خصوصيتهم متضرعين إلى الله تعالى (ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار) كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتاهم عذاباً ضعفاً من النار أى عذاباً مضاعفاً أى ذا ضعف وذلك بأن يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله ربنا أتاهم ضعفين من العذاب أو قيل المراد بالضعف الحيات والافاعي (وقالوا) ٦٢ أى الطاغون (مالنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار) يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم (أتأخذناهم سخرياً) بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب قالوه إنكاراً على أنفسهم وتأنياً لها في الاستسغار منهم (أم زاغت عنهم الأبصار) متصل بأخذناهم على أن أم متصلة والمعنى أى الأمرين فعلنا بهم الاستسغار منهم أم الازدراء بهم وتحقيرهم وإن أبصارنا كانت تزيف عنهم وتفتحمهم على معنى إنكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم توبيخاً لها أو على أنها منقطعة والمعنى أتأخذناهم سخرياً بل أزاغت عنهم أبصارنا كقولك أزيد عندك أم عندك عمرو على معنى توبيخ أنفسهم على الاستسغار ثم الإضراب والانتقال منه إلى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ تأخذناهم بغير همزة على أنه صفة أخرى لرجالاً فقوله تعالى أم زاغت متصل بقوله مالنا لا نرى والمعنى مالنا لا نراهم في النار أليسوا فيها فلذلك لا نراهم أم زاغت عنهم أبصارنا وهم فيها وقد جوز أن تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخرياً بضم السين .

٣٨ صَ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾

٣٨ صَ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنِّ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾

٣٨ صَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾

٣٨ صَ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾

٣٨ صَ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾

٣٨ صَ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾

- ٦٤ (إن ذلك) أي الذي حكى من أحوالهم (لحق) لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى (تخاصم أهل النار) خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفي الإبهام أولاً والتبيين ثانياً مزيد تقرير له وقيل بدل من محل ذلك وقيل بدل من حق أو عطف بيان له وقرئ بالنصب على أنه بدل من ذلك وما قيل من أنه صفة له فقد قيل عليه إن اسم الإشارة لا يوصف إلا بالمعروف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل
- ٦٥ (قل) أمر لرسول الله ﷺ أن يقول للمشركين (إنما أنا منذر) من جهته تعالى أنذركم عذابه (وما من من إله) في الوجود (إلا الله الواحد) الذي لا يقبل الشراكة والكثرة أصلاً (القهار) لكل شيء سواء
- ٦٦ (رب السموات والأرض وما بينهما) من المخلوقات فكيف يتوهم أن يكون له شريك منها (العزیز) الذي لا يغلب في أمر من أموره (الغفار) المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للوحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتذنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والعزة وتقديهما على وصف المغفرة لتوفية مقام الإنذار حقه (قل) تكرير الأمر للإيذان بأن المقول أمر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به أمر أو انذاراً (هو) أي ما أنبأتكم به من أني منذر من جهته تعالى وأنه تعالى واحد لا شريك له وأنه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والأظهر أنه القرآن وما ذكر داخل فيه دخولا أولاً كما يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة
- ٦٨ (نبأ عظيم) وارد من جهته تعالى وقوله تعالى (أنتم عنه معرضون) استئناف ناع عليهم سوء صنيعهم به ببيان أنهم لا يقدرון قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجباً للإقبال الكل على
- ٦٩ عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة أخرى لنبا وقوله تعالى (ما كان لي من علم بالملا الأعلى) الاستئناف مسوق لتحقيق أنه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبا من أنبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة فإن ذلك حجة بينة دالة على أن ذلك بطريق الوحي من عند الله تعالى وأن سائر أنبائه أيضاً كذلك والملا الأعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وإبليس عليه اللعنة وقوله تعالى (إذ يختصمون) متعلق بمحذوف يقتضيه المقام إذ المراد نفي علمه عليه الصلاة والسلام بمحالمهم

ص ٣٨

إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٢﴾

ص ٣٨

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾

- لا بد وأنهم والتقدير ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملائكة على وقت اختصاصهم وتقدير الكلام كما اختاره الجمهور تحجير للواسع فإن عليه عليه الصلاة والسلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الأقوال فقط بل عام لها والأفعال أيضاً من سجود الملائكة واستكبار إبليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه أيضاً لا محالة وقوله تعالى (إن يوحى إلى إلا أنما أنا نذير مبين) اعتراض وسط بين إجمال اختصاصهم وتفصيله تقريراً لثبوت عليه عليه الصلاة والسلام وتعييناً لسببه إلا أن بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئاً عن ثبوته الآن ومن البين عدم ملاسته عليه الصلاة والسلام بشيء من مبادئ المعهودة تعين أنه ليس إلا بطريق الوحي حتماً لجعل ذلك أمراً مسلم الثبوت غنياً عن الإخبار به قصداً وجعل مصعب الفائدة والمقصود إخبار ما هو دافع إلى الوحي ومصحح له تحقيقاً لقوله تعالى إنما أنا منذر في ضمن تحقيق عليه عليه الصلاة والسلام بقصة الملائكة على قائم مقام الفاعل ليوحى إما ضمير عائد إلى الحال المقدر أو ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى إلى حال الملائكة على أو ما يوحى إلى ما يوحى من الأمور الغيبية التي من جملتها حالهم إلا أنما أنا نذير مبين من جمته تعالى فإن كونه عليه الصلاة والسلام كذلك من دواعي الوحي إليه ومن موجباته حتماً وأما أن القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور أو هو إنما أنا نذير مبين بلا تقدير الجار وأن المعنى ما يوحى إلى إلا الإنذار أو ما يوحى إلى إلا أن أنذر وأبلغ ولا أفرط في ذلك كما قيل فع ما فيه من الاضطراب إلى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للإنذار في الأول وقصره على الإنذار في الثاني فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون أجنباً مما توسط بينهما من إجمال الاختصاص وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ إنما بالكسر على الحكاية وقوله تعالى (إذ قال ربك للملائكة) شروع في تفصيل ٧١ ما أجمل من الاختصاص الذي هو ما جرى بينهم من التقاويل وحيث كان تكليمه تعالى إياهم بواسطة الملك صح إسناد الاختصاص إلى الملائكة وإذ بدل من إذ الأول وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصاص بل يكفي اشتغال ما في حيزها عليه فإن القصة ناطقة بذلك تفصيلاً والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه والإيذان بأن وحي هذا النبأ إليه تربية وتأيد له عليه الصلاة والسلام والكاف وارد باعتبار حال الأمر لكونه أدل على كونه وحيّاً منزلاً من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الخ دون حال المأمور والإلغاء لربى لأنه داخل في حيز الأمر (إنى خالق) أى فيما سياتى وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل • له البتة من غير صارف بلوبه ولا عاطف يذنيه (بشراً) قيل أى جسماً كشفاً يلاقى ويأشرو قيل خلقاً بآدى • البشرية بلا صوف ولا شعر ولعل ما جرى عند وقوع المحكى ليس هذا الاسم الذى لم يخلق سمياً حينئذ فضلاً عن تسميته به بل عبارة كاشفة عن حاله وإنما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية (من طين) لم يتعرض

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ٣٨ ص

فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ ٣٨ ص

إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ٣٨ ص

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ٣٨ ص

- ٧٢ لاوصافه من التغير والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع آخر (فإذا سويته) أى صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طوائمه (ونفخت فيه من روحى) النفخ إجرأه الريح إلى تجويف جسم صالح لإمساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لإفاضة مابه الحياة بالفعل على المادة القابلة لها أى فإذا كلمت استعدادده وأفضت عليه مايجبأ به من الروح التى هى من أمرى (فقعوا له) أمر من وقع وفيه دليل على أن المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل أى اسقطوا له (ساجدين) تحية له وتكريماً (فسجد الملائكة) أى غلغله فسواء فنفع فيه الروح فسجد له الملائكة (كلهم) بحيث لم يبق منهم أحد إلا سجد (أجمعون) أى بطريق المعية بحيث لم يتأخر فى ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لإفادة هذا المعنى بالحالية بل يفيد التأكيد أيضاً وقيل أكد بتأكيدين مبالغة فى التعميم هذا وأما أن سجودهم هذا هل ترتب على ما حكى من الأمر التعليق كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتى فى سورة الحجر فإن ظاهرهما يستدعى ترتبه عليه من غير أن يتوسط بينهما شئ غير مايفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية ونفع الروح أو على الأمر التنجيزى كما يقتضيه ما فى سورة البقرة وما فى سورة الأعراف وما فى سورة بنى إسرائيل وما فى سورة الكهف وما فى سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق الله عز وجل فى سورة البقرة وسورة الأعراف (إلا إبليس) استثناء متصل لما أنه كان جنياً مفرداً مغموراً بألوف من الملائكة موصوفاً بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثنى استثناء واحد منهم أو لأن الملائكة جنساً يتوالدون وهو منهم أو منقطع وقوله تعالى (استكبر) على الأول استئناف مبين لكيفية ترك السجود المفهوم من الاستثناء فإن تركه يحتمل أن يكون للتأمل والتروى وبه يتحقق أنه للإباء والاستكبار وعلى الثانى يجوز اتصاله بما قبله أى لكن إبليس استكبر (وكان من الكافرين) أى وصار منهم بمخالفته الأمر واستكباره عن الطاعة أو كان منهم فى علم الله تعالى عز وجل (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) أى خلقته بالذات من غير توسط أب وأم والثنية لإبراز كمال الاعتناء بخلقه عليه الصلاة والسلام المستدعى لإجلاله وإعظامه قصد إلى تأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ (استكبرت) بهمزة الإنكار وطرح همزة الوصل أى أتكبرت من غير استحقاق (أم كنت من العالين) المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين وقرئ بمحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة أم عليها .

- ٣٨ ص قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾
- ٣٨ ص قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِمٌ ﴿٧٧﴾
- ٣٨ ص وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾
- ٣٨ ص قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾
- ٣٨ ص قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾

وقوله تعالى (قال أنا خير منه) ادعاء منه لشئ مستلزم لمنعه من السجود على رجمه وإشعار بأنه لا يليق أن يسجد
 الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وقوله تعالى
 (خلقتني من نار وخلقته من طين) تعليل لما ادعاه من فضله عليه عليه الصلاة والسلام ولقد أخطأ اللعين حيث
 خص الفضل بآمن جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي
 وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الأمر
 ولذلك أمر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض
 وأن له خواص ليست لغيره (قال فأخرج منها) الفاء لترتيب الأمر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للأمر
 الجليل وتعليلها بالأباطيل أي فأخرج من الجنة أو من زمرة الملائكة وهو المراد بالأمر بالهبوط لا
 الهبوط من السماء كما قيل فإن وسوسته لآدم عليه السلام بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته في سورة
 البقرة وقيل أخرج من الحلقة التي كنت فيها وانسلخ منها فإنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فأسود
 بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسناً وأظلم بعد ما كان نورانياً وقوله تعالى (فإنك راجم) تعليل
 للأمر بالخروج أي مطرود من كل خير وكرامة فإن من يطرد يرحم بالحجارة أو شيطان يرحم بالشهب
 (وأن عليك لعنتي) أي إبعادي عن الرحمة وتقييدها بالإضافة مع إطلاقها في قوله تعالى وأن عليك
 ٧٨ اللعنة لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين أيضاً من جهته تعالى وأنهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى
 وإبعاده من الرحمة (إلى يوم الدين) أي يوم الجزاء والعقوبة وفيه إيذان بأن اللعنة مع كمال فظاعتها
 ليست جزاء لجنايته بل هي نموذج لما سيلقاه مستمر إلى ذلك اليوم لكن لا على أنها تنقطع يومئذ كما يوهمه
 ظاهر التوقيت بل على أنه سيلقى يومئذ من ألوان العذاب وأقانين العقاب ما ينسب عنده اللعنة وتصير
 كالزائل ألا يرى إلى قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضهم بعضاً
 (قال رب فأنظرني) أي أهملني وأخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام أي إذا جعلتني
 ٧٩ وجيماً فأهملني ولا تمتني (إلى يوم يبعثون) أي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وأراد بذلك أن يحدد
 فسحة لإخوانهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت بالكلية إذ لا موت بعد يوم البعث (قال فإنك
 ٨٠ من المنظرين) ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله الآخرين على وجه يشعر

٣٨ ص

إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾

٣٨ ص

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾

٣٨ ص

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾

٣٨ ص

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾

٣٨ ص

لَا مَلَأَن جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

٨١ يكون السائل تبعاً لهم في ذلك دليل واضح على أنه إخبار بالإنظار المقدر لهم أزلاً لا إنشَاء لإنظار خاص به قد وقع إجابة لدعائه وأن استنظاره كان طلباً لتأخير الموت إذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فإن ذلك معلوم من إضافة اليوم إلى الدين أي إنك من جملة الذين أخرت آجالهم أزلاً حسبما تقتضيه حكمة السكوتين (إلى يوم الوقت المعلوم) الذي قدره الله وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الأولى لا إلى وقت البعث الذي هو المسئول فالفاء ليست لربط نفس الإنظار بالاستنظار بل لربط الإخبار المذكور به كما في قول من قال [فإن ترحم فأنت لذلك أهل] فإنه لا إمكان لجعل الفاء فيه لربط ماله تعالى من الأهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الإخبار بتلك الأهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد ترك التوقيت في سورة الأعراف كما ترك النداء والفاء في الاستنظار والإنظار تعويلاً على ما ذكرهنا وفي سورة الحجر وإن خطر ببالك أن كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد أن يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وأن ما حكى من اللعين إنما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع إلا دفعة فقام الاستنظار والإنظار إن اقتضى أحد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ إلى رتبة البلاغة ودرجة الإعجاز وأما ما عدها من الوجوه فهو بمنزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلاً عن العروج إلى معارج الإعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الأعراف بفضل الله تعالى وتوفيقه (قال فبِعِزَّتِكَ) الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الإنظار ولا ينافيه قوله تعالى فيما أغويتني وقوله رب بما أغويتني فإن إغواءه تعالى إياه أثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من أحكام قهره وسلطنته فآل الإقسام بهما واحد ولعل اللعين أقسم بهما جميعاً فحكي تارة قسمه بأحدهما وأخرى بالآخر أي ٨٢ فأقسم بعزتك (لا أغوينهم أجمعين) أي ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم (إلا عبادك منهم المخلصين) وهم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرىء المخلصين على صيغة الفاعل أي الذين أخلصوا قلوبهم وأعمالهم لله تعالى (قال) أي الله عز وجل (فالحق والحق أقول) برفع الأول على أنه مبتدأ محذوف الخبر أو خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على أنه مفعول لما بعده قدم عليه للقصراً أي لا أقول ٨٣ إلا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها أي فالحق قسمي (لأملأن جهنم) على أن الحق إما اسمه تعالى ٨٤

ص ٣٨

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾

ص ٣٨

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾

ص ٣٨

وَلِتَعْلَمِنَّ نَبَإَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

أو نقيض الباطل عظمه الله تعالى بإقسامه به أو فأنا الحق أو فقولى الحق وقوله تعالى لا ملأن جهم الخ حينئذ جواب لقسم محذوف أى والله لا ملأن الخ وقوله تعالى والحق أقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الأولين المضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث المضمون الجملة المتقدمة أعني فقولى الحق وقرنا منصوبين على أن الأول مقسم به كقولك الله لا فعلن وجوابه لا ملأن وما بينهما اعتراض وقرنا مجرورين على أن الأول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لا فعلن والحق أقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التأكيد والتشديد وقرىء بجر الأول على إضمار حرف القسم ونصب الثانى على المفعولية (منك) أى من جنسك من الشياطين (ومن تبعك) فى الغواية والإضلال (منهم) من ذرية آدم (أجمعين) تأكيد للكاف وما عطف عليه أى لا ملأناهم من المتبوعين والأتباع أجمعين • كقوله تعالى لمن اتبعك منهم لا ملأن جهم منكم أجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول منى لا ملأن جهم من الجنة والناس أجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا أتباع الشيطان اتضح أن مدار عدم المشيئة فى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول فليس فى ذلك شائبة الجبر فتدبر (قل ما أسألكم عليه) على القرآن أو على تبليغ ما يوحى ٨٦ إلى (من أجر) دنيوى (وما أنا من المتكلفين) أى المتصنعين مما ليسوا من أهله حتى أنحل النبوة وأقول القرآن (إن هو) أى ما هو (إلا ذكر) من الله عز وجل (للعالمين) أى للتقلين كافة (ولتعلن نبأه) أى ٨٧، ٨٨ ما أنبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما أو صحة خبره وأنه الحق والصدق (بعد حين) بعد الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وفشوه وقيل من بقى علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى • عن رسول الله ﷺ من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصم أن يصر على ذنب صغير أو كبير وقال أبو أمامة عصمه الله تعالى من كل ذنب صغير أو كبير والله أعلم .

٣٩ — سورة الزمر

(مكية وآياتها خمس وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٩ الزمر

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾

٣٩ الزمر

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاْعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾

أَلِلَّهِ الدِّينَ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ

اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ٣٩ الزمر

(سورة الزمر مكية إلا قوله قل يا عبادي الآية وآياتها خمس وسبعون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (تنزيل الكتاب) خبر لمبتدأ محذوف هو اسم إشارة أشير به إلى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار إليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مراراً وقد قيل هو ضمير حائد إلى الذ كر في قوله تعالى إن هو إلا ذكر للعالمين وقوله تعالى (من الله العزيز الحكيم) صلة للتنزيل أو خبر ثان أو حال من التنزيل حاملها معنى الإشارة أو من الكتاب الذي هو مفعول معنى حاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الأول أو في بمقتضى المقام الذي هو بيان أن السورة أو القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان أن تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيد الوجه الأخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على إضمار فعل نحو أقرأ أو الزم والنعرض لوصفي العزة والحكمة للإيدان بظهور أثرهما في الكتاب بحريان أحكامه ونفاذ أوامره ونواهييه من غير مدافع ولا مانع وبإتقانه جميع ما فيه على أساس الحكم الباهرة وقوله تعالى (إنا أنزلناه إليك الكتاب بالحق) شروع في بيان شأن المنزل إليه وما يجب عليه أثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن وإظهاره على تقدير كونه هو المراد بالأول أيضاً لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء إما متعلقة بالإنزال أي بسبب الحق وإثباته وإظهاره أو بداعية الحق واقتضائه للإنزال وإما بمحذوف هو حال من نون العظمة أو من الكتاب أي أنزلناه إليك محقين في ذلك أو أنزلناه ملتبساً بالحق والصواب أي كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتماً والفاء في قوله تعالى (فاعبد الله مخلصاً له الدين) لترتيب الأمر بالعبادة على إنزال الكتاب إليه عليه الصلاة والسلام بالحق أي فاعبد الله تعالى محضاً له الدين من شوائب الشرك والرياء حسباً بين في تضاعيف ما أنزل إليك وقرئ برفع الدين على أنه مبتدأ خبره الظرف المتقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلاً للأمر بإخلاص العبادة وقوله تعالى (ألا لله الدين الخالص)
- ٢
- ٣

لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ الزمر

- استئناف مقرر لما قبله من الأمر بإخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الأخيرة مؤكدا لاختصاص الدين به تعالى أى ألا هو الذى يجب أن يخص بإخلاص الطاعة له لأنه المنفرد بصفات الألوهية التى من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) * تحقيق الحقبة ما ذكر من إخلاص الدين الذى هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذى هو عبارة عن ترك إخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحل الرفع على الابتداء خبره ماسياقى من الجملة المصدرة بـ (إن) والأولياء عن الملائكة وعيسى عليهم السلام والأصنام وقوله تعالى (مانعبدكم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى) حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية إشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من أعم العمل وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له فى المعنى أى والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى بل شاؤوها بعبادة غيره قائلين مانعبدكم لشيء من الأشياء إلا ليقرّبونا إلى الله تعالى تقريبا (إن الله يحكم بينهم) أى وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما فى قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله على أحد الوجهين أى بين أحد منهم وبين غيره وعليه قول الباقية [فما كان بين الخير لو جاء سالما . أبو حجر [لا ليال قلائل] أى بين الخير وبينى وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا (فبما هم فيه يختلفون) من الدين الذى اختلفوا فيه بالتوحيد والإشراك وادعى كل فريق منهم صحة ما انتهجه وحكمه تعالى فى ذلك إدخال الموحدىن الجنة والمشركيين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذى يستدعيه مساق النظم الكريم وأما تجويز أن يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد إليه وإضمار المشركيين من غير ذكر تعويلا على دلالة المساق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون أولياء قائلين مانعبدكم إلا ليقرّبونا إلى الله إن الله يحكم بينهم أى بين العبد والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبد شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الإغضاء عما فيه من التعسفات بمنزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا إلى الحكم والفصل وإنما ذاك ما بين فريقى الموحدىن والمشركيين فى الدنيا من الاختلاف فى الدين الباقى إلى يوم القيامة وقرئوا مانعبدكم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل إذ ليس فى الإخبار بذلك مزيد مزينة وقرئ مانعبدكم إلا لتقرّبونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم إتباعا للباء (إن الله لا يهدي) أى لا يوفق للاهتداء إلى الحق الذى هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب (من هو كاذب كفار) أى راسخ فى الكذب مبالغ فى الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذب فإهما فافدان للبصرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الأصلية بالتمرن فى الضلالة والتماذى فى الغى والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) الخ استئناف مسوق لتحقيق الحق وإبطال القول بأن الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد فى حقه تعالى على الإطلاق ليندرج فيه استحالة
- ٣١٠ - أبى السعود ج ٧

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَتَخَّرَ
الْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّورُ ﴿٣٩﴾

٣٩ الزمر

- ما قيل اندراجاً أولياً أى لو أراد الله أن يتخذ ولداً (لا صطفى) أى لا اتخذ (بما يخلق) أى من جملة ما يخلقه أو من جنس ما يخلقه (ما يشاء) أن يتخذه إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوق له تعالى لا متنازع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه إليه ومن البين أن اتخاذ الولد منوط بالمثالة بين المتخذ والمتخذ وأن المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولداً فما فرضناه اتخاذاً ولداً لم يكن اتخاذاً ولداً بل اصطفاً عبدوله إليه أشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذى تقتضيه الشرطية تنبهاً على استحالة مقدمه الاستلزام فرض وقوعه بل فرض الإرادة وقوعه انتفاءه أى لو أراد الله تعالى أن يتخذ ولداً لفعل شيئاً ليس هو من اتخاذ الولد فى شيء أصلاً بل وإنما هو اصطفاً عبد ولا ريب فى أن ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعاً فكأنه قيل لو أراد الله أن يتخذ ولداً لا ممتنع ولم يصح لكن لا على أن الامتناع منوط بتحقيق الإرادة بل على أنه متحقق عند هدمها بطريق الأولوية على منوال لو لم يخف الله لم يهضمه وقوله تعالى (سبحانه) تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد فى حقه تعالى وتأكيده ببيان تنزهه تعالى عنه أى تنزهه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على أن السبحان مصدر من سبح إذا بعد أو أسبحه تسبيحاً لا نقاً به على أنه علم للتسبيح مقول على السنة العباد أو سبحوه تسبيحاً حقيقياً بشأنه وقوله تعالى (هو الله الواحد القهار) استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات لإثبات تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فإن صفة الألوهية المستتعبة لصفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المثالة والمشاركة بينه تعالى وبين غيره على الإطلاق بما يقضى بتنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقناً وكذا وصف القهارية لما أن اتخاذ الولد شأن من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فناءه ومن هو مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور أن يتخذ من الأشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى (خلق السموات والأرض بالحق) تفصيل لبعض أفعاله تعالى الدالة على تفرده بما ذكر من الصفات الجليلة أى خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فإن حدوث الليل والنهار فى الأرض منوط بتحريك السموات أى يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كالأرض عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة وصيغة المضارع الدلالة على التجدد (وسخر الشمس والقمر) جعلهما منقادين لأمره تعالى وقوله تعالى (كل يجرى لآجل مسمى) بيان لكيفية تسخيرهما أى كل منهما يجرى لمنتهى دورته أو منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة (ألا هو العزيز) الغالب القادر على كل شيء من الأشياء التى من جعلها عقاب المعصاة (الغفار) المبالغ فى المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما فى هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة وتصدير

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً أَزْوَاجًا يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ ﴿٦﴾

٣٩ الزمر

- الجملة بحرف التنبيه لإظهار كمال الاعتناء بمضمونها (خلقكم من نفس واحدة) بيان لبعض آخر من أفعاله ٦
- الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للإيذان باستقلاله في الدلالة واتعلقه بالعالم السفلي والبداءة بخلق الإنسان لمرافقته في الدلالة لما فيه من تعجيب آثار القدرة وأسرار الحكمة وأصالته في المعرفة فإن الإنسان بحال نفسه أعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله (ثم جعل منها زوجها) •
- عطف على محذوف هو صفة لنفس أى من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها أو على معنى واحدة أى من نفس وحدث ثم جعل منها زوجها فشفعها أو على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فإنهما وإن كانتا آيتين دالتين على ما ذكر لكن الأولى لاستمرارها صارت معتادة وأما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن قياس الأولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت أدخل في كونها آية وأجلب للتعجب من السامع فعطفت على الأولى ثم دلالة على مباينتها لها فضلاً ومنزلة وتراخيا عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالنمر ثم خلق منه حواء فقبه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم عليه والسلام بلا أب وأم وخلق حواء من قصيره ثم تشعب الخلق الفئات للحصر منهما وقوله تعالى (وأُنزل لكم) بيان لبعض آخر من أفعاله الدالة على ما ذكر أى قضى أو قسم لكم فإن قضايه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ وأحدث لكم بأسباب نازلة من السماء كالأمطار وأشعة الكواكب (من الأنعام ثمانية أزواج) ذكر أبو أنثى هي الإبل والبقر والضأن والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها وتقدير الطرفين على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر فإن كون الإنزال لنافعهم وكونه من الجهة العالية من الأمور المهمة المشوقة إلى ما أنزل لا محالة وقوله تعالى (يخلقكم في بطون أمهاتكم) استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم وأطواره المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع الدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى (خلقاً من بعد خلق) مصدر مؤكد أى يخلقكم فيها خلقاً كائناً من بعد خلق أى خلقاً مدرجاً حيواناً •
- سويّاً من بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقه من بعد نطفة (في ظلمات ثلاث) متعلق بخلقكم وهى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة أو •
- ظلمة الصلب والبطن والرحم (ذلكم) إشارة إليه تعالى باعتبار أفعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحلّ الرفع على الابتداء أى ذلكم العظيم الشأن الذى عدت أفعاله (الله) وقوله تعالى (ربكم) خبر آخر أى مربيكم فيما ذكر من الأطوار وفيما بعده ما لكم المستحق لتخصيص العبادة به (له الملك) على الإطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه

إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الْصُّدُورِ ﴿٣٩﴾

وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ

أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٤٠﴾

- من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى (لا إله إلا هو) والفاء في قوله تعالى (فإني تصرفون) لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شئونه تعالى أي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية إلى عبادة غيره من غير داع إليها مع كثرة الصوارف عنها (إن تكفروا) به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شئونه العظيمة الموجبة للإيمان والشكر
- (فإن الله غني عنكم) أي فاعلموا أنه تعالى غني عن إيمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما (ولا يرضى لعباده الكفر) أي عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره تعالى به (وإن تشكروا يرضه لكم) أي يرض الشكر لأجلكم ومنفعتكم لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به وإنما قيل لعباده لآلئكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرىء بإسكان الهاء (ولا تزر وازرة وزر أخرى) بيان لعدم سراية كفر الكافر إلى غيره أصلاً أي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى (ثم إلى ربكم مرجعكم) بالبعث بعد الموت (فينبئكم) عند ذلك (بما كنتم تعملون) أي كنتم تعملونه في الدنيا من أعمال الكفر والإيمان أي يجازيكم بذلك ثواباً وعقاباً (إنه عليم بذات الصدور) أي بمضمرات القلوب فكيف بالأعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبيه (وإذا مس الإنسان ضر) من مرض وغيره (دعا ربه منيباً إليه) راجعاً إليه بما كان يدعو به في حالة الرخاء لعل به بأنه بمنزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض أفرادهم كقوله تعالى إن الإنسان لظلم كفار (ثم إذا خوله نعمة منه) أي أعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخول وهو التعمد أي جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال إذا كان متعمداً له حسن القيام به أو من الخول وهو الافتخار أي جعله يخول أي يخال ويفتخر (نسي ما كان يدعو إليه) أي نسي الضر الذي كان يدعو الله تعالى فيما سبق إلى كشفه (من قبل) أي من قبل التخويل أو نسي ربه الذي كان يدعو به ويتضرع إليه لإمائه على أن ما بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والآنثى وقوله تعالى ولا أتم عابدون ما أعبد وإما إيذاناً بأن نسيانه بلغ إلى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلاً عن أن يعرفه من هو كما مر في قوله تعالى عما أُرْسِيت (وجعل لله أنداداً) شركاء في العبادة (ليضل) الناس بذلك (عن سبيله) الذي هو التوحيد وقرىء ليضل بفتح الياء أي يزداد ضلالاً أو يثبت عليه وإلا فأصل الضلال غير متأخر عن الجمل المذكور واللام اللام العاقبة كما في قوله تعالى

أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ إِنَّآَ الْبَلَّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾

٣٩ الزمر

فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً خلا أن هذا أقرب إلى الحقيقة لأن الجاعل ههنا قاصد بعمله المذكور حقيقة الإضلال والضلال وإن لم يعرف لجهله أنهما إضلال وضلال وأما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة أصلاً (قل) تهديداً لذلك الضال المضل وبياناً لحاله ومآله (تمتع بكفرك قليلاً) أى تمتعاً قليلاً أو زماناً قليلاً (إنك من أصحاب النار) أى من ملازميها والمغدين فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الإقنات من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة فمن حَقَّك أن تؤمر بتركه لتذوق عقوبته (أم من هو قانت آناء الليل) الخ من تمام الكلام ٩ المأمور به وأم إما متصلة قد حذف معادها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كأنه قيل له تأكيداً للتهديد وتهكماً به أنت أحسن حالا ومآلاً أم من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على أداء وظائف العبادات في ساعات الليل حالى السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدأبك حال كونه (ساجداً وقائماً) أى جامعاً بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه أدخل في معنى العبادة وقرى كلاهما بالرفع على أنه خبر بعد خبر (يحذر الآخرة) حال أخرى على الترادف أو التداخل أو استئناف وقع جواباً عما نشأ من حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كأنه قيل ما باله يفعل ذلك فقل يحذر عذاب الآخرة (ويرجو رحمة ربه) فينجو بذلك عما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينهى عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبثثة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضمير الراجي لا أنه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط وإما منقطعة وما فيها من الإضراب للانتقال من التهديد إلى التبكيت بتكليف الجواب الملقى إلى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كأنه قيل بل أم من هو قانت الخ أفضل أم من هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف (قل) بياناً للحق وتنبيهاً على شرف العلم والعمل (هل يستوى الذين يعلمون) حقائق الأحوال فيعملون بموجب علمهم كالقائات المذكور (والذين لا يعلمون) أى ما ذكر أو شيئاً فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدأبك والاستفهام للتنبيه على أن كون الأولين في أعلى معارج الخير وكون الآخرين في أقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على أحد من منصف ومكابرو قيل هو وارد على سبيل التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون وقوله تعالى (إنما يتذكر أولو الأبواب) كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به واردة من جهة تعالى بعد الأمر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تأثير هافى قلوب الكفرة باختلال عقولهم كما في قول من قال [عوجوا فخبوا النعمى دمنة الدار ما ذا تحيون من توى وأحجار] أى إنما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرى إنما يذكر بالإدغام .

قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ

إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٤٠﴾

وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤١﴾

- ١٠ (قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم) أمر رسول الله ﷺ بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة إثر تخصيص التذكر بأولى الأبواب إيداناً بأنهم هم كما سيصرح به أى قل لهم قولى هذا بعينه وفيه تشرىف لهم بإضافتهم إلى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشأن المأمور به فإن نقل عين أمر الله أدخل في إيجاب الامثال به وقوله تعالى (الذين أحسنوا) تعليل للأمر أو لوجوب الامثال به وإيراد الإحسان في حيز الصلة دون التقوى للإيدان بأنه من باب الإحسان وأنهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي قوله تعالى إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وقوله تعالى (في هذه الدنيا) متعلق بأحسنوا أى عملوا الأعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الإخلاص وهو الذى عبر عنه رسول الله ﷺ حين سئل عن الإحسان بقوله ﷺ أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك (حسنة) أى حسنة عظيمة لا يكتسبها ولا يكتسبها ولا يكتسبها ولا يكتسبها (وأرض الله واسعة) فمن تعمّر عليه التوفّر على التقوى والإحسان في وطنه فليهاجر إلى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الأنبياء والصالحين فإنه لا عذر له في التفريط أصلاً وقوله تعالى (إنما يوفى الصابرون) الخ ترغيب في التقوى المأمور بها وإيثار الصابرين على المتقين للإيدان بأنهم حائزون لفضيلة الصبر كجيازتهم لفضيلة الإحسان لما أشير إليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة ومتاعها أى إنما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعترام في ذلك من فنون الآلام والبلايا التى من جعلتها مهاجرة الأهل ومفارقة الأوطان (أجرهم) بمقابلة ما كابدوا من الصبر (بغير حساب) أى بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضى الله عنهما لا يهتدى إليه حساب الحساب ولا يعرف وفى الحديث أنه تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيؤتون بها أجورهم ولا تنصب لأهل البلاء بل يصب عليهم الأجر صبا حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرر بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل إنى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) أى من كل ما ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك أمر رسول الله ﷺ ببيان ما أمر به نفسه من الإخلاص في عبادة الله الذى هو عبارة عما أمر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الإتيان بما كلفوه وتمهيداً لما يعقبه مما
- ١٢ خوطب به المشركون (وأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) أى وأُمِرْتُ بذلك لأجل أن أكون مقدمهم

قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾

الزمر ٣٩

قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾

الزمر ٣٩

فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا

الزمر ٣٩

ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾

لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْْبَادُونَ

الزمر ٣٩

فَاتَّقُونَ ﴿١٦﴾

في الدنيا والآخرة لأن إحراز قصب السبق في الدين بالإخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الأول بتفقيه بالعلة والإشعار بأن العبادة المذكورة كما تقتضي الأمر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز أن تجعل اللام مزيدة كما في أردت لأن أقوم بدليل قوله تعالى أمرت أن أكون أول من أسلم قالعني وأمرت أن أكون أول من أسلم من أهل زمانى أو من قومي أو أكون أول من دعا غيره إلى مادعا إليه نفسه (قل إنى أخاف إن عصيت ربي) يترك الإخلاص والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك ١٣ (عذاب يوم عظيم) هو يوم القيامة وصف بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهي والأحوال (قل الله أعبد) ١٤ لا غيره لاستقلاله ولا اشتراكا (مخلصاً له ديني) من كل شوب أمر بشيء أولا ببيان كونه مأموراً بعبادة الله تعالى وإخلاص الدين له ثم بالإخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالإخبار بامتناله بالأمر على أبلغ وجه وآكده إظهاراً لتصلبه في الدين وحسباً لأطباعهم الفارغة وتمهيداً لتهديدهم بقوله تعالى (فاعبدوا ما شئتم) أن تعبدوه (من دونه) تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى ١٥ كأنهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه أمروا به كي يحل بهم العقاب (قل إن الخاسرين) أى الكاملين في الخسران الذى هو عبارة عن إضاعة ما يهيمه وإتلاف ما لا بد منه (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم) باختيارهم الكفر لها أى أضاعوها وأتلفوها (يوم القيامة) حين يدخلون النار حيث عرضوا للعذاب السرمدى وأوقعوها في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا أهليهم لأنهم إن كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا إياب بعده وفيه أن المحذور ذهاب ما لو أب لا تنفع به الخاسر وذلك غير متصور في الشق الأخير وقيل خسروهم لأنهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم في أهل الجنة وخسروا أهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا وأياً ما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما نذكر بل بيان أنهم هم إما بمحمل الموصول عبارة عنهم أو عما هم مندرجون فيه اندراجاً أولياً وما في قوله تعالى (ألا ذلك هو الخسران المبين) من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والإشارة بذلك إلى بعد منزلة المشار إليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال هول وفظاعته وأنه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى (لهم من فوقهم ١٦

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ ٣٩ الزمر
الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا
الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾

٣٩ الزمر

أَفَنَ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْفَذُ مِنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾

٣٩ الزمر

ظلل من النار) الخ نوع بيان لخسرانهم بعد تنهويله بطريق الإبهام على أن لهم خبر لظلال ومن فوقهم متعلق
بمحذوف قيل هو حال من ظلل والأظهر أنه حال من الضمير في الطرف المقدم ومن النار صفة لظلال
• أي لهم كائنة من فوقهم ظلال كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار (ومن تحتم) أيضاً (ظلال)
• أي أطباق كثيرة بعضها تحت بعض ظلال لآخرين بل لهم أيضاً عند ترددهم في دركاتها (ذلك) العذاب
• الفظيع هو الذي (يخوف الله به عباده) ويحذرهم إياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه (بأبعاد فانقون)
ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرىء
١٧ يا عبادي (والذين اجتنبوا الطاغوت) أي البالغ أقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين
بنى للبالغة في المصدر كالرحوت والعظمت ثم وصف به للبالغة في النعت والمراد به هو الشيطان (أن
• يعبدوها) بدل اشتغال منه فإن عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان إذ هو الأمر بها والمزين لها (وأنا بوا
إلى الله) وأقبلوا إليه معرضين عما سواه إقبالا كلياً (لهم البشري) بالثواب على السنة الرسل أو الملائكة
١٨ عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك (فبشر عباد) (الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه) هم الموصوفون بالاجتناب والإجابة بأعيانهم لكن وضع موضع ضمير الظاهر تشريفاً لهم
بالإضافة ودلالة على أن مدار انصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقاداً في الدين يميزون الحق من الباطل
• ويؤثرون الأفضل فالأفضل (أولئك) إشارة إليهم باعتبار انصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه
من معنى البعد الإيذان بمعلو رتبته وبعد منزلتهم في الفضل ومحل الرفع على الابتداء خبره ما بعده من
• الموصول أي أولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة (الذين هدام الله) للدين الحق (وأولئك هم أولو الألباب)
أي هم أصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة
١٩ على أن الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنفذ من
في النار) بيان لأحوال أضداد المذكورين على طريقة الإجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم
عبدة الطاغوت ومتبعو خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب فإن المراد بها
قوله تعالى لإبليس لا ملأ من جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم لا ملأ من
جهنم منكم أجمعين وأصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنفذه على أنها شرطية دخل عليها الهمزة
لإنكار مضمونها ثم الفاء لمطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة بعد الهمزة ليعلق الإنكار والنفي بمضمونيهما

لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢١﴾

٣٩ الزمر

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْحُطًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

٣٩ الزمر

- معاً أى أنت مالك أمر الناس فن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لنا كيد الإنكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الإنكار والاستبعاد والتنبيه على أن المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وأن اجتهاده بالتقوى في دعائهم إلى الإيمان سعى في إنقاذهم من النار ويجوز أن يكون الجزاء محذوفاً وقوله تعالى أفأنت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها وتشديد الإنكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائه إلى الإيمان بصورة الإنقاذ من النار كأنه قيل أولاً أفن حق عليه العذاب فأنت تخلّصه منه ثم شدد النكير فقيل أفأنت تنقذ من في النار وفيه تلويح بأنه تعالى هو الذى يقدر على الإنقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال استدرك منهم بقوله تعالى (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف) ٢٠ وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات الفاضلة وهم المخاطبون أيضاً فيها سبق بقوله تعالى يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية وبين أن لهم درجات طالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم أى لهم علالي بعضها فوق بعض (مبنية) بناء المنازل المبنية المؤسسة على الأرض في الرصانة والإحكام (تجرى من تحتها) من تحت تلك الغرف (الأنهار) من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعد الله) مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فإنه وعد وأى وعد (لا يخلف الله الميعاد) لا يستحالته عليه سبحانه (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) استئناف وارد لإماتة التمثيل ٢١ الحياة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من أحوال الزرع ترغيباً عن زخارفها وزينتها وتحذيراً من الاغترار بزهرتها كما في نظائر قوله تعالى إنما مثل الحياة الدنيا الآية أو للاستشهاد على تحقق الموعود من الأنهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من إنزال الماء من السماء وما يترتب عليه من آثار قدرته تعالى وأحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ماء في الأرض فهو من السماء يزل منها إلى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع (فسلكه) فأدخله ونظمه (ينبيع في الأرض) أى عيوناً ومجارى كالعروق في الأجساد وقيل مياهاً نابية فيها فإن ينبوع يطلق على المنبع والتابع فنصبها على الحال وعلى الأول بنزع الجار أى في ينبيع (ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه) أصنافه من بر وشعير وغيرهما أو كيفاته من الألوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للترأخى في الرتبة أو الزمان وصيغة المضارع لاستحضار
- ٣٢ - أبى السدود ٧٤

أَفَنَ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ قَوِيلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ
أَوَّلَتِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

٣٩ الزمر

• الصورة (ثم يهيج) أى يتم جفافه ويشرف على أن يشور من منابته (فتراه مصفراً) من بعد خضرته ونضرتة وقرى مصفراً (ثم يجعله حطاماً) فتأتا متكسرة كأن لم يغن بالأمس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علفت بحمل الله تعالى كالإخراج (إن فى ذلك) إشارة إلى ما ذكر تفصيلاً وما فيه من معنى البعد للإيدان ببعد منزلته فى الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه (لذكرى) لتذكيراً عظيماً (لاولى الألباب) لأصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلال وتنبهاً لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك أن حال الحياة الدنيا فى سرعة التقضى والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون بهجتها ولا يفتنون بفتنتها أو يحزمون بأن من قدر على إنزال الماء من السماء وإجرائه فى بناييع الأرض قادر على إجراء الأنهار من تحت الغرف هذا وأما ما قيل إن فى ذلك لتذكيراً وتنبهياً على أنه لا بد من صانع حكيم وأنه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل وإهمال فبمعزل من تفسير الآية الكريمة وإنما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الآثار الجليلة والأفعال الجميلة من غير إسناد لها إلى مؤثر ما لحيت ذكرت مسندة إلى الله عز وجل لعين أن يكون متعلق التذكير والتنبيه بشئونه تعالى أو شئون آثاره حسبما بين لا وجوده تعالى وقوله

٢٢ تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولى الألباب وشرح الصدر للإسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فإنه محل للقلب الذى هو منبع للروح التى تتعلق بها النفس القابلة للإسلام فأنشراحه مستعد لا تساع القلب واستضاءته بنوره فإنه روى أنه ﷺ قال إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقليل فما علامة ذلك قال ﷺ الإجابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للبوت قبل نزوله والكلام فى الهمزة والفاء كالذى مر فى قوله تعالى أفمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره أى خلقه متسع الصدر مستعداً للإسلام فبقى على الفطرة الأصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة الفادحة فيها (فهو) بموجب ذلك مستقر (على نور) عظيم (من ربه) وهو اللطف الإلهى الفاضل عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتمام بها إلى الحق كمن قسا قلبه وخرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغى والضلالة فأعرض عن تلك الآيات بالسكينة حتى لا يتذكر بها ولا يفتننهما (قويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أى من أجل ذكره الذى حقه أن تشرح له الصدور وتطمئن به القلوب أى إذا ذكر الله تعالى عندهم أو آياته اشتملوا من أجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجساً وقرى عن ذكر الله أى عن قبوله (أوائك) البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب (فى ضلال) بعد عن الحق (مبين) ظاهر كونه ضلالاً لكل أحد قليل نزلت الآية فى حمزة وعلى رضى الله عنهما وأبى لهب وولده وقيل فى عمار بن

اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾

٣٩ الزمر

- ياسر رضى الله عنه وأبى جهم وذويه (الله نزل أحسن الحديث) هو القرآن الكريم روى أن أصحاب رسول الله ﷺ ملوا مائة فقالوا له ﷺ حدثنا حديثاً وعن ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى أن فيه مندوحة عن سائر الأحاديث وفي إيقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم أحسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتأكيد استناده إليه تعالى وأنه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والنبيه على أنه وحى معجز مالا يخفى (كتاباً) بدل من أحسن الحديث أو حال منه سواء اكتسب من المضاف إليه تعريفاً أو لافان مساعجىء الحال من النكرة المضافة اتفاقاً ووقوعه حالاً مع كونه اسماً لصفة إما لا تصافه بقوله تعالى (متشابهاً) أو لكونه في قوة مكتوباً ومعنى كونه متشابهاً تشابه معانيه في الصحة والإحكام والابتناء على الحق والصدق واستنباع منافع الخلق في المعاد والمعيش وتناسب ألفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الإعجاز (مثنى) صفة أخرى لكتاباً أو حال أخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيته ووعدته ووعيدته ومواظله وقيل لأنه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعول من التثنية بمعنى التكرير والإعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين أى كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتاباً باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات ويجوز أن ينتصب على التمييز من متشابهاً كما يقال رأيت رجلاً حسناً شمائلاً أى شمائله والمعنى متشابهة مثنائه (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) قيل صفة لكتاباً أو حال منه لتخصصه بالصفة والإظهار أنه استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان أوصافه في نفسه ولتقرير كونه أحسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً أو تركيبه من القشع وهو الأديم اليابس قد ضم إليه الرائ ليسكون رباعياً ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده وقف شعره إذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغته والمراد إما بيان إفراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير أو بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى أنهم إذا سمعوا القرآن وقوارع آيات وعيده أصابتهم هيبه وخشية تقشعر منها جلودهم وإذا ذكروا رحمة الله تعالى تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أى ساكنة مطمئنة إلى ذكر رحمته تعالى وإنما لم يصرح بها ليداناً بأنها أول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى (ذلك) أى الكتاب الذى شرح أحواله (هدى الله يهدى به من يشاء) أن يهديه بصرف مقدوره إلى الهداء بتأمله فيما في تضاعيفه من شواهد الحقيقة ودلائل كونه من عند الله تعالى (ومن يضل الله) أى يخلق فيه الضلالة بصرف قدرته إلى مبادئها وإعراضه عما يرشده إلى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعيدته ووعدته أصلاً أو

أَفَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ الزمر ٣٩

كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ الزمر ٣٩

فَإِذَا قَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ الزمر ٣٩

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ الزمر ٣٩

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ الزمر ٣٩

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَبًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ الزمر ٣٩

- * ومن يخذل (فاله من هاد) يخلصه من ورطة الضلال وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجاء أثر هداة تعالى يهدى بذلك الأثر من يشاء من عباده ومن يضل أي ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه وإصراره ٢٤ على لجوره فاله من هاد من مؤثر فيه بشيء قط (أفن يتقى بوجهه) الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تبين حالي المهتدي والضال والكلام في الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذي مر في نظيره والتقدير *
- * أكل الداس سواء فن شأنه أنه بقي نفسه بوجهه الذي هو أشرف أعضائه (سوء العذاب) أي العذاب السيء الشديد (يوم القيامة) لكون يده التي بها كان يتقى المكروه والخوف مغلولة إلى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج إلى الاتقاء بوجهه من الوجوه وقيل نزلت في أبي جهل (وقيل للظالمين) عطف على يتقى أي ويقال لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي الدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقى بإضمار قد ووضع المظهر في مقام المضمحل للتسجيل عليهم بالظلم والإشعار بعله الأمر في قوله تعالى (ذوقوا ما كنتم تكسبون) أي وبال ما كنتم تكسبون في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي ٢٥ (كذب الذين من قبلهم) استئناف مسوق لبيان ما أصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي لإثبات ما يصيب الكل من العذاب الآخروي أي كذب الذين من قبلهم من الأمم السالفة (فأنهم العذاب) المقدر لكل أمة منهم (من حيث لا يشعرون) من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم لإثبات الشر منها ٢٦ (فإذا قهم الله الخزي) أي الذل والصغار (في الحياة الدنيا) كالمسخ والحسف والقتل والى والإجلاء ونحو ذلك من فنون النكال (وللعذاب الآخرة) المعد لهم (أكبر) لشدة وسرمديته (لو كانوا يعلمون) ٢٧ أي لو كان من شأنهم أن يعلموا شيئاً لعلموا ذلك واعتبروا به (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) ٢٨ (مثل) يحتاج إليه الناظر في أمور دينه (لعلهم يتذكرون) كي يتذكروا به ويتعظوا (قرآنًا عربياً) حال مؤكدة من هذا على أن مدار التأكيده هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلاً صالحاً أو مدح له (غير ذي عوج) لا اختلاف فيه بوجهه من الوجوه فهو أبلغ من المستقيم وأخص بالمعاني وقيل المراد بالعوج الشك ٢٩ (لعلهم يتقون) آلة أخرى مترتبة على الأولى (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه إيراد شركاء متشاكسون)

٣٩ الزمر

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾

٣٩ الزمر

ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

لمثل من الأمثال القرآنية بعد بيان أن الحكمة في ضربها هو التذكير والاعتاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل ههنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر في سورة يس ومثلاً مفعول ثان لضرب ورجلاً مفعوله الأول آخر عن الثاني للتشويق إليه ولينصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له وبيان أنه في الأصل كذلك مما لا حاجة إليه والجملة في حيز النصب على أنه وصف لرجلا أو الوصف هو الجبار والمجور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف فالمعنى جعل الله تعالى مثلاً للشرك حسبها يقود إليه مذهبه من ادعاء كل معبوديه عبوديته عبداً يشارك فيه جماعة يتجاذبون ويتعاورون في مهماتهم المتباينة في تحييره وتوزع قلبه (ورجلاً) أى وجعل للوحد مثلاً رجلاً (سليماً) أى خالصاً (لرجل) فرد ليس بغيره عليه سبيل أصلاً وقرىء سليماً بفتح السين وكسرها مع سكون اللام والكل مصادر من سلم له كذا أى خلص نعت بها مباغة أو حذف منها ذو وقرىء سالماً وسالم أى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لأنه أفطن لما يجرى عليه من الضر والنفع (هل يستويان مثلاً) إنكار واستبعاد لاستوائهما ونفى له على أبلغ وجه وآ كده وإيدان بأن ذلك من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر أحد أن يتفوه باستوائهما أو يتلغم في الحكم بتباينهما ضرورة أن أحدهما في أعلى عليين والآخر في أسفل سافلين وهو السر في إيهام الفاضل والمفضول وانتصاب مثلاً على التمييز أى هل يستوى حالهما وصفتهما والاختصار في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرىء مثلين كقوله تعالى أكثر أموالاً وأولاداً للإشعار باختلاف النوع ولأن المراد هل يستويان في الوصفين على أن الضمير للمثليين لأن التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى (الحمد لله) تقرير لما قبله من نفي الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه الموحدين على أن ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى وأنها نعمة جليلة موجهة عليهم أن يداموا على حمده وعبادته أو على أن يبينه تعالى بضرب المثل أن لهم المثل الأعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لمحده وعبادته وقوله تعالى (بل أكثرهم لا يعلمون) إضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) تمهيد لما يعقبه من الاختصاص يوم القيامة وقرىء مائت ومائتون ٣٠ وقبل كانوا يتربصون برسول الله ﷺ موته أى إنكم جميعاً بصدد الموت (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم) أى مالك أموركم (تختصمون) فتحتاج أنت عليهم بأنك بلغتهم ما أرسلت به من الأحكام والمواظ التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الآيات واجتهدت في الدعوة إلى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصاص العام الجاري في الدنيا بين الأنام والأول هو الأظهر لأن نسب بقوله

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾

٣٩ الزمر

٣٩ الزمر

وَالَّذِي جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ بِهِ ءَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾

٣٩ الزمر

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾

لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ٣٩ الزمر

٣٢ تعالى (فمن أظلم ممن كذب على الله) فإنه إلى آخره مسوق لبيان حال كل من طر في الاختصاص الجارى في شأن الكفر والإيمان لا غير أى أظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بأن أضاف إليه الشريك والولد (وكذب بالصدق) أى بالامر الذى هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي ﷺ (إذ جاءه) أى فى أول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تأمل (أليس فى جهنم مثوى للكافرين) أى لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا إلى التكذيب بالصدق من أول الامر والجمع باعتبار معنى من كما أن الأفراد فى الضمائر السابقة باعتبار لفظها أو لجنس الكفرة وهم داخلون فى الحكم دخولا أولياً (والذى جاء بالصدق وصدق به) الموصول عبارة عن رسول الله ﷺ ومن تبعه كما أن المراد فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عليه الصلاة والسلام وقومه وقيل عن الجنس المتناول الرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله عنه والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف هو الفوج أو الفريق (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الحجى بالصدق والتصديق به (هم المتقون) المنعوتون بالتقوى التى هى أجل الرغائب وقرىء وصدق به بالتخفيف أى صدق به الداس فأداه إليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقاً به أى بسببه لأن ما جاء به من القرآن معجزة دالة على صدقه ﷺ وقرىء صدق به على البناء للمفعول (لهم ما يشاءون عند ربهم) بيان لما لهم فى الآخرة من حسن المآب بعد بيان ما لهم فى الدنيا من محاسن الأعمال أى لهم كل ما يشاءون من جلب المنافع ودفع المضار فى الآخرة لا فى الجنة فقط لما أن بعض ما يشاءونه من تكفير السيئات والأمن من الفزع الأكبر وسائر أهوال القيامة إنما يقع قبل دخول الجنة (ذلك) الذى ذكر من حصول كل ما يشاءونه (جزاء المحسنين) أى الذين أحسنوا أعمالهم وقد مر تفسير الإحسان غير مرة وقوله تعالى (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) الخ متعلق بقوله تعالى لهم ما يشاءون لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة أن التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاءون لهم فى الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فخواه فإنه حيث لم يكن إخباراً بما ثبت لهم فيها مضى بل بما سيثبت لهم فيها سيأتى كان فى معنى الوعد به كما مر فى قوله تعالى وعد الله فإنه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فإنه فى معنى وعدم الله غرقاً فانتصب به وعد الله كأنه قيل

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ

هَادٍ ﴿٣٦﴾

٣٩ الزمر

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾

٣٩ الزمر

- وعدم الله جميع ما يشاهدونه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذي عملوا دفعاً لمضارهم (ويجزئهم أجراً بأحسن الذي كانوا يعملون) إعطاء لمنافعهم وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لإبراز كمال الاعتناء بضمون الكلام وإضافة الأسوأ والأحسن إلى ما بعدهما ليست من قبيل إضافة المفضل إلى المفضل عليه بل من إضافة الشيء إلى بعضه للقصد إلى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه وإنما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف إليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناص والأشج أعدا لابي مروان خلا أن الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الأول بالنظر إلى ما يليق بحالهم من استعظام سيناتهم وإن قلت واستصغار حسناتهم وإن جلت والثاني بالنظر إلى لطف أكرم الأكرمين من استكثار الحسنة السيرة ومقابلتها بالثواب الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وإن أمكن في الأول بناء على أن تخصيص الأسوأ بالذكر لبيان تكفير مادونه بطريق الأولوية ضرورة استلزام تكفير الأسوأ لتكفير السيء لكن لما لم يكن ذلك في الأحسن كان الأحسن نظماً ما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الأول للإبذان باستمرارهم على الأعمال الصالحة بخلاف السيئة (أليس الله بكاف عبده) إنكار ونفي لعدم كفايته تعالى على أبلغ وجه وآكده كأن الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر أحد على أن يتفوه بعدها أو يتلعم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد إمام رسول الله ﷺ أو الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاماً أولاً ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذا قراءة من قرأ بكاف عباده على الإضافة وبكاف عباده صيغة المغالبة إما من الكفاية لإفادة المبالغة فيها وإما من المكافأة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عما قالت له قريش إنا نخاف أن تحبلك آلهتنا ويصيبك ضررنا العيبك إياها وفي رواية قالوا أنت كفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبك منهم خيل أو جنون كما قال قوم هود إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى (ويخوفونك بالذين من دونه) أي الأوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال (ومن يضل الله) حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له ﷺ وخوفه بما لا ينفع ولا يضر أصلاً (فأله من هاد) يهديه إلى خير ما (ومن يهد الله فما له من مضل) ٣٧ يصرفه عن مقصده أو يصيبه بسوء يخل بسلوكة إذ لا راد لفعله ولا معارض لإرادته كما ينطق به قوله تعالى (أليس الله بعزیز) غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع (ذی انتقام) ينتقم من أعدائه لا ولياته وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة .

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

الزمر ٣٩

قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

الزمر ٣٩

مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾

الزمر ٣٩

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَلِنَافْسِهِ يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾

الزمر ٣٩

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

الزمر ٣٩

- ٣٨ (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) لوضح الدليل وسنوح السبيل (قل) تبكيئاً لهم (أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره) أى بعد ما تحققتم أن خالق العالم العلوى والسفلى هو الله عز وجل فأخبروني أن آلهتكم إن أرادني الله بضر هل يكشفن عن ذلك الضر (أو أرادني برحمة) أى أو أرادني بنفع (هل هن ممسكات رحمته) فيمنعنها عنى وقرىء كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق لإرادة الضر والرحمة بنفسه عليه الصلاة والسلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرفة الأوثان ولما فيه من الإيذان بإحاطة النصيحة
- (قل حسبي الله) أى في جميع أمورى من إصابة الخير ودفع الشر روى أنه ﷺ لما سألهم سكتوا فنزل ذلك (عليه يتوكل المتوكلون) لا على غيره أصلاً لعلمهم بأن كل ما سواه تحت ملكوته تعالى (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) على حالتكم التى أنتم عليها من العداوة التى تمسكنتم فيها فإن المسكنة تستعار من العين للمعنى كما تستعار هنا وحيث الزمان مع كونهما للسكان وقرىء على مكاناتكم (إنى عامل) أى على مكانتى لحذف الاختصار والمبالغة فى الوعيد والإشعار بأن حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأيدته ولذلك توعدهم بكونه منصوراً عليهم فى الدارين بقوله تعالى (فسوف تعلمون) (من يأتية عذاب يخزيه) فإن خزي أعدائه دليل غلبته عليه الصلاة والسلام وقد عذبهم الله تعالى وأخزاهم يوم بدر (ويحل عليهم عذاب مقيم) أى دائم هو عذاب النار (إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس) لأجلهم فإنه مناط مصالحهم فى المعاش والمعاد (بالحق) حال من فاعل أنزلنا أو من مفعوله (فمن اهتدى) بأن عمل بما فيه (فلنفسه) أى إنما نفع به نفسه (ومن ضل) بأن لم يعمل بموجبه (فإنما يضل عليها) لما أن وبال ضلاله مقصور عليها (وما أنت عليهم بوكيل) لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك إلا البلاغ وقد بلغت أى بلاغ (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها) أى يقبضها من الأبدان

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ الزمر ٣٩
 قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ الزمر ٣٩
 وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
 يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ الزمر ٣٩

- بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها إما ظاهراً وباطناً كما عند الموت أو ظاهراً فقط كما عند النوم (فيمسك التي قضى عليها الموت) ولا يردّها إلى البدن وقرىء على البناء للفعول ورفع الموت (ويرسل الأخرى) أى النائمة إلى بدنّها عند النيقظ (إلى أجل مسمى) هو الوقت المضروب لموته وهو غايبة لجنس الإرسال الواقع بعد الإمساك لا لفرد منه فإن ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما إن فى ابن آدم نفساً وروحاً بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هى التى بها العقل والتمييز والروح هى التى بها النفس والتحريك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكر (إن فى ذلك) أى فيما ذكر من التوفى على الوجهين والإمساك فى أحدهما والإرسال فى الآخر (لآيات) عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته (لقوم يتفكرون) فى كيفية تعلقها بالآيدان وتوفيقها عنها تارة بالكليّة كما عند الموت وإمساكها باقية لا تنفى بفنائها وما يعترىها من السعادة والشقاوة وأخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وإرسالها حيناً بعد حين إلى انقضاء آجالها (أم ٤٣ اتخذوا) أى بل اتخذ قريش (من دون الله) من دون إذنه تعالى (شفعاء) تشفع لهم عنده تعالى (قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون) الهمة لإنكار الواقع واستقبحه والتوبيخ عليه أى قل أتتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئاً من الأشياء ولا يعقلونه فضلاً عن أن يملكوا الشفاعة عند الله تعالى أو هى لإنكار الوقوع ونفيه على أن المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الشفعاء فى شيء لأنه فرع كون الأوثان شفعاء وذلك أظهر المحالات فالقدر حينئذ غير ما قدر أو لا وعلى أى تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكورة عليها أى أيشفعون لو كانوا يملكون شيئاً ولو كانوا لا يملكون الخ وجواب لو محذوف لدلالة المذكور عليه وقدر تحقيقه مراراً (قل) بعد تبكيثهم وفهميلهم بما ذكر تحقيقاً ٤٤ للحق (فه الشفاعة جميعاً) أى هو مالكها لا يستطيع أحد شفاعة ما إلا أن يكون المشفع له مرضى والشفيع مأذوناً له وكلاهما مفقود ههنا وقوله تعالى (له ملك السموات والأرض) تقرير له وتأكيد أى له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك أحد أن يتكلم فى أمر من أموره بدون إذنه ورضاه (ثم إليه ترجعون) يوم القيامة لا إلى أحد سواه لا استقلالاً ولا اشتراكاً فيفعل يومئذ ما يريد (وإذا ذكر الله وحده) دون آلهتهم ٤٥ (اشتازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى انقبضت ونفرت كما فى قوله تعالى وإذا ذكر ربك فى القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً (وإذا ذكر الذين من دونه) فرادى أو مع ذكر الله تعالى (إذا هم يستبشرون) لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ فى بيان حالهم القبيحتين حيث

قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

الزم

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَالٌ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

الزم

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾
فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾

الزم

بين الغاية فيهما فإن الاستبشار هو أن يمتلي القلب سروراً حتى يندسط له بشرة الوجه والاشتمزاز أن
يتملى غيظاً وغماً ينقبض منه أديم الوجه والعامل في إذا الأولى اشتمازت وفي الثانية ماهو العامل في إذا
المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار (قل اللهم فاطر السموات والأرض
عالم الغيب والشهادة) أي التجيء إليه تعالى بالدعاء لما تحيرت في أمر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم
في المكابرة والعناد فإنه القادر على الأشياء بمحملتها والعالم بالأحوال برمتها (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا
فيه يخْتَلِفُونَ) أي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل حات مارد وهو العذاب الدنيوي أو الآخروي
وقوله تعالى (ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً) الخ كلام مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم
الذي استدعاه النبي ﷺ وغاية شدته وفضاعته أي لو أن لهم جميع ما في الدنيا من الأموال والذخائر
(ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة) أي لجعلوا كل ذلك فدية لأنفسهم من العذاب
الشديد وهيئات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد وإقناط كـ (لهم من الخلاص) (وبدأ لهم
من الله مالم يكونوا يحسبون) أي ظهر لهم من فنون العقوبات مالم يس في حسابهم وهذه غاية من
الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وبدأ لهم
سيئات ما كسبوا) سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض عليهم محائفهم (وحاق بهم ما كانوا يستهزئون)
أي أحاط بهم جزاؤه (فإذا مس الإنسان ضرر دعا) إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفرادهم والقاء
لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على مامر من حالتهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكداً
للإنكار عليهم أي إنهم يشتمزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فإذا مسهم ضرر
دعوا من اشتمزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره (ثم إذا خولناه نعمة منا) أعطيناها إياها تفضلاً
فإن النحريل مخصص لا يطلق على ما أعطى جزاء (قال إنما أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ) أي على علم مني بوجوه كسبه
أو أني أعطاه لما لي من الاستحقاق أو على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي والماء لما إن جعلت
موصولة وإلا فلنعمة والتذكير لما أن المراد شيء من نعمته (بل هو فتنة) أي محنة وابتلاء له أي شكر

قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ

بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾

أُولَئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

٣٩ الزمر

- أم يكفر وهو رد لما قاله وتغيير السبك للبالغة فيه والإيدان بأن ذلك ليس من باب الإيتاء المنبئ عن الكرامة وإنما هو أمر مبان له بالكلية وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة أو باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الأمر كذلك وفيه دلالة على أن المراد بالإنسان هو الجنس (قد قالها الذين من قبلهم) الهاء لقوله إنما أو تيته على علم لأنها كلمة أو جملة وقرئ بالتذكير والموصول عبارة عن قارون وقومه حيث قال إنما أو تيته على علم عندي وهم راضون به (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ويجمعون منه (فأصابهم سيئات ما كسبوا) جزاء سيئات أعمالهم أو أجزية ما كسبوا وتسميتها سيئات لأنها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا من هؤلاء) المشركين ومن اللبان أو للتبعض أى أفرطوا في الظلم والعنوا (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) من الكفر والمعاصي كما أصاب أولئك والسین للتأكيد وقد أصابهم أى إصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر (وما هم بمُعْجِزِينَ) أى فائتين (أو لم يعلموا) أى أقالوا ذلك ولم يعلموا أو أغفلوا ولم يعلموا (أن الله يبسط الرزق لمن يشاء) أن يبسطه له (ويقدر) لمن يشاء أن يقدره له من غير أن يكون لأحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعمائة بسطه لهم سبعمائة (إن في ذلك) الذى ذكر (آيات) دالة على أن الحوادث كافة من الله عز وجل (لقوم يؤمنون) إذ هم المستدلون بها على مدلولاتها (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) أى أفرطوا فى الجناية عليها بالإسراف فى المعاصي وإضافة العباد تخصه بالموثنيين على ما هو عرف القرآن الكريم (لا تقنطوا من رحمة الله) أى لا تيأسوا من مغفرته أولا ولا تفضله ثانياً (إن الله يغفر الذنوب جميعاً) عفوا لمن يشاء ولو بعد حين بتعذيب فى الجملة وبغيره حسبما يشاء وتقيدته بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر فى الإطلاق فيما عدا الشرك وما يدل عليه التعليل بقوله تعالى (إنه هو الغفور الرحيم) على المبالغة وإقادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعى عموم المغفرة مما فى عبادى من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الإسراف بأنفسهم والنهي عن القنوط مطلقاً عن الرحمة فضلاً عن المغفرة وإطلاقها وتعليله بأن الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع

وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾
وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْثَةً وَأَنْتُمْ لَا

تَشْعُرُونَ ﴿٤٠﴾ ٣٩ الزمر

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٤١﴾ ٣٩ الزمر

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٢﴾ ٣٩ الزمر

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٣﴾ ٣٩ الزمر

بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٤﴾ ٣٩ الزمر

الضمير لدلالته على أنه المستغنى والمنعم على الإطلاق والتأكيد بالجميع وما روى من أسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضى اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل أكرم الفضلاء أكرم الكاملين غير مسلم فكيف فيها هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الأمر بالتوبة والإخلاص في قوله تعالى (وأنبيوا إلى ربكم وأسئلو الله من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) ٥٤ إذ ليس المدعى أن الآية تدل على حصول المغفرة لكل أحد من غير توبة وسبق لعذاب لتغنى عن الأمر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) أى القرآن أو المأمور به دون المنهى عنه أو العزائم دون الرخص أو الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو أنجى وأسلم كالإلانة والمواظبة على الطاعة (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأتم لا تشعرون) بمجيئه لتتداركوا وتأنهوا ٥٥ له (أن تقول نفس) أى كراهة أن تقول والتكثير للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت فإنه مسلك ربما يسلك عند إرادة التكثير والنعيم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر (ياحسرنا) بالآلف بدلا من ياء الإضافة وقرئ ياحسرتاه بهاء السكت وقفاً وقرئ ياحسرتاى بالجمع بين العوضين وقرئ ياحسرتى على الأصل أى احضرى فهذا أو ان حضورك (على ما فرطت) أى على تفريطى وتقصيرى (فى جنب الله) أى جانبه وفى حقه وطاعته وعليه قول من قال [أما تتقن الله فى جنب وابق له كبد حرى وعين تفرق] وهو كناية فيها مبالغة وقيل فى ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة وقيل فى قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ فى ذكر الله (وإن كنت لمن الساخرين) أى المستهزئين بدين الله تعالى وأهله ومحل الجملة النصب على الحال أى فرطت وأنا ساخر (أو تقول لو أن الله هدانى) بالإرشاد إلى الحق (لكننى من المتقين) الشرك والمعاصى (أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة) رجعة إلى الدنيا (فأكون من المحسنين) فى العقيدة والعمل وأو الدلالة على أنها لا تظلو ٥٦ عن هذه الأقوال تحسراً وتحيراً وتعللاً بما لا طائل تحته وقوله تعالى (بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله لو أن الله هدانى من معنى التنى

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ الزمر ٣٩
وَيَجِبَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ الزمر ٣٩

اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ الزمر ٣٩
لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ الزمر ٣٩

- وفضله عنه لما أن تقدمه يفرق القرائن وتأخير الردود يخل بالترتيب الوجودى لأنه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من إسناد الفعل إليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتأنيث (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) بأن وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد (وجوهم مسودة) بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال قدا كتفى فيها بالضمير عن الواو على أن الرؤية بصرية أو مفعول ثان لها على أنها عرفانية (أليس في جهنم مثوى) أى مقام (للمتكبرين) عن الإيمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك (وينجى الله الذين اتقوا) الشرك والمعاصى أى من جهنم وقرئ ينجى من الإنجاء (بمفازتهم) مصدر ميمى إما من فاز بالمطلوب أى ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنته تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب أى ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذى هو الجنة وقوله تعالى (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) إما حال أخرى من الموصول أو من ضمير مفازتهم مفيدة لكون نجاتهم أو فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن وإما من فاز منه أى نجا منه والباء للبابسة وقوله تعالى لا يمسهم إلى آخره تفسير وبيان لمفازتهم أى ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم أى بنفى السوء والحزن عنهم أو للسببية إما على حذف المضاف أى ينجيهم بسبب مفازتهم التى هى تقواهم كما يشعر به إirاده فى حيز الصلة وإما على إطلاق المفازة على سببها الذى هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مراراً (الله خالق كل شىء) ٦٢ من خير وشر وإيمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لأسبابها (وهو على كل شىء وكيل) يتولى التصرف فيه كيفما يشاء (له مقاليد السموات والأرض) لا يملك أمرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره ٦٣ وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لأن الخزان لا يدخلها ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها وهو جميع مقلد أو مقلاد من قلده إذا ألزمته وقيل جمع أقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضى الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن المقاليد فقال ﷺ تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير والمعنى على هذا أن الله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والأرض من تكلم بها أصابه (والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون) متصل بما قبله والمعنى أن الله تعالى خالق لجميع الأشياء •

قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾

٣٩ الزمر

وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾

٣٩ الزمر

بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾

٣٩ الزمر

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ

٣٩ الزمر

بِيمِينِهِ ۚ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

- ومتصرف فيها كيفما يشاء بالإحياء والإماتة بيده مقاليد العالم العلوى والسفلى والذين كفروا بآياته
التكوينية المنصوبة في الأفاق والانس والتزلية التي من جملتها تيك الآيات اللاطقة بذلك هم الخاسرون
٦٤ خسراناً لا خسار وراه هذا وقيل هو متصل بقوله تعالى وينجى الله وما بينهما اعتراض فتدبر (قل
أغفر الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون) أي أبعد مشاهدة هذه الآيات غير الله أعبد وتأمروني اعتراض
للدلالة على أنهم أمروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا تؤمن بإهلك لفرط غباوتهم ويجوز أن
ينتصب غير بما يدل عليه تأمروني أعبد لأنه بمعنى تعبدوني وتقولون لي أعبد على أن أصله تأمروني أن
أعبد لحذف أن ورفع ما بعدهما كما في قوله [ألا أي هذا الزاجرى أحضر الوغى * وأن أشهد الذات هل
أنت مخدئ] ويؤيده قراءة أعبد بالنصب وقرئ تأمروني بإظهار النونين على الأصل وبحذف الثانية
٦٥ (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك) أى من الرسل عليهم السلام (لئن أشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين) كلام وارد على طريقة الفرض لتبيين الرسل وإفناط الكفرة والإيدان بغاية
شناعة الإشرار وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن أن يباشره فكيف بمن عداه وإفراد
الخطاب باعتبار كل واحد واللام الأولى موطئة للقسم والآخران للجواب وإطلاق الإحباط يحتمل
أن يكون من خصائصهم عند الإشرار لأن الإشرار منهم أشد وأقبح وأن يكون مقيداً بالموت كما صرح به
في قوله تعالى من يرتدد منكم عن دينه فیمت وهو كافراً أولئك حبطت أعمالهم وعطف الخسران عليه من
٦٦ عطف المسبب على السبب (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك
٦٧ (وكن من الشاكرين) إنعامه عليك وفيه إشارة إلى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه (وما قدرُوا الله
حق قدره) ما قدرُوا عظمتَه تعالى في أنفسهم حق عظمتَه حيث جملوا له شريكاً ووصفوه بما لا يليق
* بشئونه الجليلة وقرئ بالتشديد (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه) تنبيه
على غاية عظمتَه وكَمال قدرته وحقارة الأفعال العظام التي تنحير فيها الأوهام بالنسبة إلى قدرته تعالى
ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين
حقيقة ولا مجازاً كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض أطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾

٣٩ الزمر

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾

٣٩ الزمر

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

٣٩ الزمر

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَيْسَ لَكُم رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾

٣٩ الزمر

- المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضة وقرىء بالنصب على الظرف تشبيهاً للوقت بالمهم وتأكيد الأرض بالجميع لأن المراد بها الأرضون السبع أو جميع أبعاضها البادية والغائرة وقرىء مطويات على أنها حال والسموات معطوفة على الأرض منظومة في حكمها (سبحانه وتعالى عما يشركون) ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم أو عما يشركونه من الشركاء. (ونفخ في الصور) ٦٨ هي النفخة الأولى (فصعق من في السموات ومن في الأرض) أي خروا أمواتاً أو غشياً عليهم (إلا من شاء الله) قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل فإنهم لا يموتون بعد وقيل حملة العرش (ثم نفخ فيه أخرى) نفخة أخرى هي النفخة الثانية وأخرى يحتمل النصب والرفع (فإذام قيام) قائمون من قبورهم أو متوقفون وقرىء بالنصب على أن الخبر (ينظرون) وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمهوتين أو ينتظرون ما يفعل بهم (وأشرفت الأرض بنور ربها) بما أقام فيها من العدل استعير له النور ٦٩ لأنه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيامة ولذلك أضيف الاسم الجليل إلى ضمير الأرض أو بنور خلقه فيها بلا توسط أجسام مضيئة ولذلك أضيف إلى الاسم الجليل (ووضع الكتاب) الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه أو صحائف الأعمال في أيدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف (وجيء بالنبيين والشهداء) الأهم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون (وقضى بينهم) بين العباد (بالحق وهم لا يظلمون) بنقص ثواب أو زيادة عقاب على ما جرى به الوعد (ووفيت كل نفس ما عملت) ٧٠ أي جزاءه (وهو أعلم بما يفعلون) فلا يفوته شيء من أفعالهم وقوله تعالى (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً) الخ تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها أي سيقوا إليها بالعنف والإهانة أفواجا متفرقة بعضها في إثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو

قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ٣٩ الزمر

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبَّعْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٧﴾ ٣٩ الزمر

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ

الْعَامِلِينَ ﴿٧٨﴾ ٣٩ الزمر

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ

لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ ٣٩ الزمر

- الصوت إذ الجماعة لا تخلو عنه (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها) ليدخلوها وحتى هي التي تحكى بعدها
- الجملة وقرىء بالشديد (وقال لهم خزناتها) تقييماً وتوبيخاً (ألم يأتكم رسل منكم) من جنسكم وقرىء
- نذر منكم (يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار
- وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا توبيخهم بإتيان الرسل وتبليغ الكتب
- (قالوا بلى) قد أنونا وأنذرونا (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) حيث قال الله تعالى لإبليس
- لا ملأ من جهم منك ومن تبعك منهم أجمعين وقد كنا من أتبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء إن
- أنتم إلا تكذبون (قيل ادخلوا أبواب جهم خالدين فيها) أى مقدراً خلودكم فيها وإلهاهم القائل لتحويل
- المقول (فبئس مَثْوًى المتكبرين) اللام للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفاً أى فبئس
- مَثْوًى جهم ولا يقدح مافيه من الإشعار بأن كون مَثْوًى جهم لتكبرهم عن الحق فى أن دخولهم النار
- لسبق كلمة العذاب عليهم فإنها إنما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مرت تحقيقه فى سورة الم
- السجدة (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة) مساق لإعزاز وتشريف للإسراع بهم إلى دار الكرامة
- ٧٢ وقيل سبق مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا ركبهم (زمرأ) متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم فى الفضل
- وعلو الطبقة (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) وقرىء بالشديد وجواب إذا محذوف للإيذان بأن لهم
- حينئذ من فنون الكرامات ما لا يصدق به نطق العبارات كأنه قيل حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها
- (وقال لهم خزناتها سلام عليكم) من جميع المكارم والآلام (طبعتم) طهرتم من دنس المعاصى أو طبعتم نفساً بما
- ٧٤ أتيح لكم من النعيم (فادخلوها خالدين) كان ما كان بما يقصر عنه البيان (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده)
- بالبعث والثواب (وأورثنا الأرض) يريدون المكان الذى استقروا فيه على الاستعارة وإبرائها تملكها
- مخلفة عليهم من أعمالهم أو تمكنهم من التصرف فيها تمكن الوارث فيما يرثه (نتبوا) اتبعوا من الجنة حيث
- نشاء (أى اتبعوا كل واحد منا فى أى مكان أراد من جنته الواسعة على أن فيها مقامات معنوية لا يتنازع
- ٧٥ واردوها (فنعم أجر العاملين) الجنة (وترى الملائكة حافين) محذوقين (من حول العرش) أى حوله

٤٠ - سورة غافر
(مكية وآياتها خمس وثمانون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم

٤٠ غافر

٤٠ غافر

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١﴾

غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ ٤٠ غافر

- ومن مزيدة أو لا ابتداء الخوف (يسبحون بحمد ربهم) أي يزهونه تعالى عما لا يليق به متباسين بحمده
- والجملة حال ثانية أو مقيدة للأولى والمعنى ذا كرين له تعالى بوصف جلاله وإكرامه تالذذاً به وفيه إشعار بأن أقصى درجات العليين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في شئونه عز وجل (وقضى بينهم بالحق) أي بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي على ما قضى بيننا بالحق وأنزل كلامنا منزلته التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضى بينهم أو الملائكة وطى ذكرهم لتعظيمهم وتعظيمهم . عن النبي ﷺ من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاءه يوم القيامة وأعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ كان يقرأ كل ليلة بنى إسرائيل والزمر .

(سورة غافر مكية وآياتها خمس وثمانون آية)

- ١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) بتفخيم الألف وتسكين الميم وقرىء بإمالة الألف وإخراجها بين بين وفتح الميم لالتقاء الساكنين أو نصبها بإضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف وكونها على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام فيه وفي قوله تعالى (تنزيل الكتاب) كالذي سلف في ألم السجدة وقوله تعالى (من الله العزيز العليم) كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لنعق العزة والعلم ما ذكر هناك (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول) إما صفات آخر لتحقيق ما فيها من ٣
- الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والإضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أو الشديد عقابه بحذف اللام للاندواج وأمن الالتباس أو إبدال وجعله وحده بدلاً كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لأن الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فإن الناب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها

مَا يَجِدُلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبَلَدِ ④
 كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ
 لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ⑤
 وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ⑥

ورجحها (لا إله إلا هو) فيجب الإقبال الكلي على طاعته في أوامره ونواهيه (إليه المصير) لحسب
 ٤ لا إلى غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً فيجزى كلاماً من المطيع والعاصي (ما يجادل في آيات الله) أي بلطعن
 فيها واستعمال المقدمات الباطلة لإدحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق (إلا
 الذين كفروا) بهار أما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شبهة منها فضلاً عن الطعن فيها وأما الجدل فيها
 لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في مضائق الأنعام
 ومزائق الأقدام وإبطال شبه أهل الزيغ والضلال فمن أعظم الطاعات ولذلك قال ﷺ إن جدالاً في
 القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى (فلا يغررك تَقْلُبُهُمْ في البلاد)
 لترتيب النهي أو وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء أمقت منه عند
 الله تعالى ولا أجلب لحسran الدنيا والآخرة فإن من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا
 ٥ وزخارفها فإنهم مأخوذون عما قليل أخذ من قبلهم من الأمم حسبما ينطق به قوله تعالى (كذبت قبلهم
 قوم نوح والأحزاب من بعدهم) أي الذين تحزبوا على الرسل وناصرهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود
 * وأضرابهم (وهمت كل أمة) من تلك الأمم العاتية (برسولهم) وقرى برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا
 منه فيصيدوا به ما أرادوا من تعذيب أو قتل من الأخذ بمعنى الأسر (وجادلوا بالباطل) الذي لا أصل
 ولا حقيقة له أصلاً (ليدحضوا به الحق) الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء (فأخذتهم) بسبب ذلك
 أخذ عزيز مقتدر (فكيف كان عقاب) الذي عاقبتهم به فإن آثار دمارهم عبرة للناظرين ولأخذن هؤلاء
 ٦ أيضاً لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريمة كما ينبغي عنه قوله تعالى (وكذلك حقت كلمة ربك)
 أي كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الأمم المكذبة المنتحزة على رسلم
 * المجادلة بالباطل لإدحاض الحق به وجب أيضاً (على الذين كفروا) أي كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا
 بما لم ينالوا كما ينبغي عنه إضافة اسم الرب إلى ضميره ﷺ فإن ذلك للإشعار بأن وجوب كلمة العذاب
 عليهم من أحكام تربيته التي من جعلها نصرته ﷺ وتعذيب أعدائه وذلك إنما يتحقق بكون الموصول
 ٥ عبارة عن كفار قومه لا عن الأمم المهلكة وقوله تعالى (أنهم أصحاب النار) في حيز النصب محذوف
 لام التعليل أي لأنهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها التي هي عذاب النار وملازمها أبداً لكونهم
 كفاراً معادين متحزبين على الرسول ﷺ كدأب من قبلهم من الأمم المهلكة فهم لسائر فتنون العقوبات
 أشد استحقاقاً وأحق استيجاباً وقيل هو في محل الرفع على أنه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ

الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

٤٠ غافر

- الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار أى كل من وجب إهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على أنه نعمت لمصدر محذوف (الذين يحملون العرش ومن حوله) وهم أعلى طبقات الملائكة عليهم السلام وأولهم وجوداً وحلهم إياه وحفيظهم حوله مجاز عن حفظهم وتديبرهم له وكناية عن زلفهم من ذى العرش جل جلاله ومكانتهم عنده ومحل الوصول الرفع على الابتداء خبره (يسبحون بحمد ربهم) والجملة استئناف مسوق اتسالية رسول الله ﷺ ببيان أن أشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم في الدارين أى ينزهونه تعالى عن كل مالا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التى لا تنهاى (ويؤمنون به) إيماناً حقيقياً بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأساً لإظهار فضيلة الإيمان وإبراز شرف أهله والإشعار بعله دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى (ويستغفرون الذين آمنوا) فإن المشاركة في الإيمان أقوى المناسبات وأتمها وأدعى الدواعى إلى النصح والشفقة وفى نظم استغفارهم لهم فى سلك وظائنهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وإيمانهم بإيدان بكال اعتنائهم به وإشعار بوقوعه عند الله تعالى فى موقع القبول . روى أن حملة العرش أرجلهم فى الأرض السفلى ورموسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبي ﷺ لا تنفكوا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فإن خلقاً من الملائكة يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الأرض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وإنه ليتصل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفى الحديث أن الله أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمها خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتلهيل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا أيامهم على الشمايل مامنهم أحد إلا وهو يسبح بملأ يسبح به الآخر (ربنا) على إرادة القول أى يقولون ربنا على أنه إما بيان لاستغفارهم أحوال (وسعت كل شيء رحمة وعلماً) أى وسعت رحمتك وعلبك فأزيل عن أصله للإغراق فى وصفه تعالى بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهلا وتقديم الرحمة لأنها المقصودة بالذات ههنا والفاء فى قوله تعالى (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أى الذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم (وقهم عذاب الجحيم) واحفظهم عنه وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد .

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتُهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٠﴾

٤٠ غافر

وَفِيهِمُ السَّيِّغَاتُ وَمَنْ تَقَى السَّيِّغَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٤١﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ
فَتَكْفُرُونَ ﴿٤٢﴾

٤٠ غافر

- ٨ (ربنا وأدخلهم) عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للبالغة في الجوار (جنات عدن التي وعدتهم) أي وعدتهم إياها وقرى جنة عدن (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أي صلاحاً مصححاً لدخول الجنة في الجملة وإن كان دون صلاح أصولهم وهو عطف على الضمير الأول أي وأدخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم ويتضادف ابتهاجهم أو على الثاني لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل إذ لا يبق حينئذ للعطف وجه بل بناء على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى ألحقنا بهم ذريتهم بأن يكونوا أعلى درجة من ذريتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول أين أبي أين ولدي أين زوجي فيقال إنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول إنني كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة وسبق الوعد بالإدخال والإلحاق لا يستدعي حصول الموعد بلا توسط شفاعاة واستغفار وعليه مبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والأول هو الأول لأن الدماء بالإدخال فيه صريح وفي الثاني ضمنى وقرى صلح بالضم وذريتهم بالإفراد (إنك أنت العزيز) أي الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدور (الحكيم) أي الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الأمور التي من جملتها إنجاز الوعد فالجملة تعليل لما قبلها ٩ (وقهم السيئات) أي العقوبات لأن جزاء السيئة سيئة مثلها أو جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم بعد تخصيص أو مخصص بالاتباع أو المعاصي في الدنيا فعنى قوله تعالى (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة كأنهم طلبوا لهم السبب بعد ما سألوا المسبب (وذلك) إشارة إلى الرحمة المفهومة من رحمته أو إليها وإلى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مراراً من الإشعار ببعد درجة المشار إليه (هو الفوز العظيم) الذي لا مطمع وراءه لطامع (إن الذين كفروا) شروع في بيان أحوال الكفرة بعد دخول النار بعد ما بين فيما سبق أنهم أصحاب النار (ينادون) أي من مكان بعيد وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم الأماراة بالسوء التي وقعوا فيها وقعوا باتباع هواها أو مقت بعضهم بعضاً من الأحباب كقوله تعالى يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضاً أي أبغضوها أشد البغض وأنكروها أبلغ الإنكار وأظهروا ذلك على رموس الشهاد فيقال لهم عند ذلك (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم) أي لمقت الله أنفسكم الأماراة بالسوء أو مقتهم إياكم في الدنيا (إذ تدعون) من جهة الأنبياء (إلى الإيمان) فتأبون قبوله (فتكفرون) اتباعاً لأنفسكم الأماراة ومسارعة إلى هواها أو اقتداءً بأخلائكم المضلين واستجاباً لأرائهم أكبر من مقتكم أنفسكم الأماراة أو من مقت بعضهم بعضاً

قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي وَأُحْيَتُنَا آتَيْنِي فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ٤٠ غافر
ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ

الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾

٤٠ غافر

- اليوم فإذا ظرف للوقت الأول وإن توسط بينهما الخبر لما في الظروف من الاتساع وقيل لمصدر آخر
مقدر أى مقته إياكم إذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا والأول هو الوجه وقيل كلا المقتين فى الآخرة
وإذ تدعون لتعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت إياكم الآن أكبر من مقتكم
أنفسكم لما كنتم تدعون إلى الإيمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصيغة كون المراد بأنفسهم أضراهم
ما لا داعى إليه (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) صفتان لمصدرى الفعلين المذكورين أى إمامتين ١١
وإحياءتين أو موتتين وحياتين على أنهما مصدران لهما أيضاً بحذف الزوائد ولفعلين يدل عليهما المذكوران
فإن الإمامة والإحياء ينبثقان عن الموت والحياة حتماً كأنه قيل أمتنا فتناموتين اثنتين وأحييتنا فحييتنا حياتين
اثنتين على طريقة قول من قال [وعصه دهرى بالبن مروان لم تدع • من المال إلا مسحت أو مجلف] أى لم تدع
فلم يبق إلا مسحت الخ قيل أرادوا بالإمامة الأولى خلقهم أمواتاً وبالثانية إمامتهم عند انقضاء آجالهم
على أن الإمامة جعل الشئ هادم الحياة أعم من أن يكون يأنشأه كذلك كفاى قولهم سبحانه من صغر
البعوض وكبر الفيل أو بجملة كذلك بعد الحياة وبالإحياءين الإحياء الأول وإحياء البعث وقيل أرادوا
بالإمامة الأولى ما بعد حياة الدنيا وبالثانية ما بعد حياة القبر وبالإحياءين ما فى القبر وما عند البعث وهو
الإنسب بحالهم وأما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقيق حياة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من
عدم اعتدادهم بها الزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها وأحكامها بل بأن مقصودهم إحداث الاعتراف بما كانوا
ينكرونه فى الدنيا كما ينطق به قولهم (فاعترفنا بذنوبنا) والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوبوا •
بذلك إلى ما علقوا به أطاعهم الفارغة من الرجوع إلى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل
صالحاً إنا موقنون وهو الذى أرادوه بقولهم (فهل إلى خروج من سبيل) مع نوع استبعاد له واستشعار •
يأس منه لا أنهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا ريب فى أن الذى كان ينكرونه ريفر عون عليه
فتون الكفر والمعاصى ليس إلا الإحياء بعد الموت وأما الإحياء الأول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه
فى سلك ما اعترفوا به وزعموا أن الاعتراف يهديهم نفعاً وإنما ذكروا الموتة الأولى مع كونهم معترفين
بها فى الدنيا لتوقف حياة القبر عليها وكذا حال الموتة فى القبر فإن مقصودهم الأصلي هو الاعتراف
بالإحياءين وإنما ذكروا الإمامتين لترتيبهما عليهما ذكرًا حسب ترتيبهما عليهما وجوداً وتنكير سبيل
للإيهام أى من سبيل ما كيفما كان وقوله تعالى (ذلكم) الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ١٢
ما يوجبها من أفعالهم السيئة أى ذلكم الذى أتم فيه من العذاب مطلقاً لا مقيداً بالخلود كما قيل (بأنه)
أى بسبب أن الشأن (إذا دعى الله) فى الدنيا أى هب (وحده) أى منفرداً (كفرتم) أى بتوحيده (وإن

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ٤٠ غافر
 فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ ٤٠ غافر
 رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ
 التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ٤٠ غافر

بشرك به تؤمنوا) أى بالإشراك به وتسارعوا فيه وفي إيراد إذا وصيغة الماضي في الشرطية الأولى وإن
 • وصيغة المضارع في الثانية مالا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك (فالحكم
 • الله) الذى لا يحكم إلا بالحق ولا يقضى إلا بما تقتضيه الحكمة (العلى الكبير) الذى لبس كثره شئ في
 ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه وقد حكم بأنه لا مغفرة
 ١٣ للشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم إلى الخروج أبداً (هو الذى يريكم آياته)
 الدالة على شتونه العظيمة الموجهة لتفرد بالآلوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها فتزود
 • تعالى وتخصوه بالعبادة (وينزل) بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الإنزال (لكم من السماء رزقا) أى
 سبب رزق وهو المطر وإفراذه بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرد
 بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجهة للشكر وصيغة المضارع في الفعلين الدالة على
 • تجدد الإراقة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة (وما يتذكر) بتلك
 الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها (إلا من ينيب) إلى الله تعالى ويتفكر فيما أودع في تضاعيف
 مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الموجهة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك
 ١٤ فهو معزول من التذكر والاتعاظ (فادعوا الله مخلصين له الدين) أى إذا كان الأمر كما ذكر من اختصاص
 التذكر بمن ينيب فاعبدوه أيها المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب إنا بتكم إليه تعالى وإيمانكم به (ولو كره
 ١٥ الكافرون) ذلك وغازطهم إخلاصكم (رفيع الدرجات) نحو بديع السموات على أنه صفة مشبهة أضيفت
 إلى فاعلها بعد النقل إلى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من إضافة اسم الفاعل إلى
 • المفعول بعيد في الاستعمال أى رفيع درجات ملائكته أى معارجهم ومصاحدهم إلى العرش (ذو
 العرش) أى مالئكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو أخبر عنه بهما إيداناً بعلو شأنه تعالى وعظم
 سلطانه الموجهين لتخصيص العبادة به وإخلاص الدين له إما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فإن ارتفاع
 معارج ملائكته إلى العرش وكون العرش العظيم المحيط بأكناف العالم العلوى والسفلى تحت ملكوته
 وقبضة قدرته بما يقضى بكون علو شأنه وعظم سلطانه في غاية لا غاية ورامها وإما بجعلها عبارة حتمها
 • بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالأستواء على العرش وتمهيداً لما يعقبهما من قوله تعالى (باقى الروح
 من أمره) فإنه خبر آخر لما ذكر منبىء عن إنزال الرزق الروحانى الذى هو الوحي بعد بيان إنزال
 الرزق الجسمانى الذى هو المطر أى ينزل الوحي الجارى من القلوب منزلة الروح من الأجساد وقوله

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٤٠ غافر
 الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ ٤٠ غافر

- تعالى من أمره بيان للروح الذي أريد به الوحى فإنه أمر بالخير أو حال منه أى حال كونه ناشئاً ومبتدأ من أمره أو صفة له على رأى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته لى الروح الكائن من أمره أو متعلق بياق ومن للسيبىة كالباء مثل ما فى قوله تعالى عما خطبتناهم أى باقى الوحى بسبب أمره (على من يشاء من عباده) وهو الذى اصطفاه لرسالته وتبليغ أحكامه إليهم (لينذر) أى الله تعالى أو للملقى عليه أو الروح وقرىء لتنذر على أن الفاعل هو الرسول ﷺ أو الروح لأنها قد تؤنث (يوم التلاق) • إما ظرف للمفعول الثانى أى لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيامة لأنه يتلاقى فيه الأرواح والأجسام وأهل السموات والأرض أو هو المفعول الثانى اتساعاً أو أصالة فإنه من شدة هول وفظاعته حقيق بالإنذار أصالة وقرىء لينذر على البناء للمفعول وورفع اليوم (يوم هم بارزون) بدل من يوم التلاق ١٦ • أى خارجون من قبورهم أو ظاهرون لا يستترهم شىء من جيل أو أكلة أو بناء لكون الأرض يومئذ قاعاً صافصفاً ولا عليهم ثياب إنما هم عراة مكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلاً وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشى الأبدان أو أعمالهم وسرائرهم (لا يخفى على الله منهم شىء) • استئناف • لبيان بروزهم وتقرير له وإزاحة لما كان يتوهمه المنوهمون فى الدنيا من الاستتار توهمها باطلاً أو خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون أى لا يخفى عليه شىء ما من أعيانهم وأعمالهم وأحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية للمستأنفة أو مستأنف يقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور أحوالهم كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ أى ينادى مناد لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روى أنه يجمع الله الخلائق يوم القيامة فى صعيد واحد فى أرض يضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع أسباب للتصرفات المجازية واختصاص جميع الأفاعيل بقبضة القدرة الإلهية (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) الخ إما من تنقذ الجواب لبيان ١٧ حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التى هى الحكم السوى والقضاء الحق أو حكاية لما سبقوله تعالى يومئذ عقب السؤال والجواب أى تجزى كل نفس من النفوس البررة والفاجرة بما كسبت من خير أو شر (لا ظلم اليوم) بنقص ثواب أو زيادة عذاب (إن الله سريع الحساب) أى سريع حسابه تماماً إذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن. فى حساب الخلائق قاطبة فى أقرب زمان كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه تعالى إذا أخذ فى حسابهم لم يقل أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها فيكون تعليلاً لقوله تعالى اليوم تجزى الخ فإن كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاقى ويوم البروز ربما يوم استبعاد وقروح الكل

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَالٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَبِيرٍ وَلَا شَفِيعَ
يُطَاعُ ١٨

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ١٩

وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ٢٠
أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ
قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ٢١

- ١٨ فيه أو سريع مجيئاً فيكون تعليلاً للإنذار (وأنذرهم يوم الأزفة) أي القيامة سميت بها لا زوفها وهو القرب
غير أن فيه إشعاراً بأضييق الوقت وقيل الخطوة الأزفة وهي مشاركة أهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت
كما في قوله تعالى فلولاً إذا بلغت الحلقوم وقوله كلاً إذا بلغت النراقي وقوله تعالى (إذ القلوب لدى الحناجر)
بدل من يوم الأزفة فإنها ترتفع من أماكها فتلتصق بخلقهم فلا تعود فيترحوها ولا تخرج فيستريحوا بالموت
(كاظمين) على الغم حال من أصحاب القلوب على المعنى إذا الأصل قلوبهم أو من ضميرها في الظرف وجمع
السلامة باعتبار أن الكظم من أحوال العقلاء كقوله تعالى فظلت أعناقهم لها خاضعين أو من مفعول أنذرهم
على أنها حال مقدرة أي أنذرهم مقدراً كظمهم أو مشارفين الكظم (مال للظالمين من حبيب) أي قريب مشفق
(ولا شفيع يطاع) أي لا شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معاً على طريقة قوله [على لأحب
لا يهتدى بمناره] والضائر إن عادت إلى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للنسجيل
١٩ عليهم بالظلم وتعليل الحكم به (يعلم خائنة الأعين) النظرة الخائنة كالنظرة الثانية إلى غير المحرم واستراق
النظر إليه أو خيانة الأعين على أنها مصدر كالعافية (وما تخفي الصدور) من الضائر والأسرار والجملة
٢٠ خبر آخر مثل باقي الروح الدلالة على أنه ما من خفي إلا وهو متعلق العلم والجزاء (والله يقضى بالحق)
لأنه المالك الحاكم على الإطلاق فلا يقضى بشيء إلا وهو حق وعدل (والذين يدعون) يعبدونهم
(من دونه) تعالى (لا يقضون بشيء) تهكم بهم لأن الجمل لا يقال في حقه يقضى أولاً يقضى وقرئ
تدعون على الخطاب التفاتاً أو على إضمار قل (إن الله هو السميع البصير) تقرير لعلبه تعالى بخائنة
٢١ الأعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون ولعريض بحال ما يدعون من دونه (أو
لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي مآل حال من قبلهم من الأمم
المكذبة لرسولهم كعاد وثمود وأضرابهم (كانوا هم أشد منهم قوة) قدرة وتمكناً من التصرفات وإنما
جاء بضمير الفصل مع أن حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة أفعال من للبعرفة في امتناع دخول اللام
عليه وقرئ أشد منكم بالكاف (وآثاراً في الأرض) مثل القلاع الحصينة والمدائن المنيعة وقيل المعنى
وأكثر آثاراً كقوله [متقلداً سيفاً ورماً] (فأخذهم الله بذنوبهم) أخذاً وبيلاً (وما كان لهم من الله

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣٣﴾ ٤٠ غافر

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٤﴾ ٤٠ غافر

إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَقَرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٣٥﴾ ٤٠ غافر

فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٣٦﴾ ٤٠ غافر

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ

الْفَسَادَ ﴿٣٧﴾ ٤٠ غافر

- من وائ) أى من وافق يقبهم عذاب الله (ذلك) أى ماذكر من الأخذ (بأهم) بسبب أنهم (كانت ٢٢
تأتيهم رسلهم بالبيدات) أى بالمعجزات أو بالأحكام الظاهرة (فكفروا فأخذهم الله إنه قوى) متمكن
بما يريد غاية التمكن (شديد العقاب) لا يؤبه عند عقابه بعقاب (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) وهى معجزاته ٢٣
(وسلطان مبين) أى وحجة قاهرة وهى إما عين الآيات والعطف لتغاير العنواين وإما بعض مشاهيرها
كالعصا أفردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لاناها أفراد جبريل وميكال به مع دخولهما فى الملائكة
عليهم السلام (إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذب) أى فيما أظهره من المعجزات وفيما ادعاه ٢٤
من رسالة رب العالمين (فلما جاءهم بالحق من عندنا) وهو ما أظهر على يده من المعجزات القاهرة (قالوا ٢٥
اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) كما قال فرعون سنقتل أبائهم ونستحي نساءهم أى أعيدوا
عليهم ما كنتم تفعلونه أولاً وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث ﷺ وأحس بأنه قد وقع ما وقع
أعاده عليهم غيظاً وحنقاً وزعماً منه أنه يصددهم بذلك عن مظاهر ته ظناً منهم أنه المولود الذى حكم المنجمون
والكهنة بذهاب ملكهم على يده (وما كيد الكافرين إلا فى ضلال) أى فى ضياع وبطلان لا يغنى عنهم •
شيئاً وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام إما للعمد والإظهار فى موقع الإضرار
لذمهم بالكفر والإشعار بعلّة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخول أولياً والجملة اعتراض جوى به فى
تضعيف ما حكى عنهم من الأباطيل المسارعة إلى بيان بطلان ما أظهره من الإبراق والإرعاد
واضمحلاله بالمرّة (وقال فرعون ذروني أقتل موسى) كان ملؤه لإذام بقتله عليه الصلاة والسلام كفوه ٢٦
بقولهم ليس هذا بالذى تخافه فإنه أقول من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض السحرة وقولهم إذا قتله
أدخلت على الناس شهرة واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت إلى المقارعة بالسيف والظاهر
من دهاء اللعين ونكارته أنه كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان
يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويهاً على قومه وإيهاماً أنهم هم الكافون له عن قتله
٢٥٠ - أبى السعود ج ٧ ،

وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُنْكَبِرٍ لَا يُؤْمِنُ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ٤٠ غافر

وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٧٨﴾

ولولا لم يقتله وما كان الذى يكفه إلا ما فى نفسه من الفزع الهائل وقوله (وليدع ربه) تجلد منه وإظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه أخوف ما يخافه (إنى أخاف) إن لم أقتله (أن يبدل دينكم) أن يغير ما أنتم عليه من الدين الذى هو عبارة عن عبادته وعبادة الأصنام لتقربهم إليه (أو أن يظهر فى الأرض الفساد) ما يفسد دنياكم من التحارب والنهارج إن لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرىء بالواو الجامعة وقرىء بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرىء بظهور بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى قضاها أى تتابع وتعاون (وقال موسى) أى لقومه حين سمع بما تقوله للعين من حديث قتله عليه الصلاة والسلام (إنى عذت

ربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) صدر عليه الصلاة والسلام كلامه بأن تأكيده له وإظهار المزيد الاعتناء بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والذرية لانهما الذى يستدعيه وأضافه إليه وإليه حثاً لهم على موافقته فى العباد به تعالى والتوكل عليه فإن فى تظاهر النفوس تأثيراً قوياً فى استجلاب الإجابة ولم يسم فرعون بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة لنعميم الاستعاذة والإشعار بعلّة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرىء هدت بالإدغام (وقال رجل

مؤمن من آل فرعون) قيل كان قبطياً ابن عم لفرعون آمن بموسى سرّاً وقيل كان إسرائيلياً أو غربياً
• موحداً (يكنم إيمانه) أى من فرعون وملائته (أتقتلون رجلاً) اتقصدون قتله (أن يقول) لأن يقول
أو كراهة أن يقول (ربى الله) أى وحده من غير روية وتأمل فى أمره (وقد جاءكم بالبينات) والحال
أنه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التى شاهدتموها وعهدتموها (من ربكم) أضافه إليهم بعد ذكر البينات
احتجاجاً عليهم واستنزالاً لهم عن رتبة المكابرة ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال (فإن
يك كاذباً فعليه كذبه) لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج فى دفعه إلى قتله (وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذى
يعدكم) أى إن لم يصبكم كله فلا أقل من إصابة بعضه لاسيما إن تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن
غاية الإنصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شق التزديد كونه كاذباً أو يصبكم ما يعدكم من عذاب
الدنيا وهو بعض ما يعدكم كانه خوفهم بما أظهر احتمالاً عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلاً بقول لبيد
[تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حماها] مردود لما أن مراده بالبعض نفسه (إن
الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) احتجاج آخر ذو وجهين أحدهما أنه لو كان مسرفاً كاذباً لما هداه
الله تعالى إلى البينات ولما أيدته بتلك المعجزات وثانيهما إن كان كذلك خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى
قتله ولعله أراهم المعنى الثانى وهو عاكف على المعنى الأول لتلين شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بأنه

وَلَقَدْ جَاءَكَ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٢٤﴾

٤٠ غافر

الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ ﴿٢٥﴾

٤٠ غافر

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٢٦﴾
أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ
وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٢٧﴾

٤٠ غافر

(ما لكم من الله من عاصم) يعصمكم من عذابه والجملة حال أخرى من ضمير تولون (ومن يضل الله فله
٣٤ من هاد) يهديه إلى طريق النجاة (واقدم جاءكم يوسف) هو يوسف بن يعقوب عليهم السلام على أن فرعون
فرعون موسى أو على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد وقبل سبطه يوسف بن إبراهيم بن يوسف الصديق
هـ (من قبل) من قبل موسى (بالبينات) بالمعجزات الواضحة (فما زلتُمْ في شك مما جاءكم به) من الدين (حتى
إذا هلك) بالموت (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) ضمنا إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من
بعده أو جزما بأن لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرىء أن يبعث الله على أن بعضهم يقرر
بعضاً بنفي الدعوى (كذلك) مثل ذلك الإضلال الفظيع (يضل الله من هو مسرف) في عصيانه (مرتاب)
٣٥ في دينه شاك فها أشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد (الذين يجادلون في الله) بدل من الوصول
الأول أو بيان له أو صفة باعتبار معناه كأنه قيل كل مسرف مرتاب أو المسرفين المرتابين (بغير سلطان)
متعلق بجادلون أى بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة (أنهم) صفة سلطان (كبر مقتاً عند الله
وعند الذين آمنوا) فيه ضرب من التعجب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود إلى من وتذكيره باعتبار
هـ اللفظ وقبل إلى الجدال المستفاد من يجادلون (كذلك) أى مثل ذلك الطبع الفظيع (يطبع الله على قلب كل
متكبر جبار) فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف والارتباب والمجادلة بالباطل وقرىء بتدوين قلب
٣٦ ووصفه بالتكبر والتعجب لأنه منهمما (وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا) أى بناء مكشوقا طاليا من
٣٧ صرح الشيء إذا ظهر (لعلى أباغ الأسباب) أى الطرق (أسباب السموات) بيان لها وفي إيهامها ثم
إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفتها (فأطلع إلى إله موسى) بالنصب على جواب الترجى
وقرىء بالرفع عطفاً على أباغ ولعله أراد أن يبنى له رصداً في موضع عال ليرصد منه أحوال الكواكب
التي هي أسباب سماوية تدل على إرسال الله تعالى إياه أو أن يرى فساد قوله عليه الصلاة والسلام بأن
إخباره من إله السماء بتوقف على إطلاعه عليه ووصوله إليه وذلك لا يتأتى إلا بالصعود إلى السماء وهو ما

٤٠ غافر

وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَتَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾

٤٠ غافر

يَتَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتْنَعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾

مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِئِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ

٤٠ غافر

الْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا بغيرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

٤٠ غافر

وَيَتَقَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾

تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَالَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ ٤٠ غافر

- لا يقوى عليه الإنسان وما ذاك إلا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنباطه (وإني لأظنه كاذباً) فيما يدعيه من الرسالة أي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط (زين لفرعون سوء عمله) فانهمك فيه أنهم ما كانوا يرعوى عنه بحال (وصد عن السبيل) أي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين بالفتح وبالتوسط لـ شيطان وقرىء صد على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه الترهات والشبهات ويؤيده قوله تعالى (وما كيد فرعون إلا في تباب) أي خسار وهلاك أو على أنه من صد صدوداً أي أعرض وقرىء بكسر الصاد على نقل حركة الدال إليه وقرىء صد على أنه عطف على سوء عمله وقرىء صدوا أي هو وقومه (وقال الذي آمن) أي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عليه السلام (ياقوم اتبعوني) فيما دللتكم عليه (أهدكم سبيل الرشاد) أي سبيلاً يصل سالكم إلى المقصود وفيه تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال (ياقوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع) أي تمتع يسير لسرعة زوالها أجهل لهم أولاً ثم فسرها فتفتح بضم الدنيا وتصغير شأنها لأن الإخلاص إليها رأس كل شر ومنه تشعب فنون ما يؤدي إلى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال (وإن الآخرة هي دار القرار) لخلودها ودوام ما فيها (من عمل) في الدنيا (سنة فلا يجزى) في الآخرة (إلا مثلاً) عدلاً من الله سبحانه وفيه دليل على أن الجنايات تغرم بأمثالها (ومن عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأولئك) الذين عملوا ذلك (يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافاً مضاعفة فضلاً من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والإيمان حالاً للإيمان بأنه لا عبرة بالعمل بدونه وأن ثوابه أعلى من ذلك (ياقوم مالى أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار) كرر نداءهم لإيقاظهم عن نية الغفلة واعتناء بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التوجب الذي يلوح الاستفهام دعوتهم إياه إلى النار ودعوته إياهم إلى النجاة كأنه قيل أخبروني كيف هذه الحال أدعوكم إلى الخير وتدعونني إلى الشر وقد جعله بعضهم من قبيل مالى أراك حزينا وقوله تعالى (تدعونني لا كفرن بالله) بدل أو بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالي واللام (وأشرك به مالىس لي به) بشر كتمه له تعالى في المعبودية وقيل بربوبيته (علم) والمراد نفي المعلوم والإشعار بأن الألوهية لا بد لها من برهان موجب

لَا جَرَمَ أَنْ تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ
الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾

٤٠ غافر

فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرُ الْعِبَادِ ﴿٤٤﴾

٤٠ غافر

فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَاسَكْرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾

٤٠ غافر

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

٤٠ غافر

- ٤٣ للعلم بها (وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار) الجامع لجميع صفات الألوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والإرادة والتسكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران (لا جرم) لا رد لما دعوه إليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى (أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) أى حق ووجب عدم دعوة آلهتمكم إلى عبادتها أصلاً أو عدم دعوة مستجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه أى كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته بمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما أن بدأ من لا بد فعل من التبديد أى التفريق والمعنى لا قطع لبطلان ألوهية الأصنام أى لا ينقطع فى وقت ما فينقلب حقاً ويؤيده قولهم لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل وأخوان كرشد ورشد (وأن مردنا إلى الله) أى بالموت عطف على أن ما تدعونني داخل فى حكمه وكذا قوله تعالى (وأن المسرفين) أى فى الضلال والطغيان كالإشراك وسفك الدماء (هم أصحاب النار) أى ملازموها (فستذكرون) وقرئ فستذكرون أى فسيذكركم بعضكم بعضاً عند معاينة العذاب (ما أقول لكم) من النصائح (وأفوض أَمْرِي إِلَى اللَّهِ)
- ٤٤ قاله لما أنهم كانوا توعدوه (إن الله بصير بالعباد) فيحرس من يلوذه من المكارة (فوقاه الله سيئات ما مكروا) شدائد مكرم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم قيل نجامع موسى عليه السلام (وحاق بآل فرعون) أى بفرعون وقومه وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه لما أنه فر إلى جبل فأتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلى
- ٤٥ والوحوش صفوف حوله فرجموا رعباً فقتلهم (سوء العذاب) الفرق والقتل والنار (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً) جملة مستأنفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب أو النار خبر مبتدأ محذوف كأن قائلاً قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استئناف للبيان أو بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها أو من الآل ولا يشترط فى الحقيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه حتى يرد أن آل فرعون لم يهملوا بتعذيبه بالنار ليكون ابتلاؤهم بها من قبيل رجوع ما هموا به عليهم بل يكفى فى ذلك أن يكون مما يطلق عليه اسم سوء وقرئت منصوبة على الاختصاص أو بإضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فإن عرضهم على النار بإحراقهم بها من قولهم عرض الأسارى على السيف إذا قتلوا به وذلك لأرواحهم

وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾

٤٠ غافر

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾

٤٠ غافر

وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

٤٠ غافر

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾

٤٠ غافر

- كما روى ابن مسعود رضى الله عنه أن أرواحهم في أجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشباً إلى يوم القيامة وذكر الوقتين إما للخصيص وأما فيما بينهما فآله تعالى أعلم بحالهم وإما للتأييد هذا مادامت الدنيا (ويوم تقوم الساعة) يقال للملائكة (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أى عذاب جهنم فإنه أشد مما كانوا فيه أو أشد عذاب جهنم فإن عذابها ألوان بعضها أشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول أى يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب (وإذ يتحاجون في النار) أى واذكر لقومك وقت تخصمهم فيها (فيقول الضعفاء) منهم (الذين استكبروا) وهم رؤسائهم (إنا كنا لكم تبعاً) أتباعاً نخدم في جمع خادم أو ذوى تبع أى اتباع على إضمار المضاف أو تبعاً على الوصف بالمصدر مبالغة (فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار) بالدفع أو بالحل ونصيباً منصوب بمضمر يدل عليه مغنون أى دافعون عنا نصيباً الخ أو بمغنون على تضمينه معنى الحمل أى مغنون عنا حاملين نصيباً الخ أو نصب على المصدرية كشيئاً فى قوله تعالى لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً فإنه فى موقع غناء فكذلك نصيباً (قال الذين استكبروا إنا كل فيها) أى نحن وأنتم فكيف تغنى عنكم ولو قدرنا لأغنيانا عن أنفسنا وقرئ ٤٨
- كلا على التأكيد لاسم إن بمعنى كلا وتنويه عوض عن المضاف إليه ولا مساع لجعله حالاً من المستكن فى الظرف فإنه لا يعمل فى الحال المتقدمة كما يعمل فى الظرف المتقدم فإنك تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول جديداً لك ثوب (إن الله قد حكم بين العباد) وقضى قضاء متقناً لا مرد له ولا معقب لحكمه (وقال الذين فى النار) من الضعفاء والمستكبرين جميعاً لما ضاقت حيلهم وعيت بهم علمهم (لخزنة جهنم) ٤٩
- أى للقوام بتعذيب أهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للنهييل والتفطيع أو لبيان علمهم فيها بأن تكون جهنم أبعد درجات النار وفيها أعنف الكفرة وأطعمهم أو لكون الملائكة الموكلين بعذاب أهلها أقدر على الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى (ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً) أى مقدار يوم أو فى يوم مامن الأيام على أنه ظرف لامعيار شيئاً (من العذاب) واقتصارهم فى الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب فى مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأساً أو تخفيف قدر كثير منه فى زمان مديد لأن ذلك عندهم مائس فى حيز الإمكان ولا يكاد يدخل تحت أمانهم (قالوا) أى الخزنة (أو لم تك تأتيكم رسلكم ٥٠

- إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ٤٠ غافر
- يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ ٤٠ غافر
- وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ ٤٠ غافر
- هُدًى وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ ٤٠ غافر
- فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لَدُنْكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ ٤٠ غافر

بالبينات) أى ألم تذهبوا على هذا ولم تك تأتكم رسلكم فى الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصى كما فى قوله تعالى ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا أرادوا بذلك إلزامهم وتوبيخهم على إضاعة أوقات الدعاء وتعطيل أسباب الإجابة (قالوا بلى) أى أنونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا فى ضلال كبير والفاء فى قوله تعالى (قالوا فادعوا) فصحية كما فى قول من قال [فقد جئنا خراساناً] أى إذا كان الأمر كذلك فادعوا أنتم فإن الدعاء لمن يفعل ذلك بما يستحيل صدوره عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الإذن فيه مع عرائه عن بيان أن سببه من قبلهم كما تفصح عنه الفاء ربما يوهم أن الإذن فى حيز الإمكان وأنهم لو أذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بأمرهم بالدعاء إطعامهم فى الإجابة بل إقناطهم منها وإظهار خيبتهم حسبما صرحوا فى قولهم (وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) أى ضياع وبطلان وقوله تعالى (إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا) الخ كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى لبيان أن ما أصاب الكفرة من العذاب المحسكى من فروع حكم كلى تقتضيه الحكمة وهو أن شأنا المستمر أنا ننصر رسلنا وأتباعهم (فى الحياة الدنيا) بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسب وغير ذلك من العقوبات ولا يقدر فى ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة امتحاناً إذ العبرة إنما هى بالموافب وغالب الأمر (ويوم يقوم الأشهاد) أى يوم القيامة عبر عنه بذلك الإشعار بكيفية النصرة وأنها تكون عند جميع الأولين والآخرين بشهادة الأشهاد للرسول بالتبليغ وعلى الكفرة بالكذب (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) بدل من الأول وعدم نفع المعذرة لأنها باطلة وقرىء لا تنفع بالثناء (ولهم اللعنة) أى البعد عن الرحمة (ولهم سوء الدار) أى جهنم (ولقد آتينا موسى الهدى) ما يهتدى به من المعجزات والصحف والشرائع (وأورثنا بنى إسرائيل الكتاب) وتركنا عليهم من بعده التوراة (هدى وذكراً) هداية وتذكراً أو هادياً ومذكراً (لأولى الأبواب) لذوى العقول السليمة العامة (بما فى تضاعيفه) فاصبر على ما نالك من أذية المشركين (إن وعد الله) أى وعده الذى ينطق به قوله تعالى ولقد سبقتم كلمة لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون أو وعده الخاص بك أو جميع مواعيده التى من جملة ذلك (حق) لا يحتمل الإخلاف أصلاً واستشهد بحال موسى وفرعون

إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ
بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

٤٠ غافر

لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

٤٠ غافر

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مِمَّا تَدَّكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

٤٠ غافر

- (واستغفر لذنبك) تداركاً لما فرط منك من ترك الأولى في بعض الأحياء فإنه تعالى كافيك في نصرة دينك وإظهاره على الدين كله (وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار) أي ودم على التسبيح ملتبساً بحمده • تعالى وقيل صل لهدن الوقتين إذ كان الواجب بمكر كعتين بكرة ور كعتين عشياً وقيل صل شكراً لربك بالعشي والإبكار وقيل هما صلاة العصر وصلاة الفجر (إن الذين يجادلون في آيات الله) ويجحدون بها ٤٦ (بغير سلطان أناهم) في ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة إتيانه للإبذان بأن التكم في أمر الدين لا بد من استناده إلى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وإن نزل في مشركي مكة وقوله تعالى (إن في صدورهم إلا كبر) خبر لأن أي مافي قلوبهم إلا تكبر عن الحق وأعظم عن التفكير والتعلم أو لإرادة الرياسة والتقدم على الإطلاق أو لإرادة أن تكون النبوة لهم دونك حسداً وبغياً حسبما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من الفريقين عظيم وقالوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ولذلك يجادلون فيها لأن فيها موقع جدال ما وأن لهم شيئاً يتوهم أن يصلح مداراً لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى (ماهم يبالغيه) صفة لكبر قال مجاهد ماهم يبالغى مقتضى ذلك الكبر وهو ما أرادوه من الرياسة أو النبوة • وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التوراة بل هو المسيح بن داود يريدون الدجال يخرج في آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله تعالى فيرجع إلينا الملك فسمى الله تعالى تمنهم ذلك كبراً ونفى أن يبلغوا متمناهم (فاستعذ بالله) أي فالتجىء إليه من كيد من يحسدك ويغنى عليك وفيه رمز إلى أنه من همزات الشياطين (إنه هو السميع البصير) لأقوالكم وأفعالكم وقوله تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) تحقيق للحق وتبيين ٥٧ لأشهر ما يجادلون فيه من أمر البعث على منهاج قوله تعالى أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لقصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لأهوائهم • (وما يستوى الأعمى والبصير) أي الغافل والمستبصر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) ٥٨ أي والمحسن والمسيء فلا بد أن تكون لهم حال أخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لافى المسيء لنا كيد النفي لطول الكلام بالصلة ولأن المقصود نفي مساواته بالمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود أو الدلالة بالصراحة والتشثيل (قليلًا مما تذكرون) على الخطاب بطريق الالتفات ٣٦ - ابن السكود ج ٧

٤٠ غافر
 إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾
 وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
 دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾
 اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾
 ٤٠ غافر
 ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَى تُوَفَّكُونَ ﴿٦٢﴾
 ٤٠ غافر
 كَذَلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾
 اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
 ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾
 ٤٠ غافر

- ٥٩ أى تذكرا قليلا لتذكرون وقرىء على الغيبة والضمير للناس أو الكفار (إن الساعة لآتية لا ريب فيها) أى
 فى مجيئها لوضوح شواهد ما وإجماع الرسل على الوعد بوقوعها (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لا يصدقون
 ٦٠ بها لقصور أنظارهم على ظواهر ما يحسون به (وقال ربكم ادعوني) أى اعبدوني (استجب لكم) أى
 أنبكم لقوله تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) أى صاغرين أدلاء وإن
 فسر الدعاء بالسؤال كان الأمر الصارف عنه منزلا منزلة الاستكبار عن العبادة للبالغة أو المراد
 ٦١ بالعبادة الدعاء فإنه من أفضل أبوابها وقرىء سيدخلون على صيغة المبني للمفعول من الإدخال (الله الذى
 جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) بأن خلقه بارداً مظلماً ليؤدى إلى ضعف الحركات وهذه الحواس
 • لتستربحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر مراراً (والنهار مبصراً) أى مبصراً فيه
 أو به (إن الله لذو فضل) عظيم لا يوازيه ولا يداينه فضل (على الناس ولكن أكثر الناس لا يفكرون)
 ٦٢ لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم (ذلكم) المنفرد بالأفعال
 المقتضية الألوهية والربوبية (الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو) أخبار مترادفة تخصص اللاحقة
 منها السابقة وتقررهما وقرىء خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا إله إلا هو استئنافاً بما هو
 كالنتيجة للأوصاف المذكورة (فاتى توفىكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته خاصة إلى عبادة
 ٦٣ غيره (كذلك يوفى الذين كانوا بآيات الله يحدون) أى مثل ذلك الإفك العجيب الذى لا وجه له ولا
 ٦٤ مصحح أصلاً يوفى كل من جحد بآياته تعالى أى آية كانت لا إفكا آخر له وجه ومصحح فى الجملة (الله
 الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً) بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق
 بالزمان وقوله تعالى (وصوركم فأحسن صوركم) بيان لفضله المتعلق بأنفسهم والفاء فى فاحسن تفسيرية

هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ غافر ٤٠
 قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ
 أُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ غافر ٤٠
 هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ
 لِيَتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِيَتَبَلَّغُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ غافر ٤٠
 هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ غافر ٤٠

فإن الإحسان عين التصوير أى صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بآدى البشارة متناسب
 الأعضاء والتخطيطات متيناً لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات (ورزقكم من الطيبات) أى اللذائذ
 (ذلكم) الذى نعت بما ذكر من النعوت الجليلة (الله ربكم) خبران لذلك (فتبارك الله) أى تعالى بذاته
 (رب العالمين) أى مالكم ومربهم والكل تحت ملكوته مفتقر إليه فى ذاته ووجوده وسائر أحواله
 جميعاً بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم بالكلية (هو الحى) المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية (لا إله
 إلا هو) إذ لا موجود يدانيه فى ذاته وصفاته وأفعاله (فادعوه) فاعبدوه خاصة لا اختصاص ما يوجه به
 تعالى (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك الجلى والحقى (الحمد لله رب العالمين) أى قائلين ذلك . عن
 ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين (قل إنى نهيت أن
 أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاء فى البينات من ربى) من الحجج والآيات أو من الآيات لكونها
 مؤيدة لأدلة العقل منبهة عليها فإن الآيات التنزيلية مفسرات الآيات التكوينية الآفاقية والآنفسية
 (وأمرت أن أسلم لرب العالمين) أى بأن أنقاد له وأخلص له ديني (هو الذى خلقكم من تراب) أى فى
 ضمن خلق آدم عليه الصلاة والسلام منه حسباً مرتحققه مراراً (ثم من نطفة) أى ثم خلقكم خلقاً
 تفصيلاً من نطفة أى منى (ثم من علقه ثم يخرجكم طفلاً) أى أطفالا والإفراد لإرادة الجنس أو لإرادة
 كل واحد من أفرادهم (ثم لتبلغوا أشدكم) علة ليخرجكم معطوفة على علة أخرى له مناسبة لها كأنه قيل
 ثم يخرجكم طفلاً لتكبروا شيئاً فشيئاً ثم لتبلغوا كمالكم فى القوة والعقل وكذا الكلام فى قوله تعالى
 (ثم لتكونوا شيوخاً) ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخاً كقوله تعالى طفلاً (ومنكم من يتوفى
 من قبل) أى من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الأشد أو قبله أيضاً (ولتبلغوا) متعلق بفعل مقدر بعده أى
 ولتبلغوا (أجلاً مسمى) هو وقت الموت أو يوم القيامة بفعل ذلك (ولعلكم تعقلون) ولكي تعقلوا
 ما فى ذلك من فنون الحكم والعبر (هو الذى يحيى) الأموات (ويميت) الأحياء أو الذى يفعل الإحياء
 والإماتة (فإذا قضى أمراً) أى أراد أمراً من الأمور (فإنما يقول له كن فيكون) من غير توقف على
 شئ من الأشياء أصلاً وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فى المقدورات عند تعلق إرادته بها وتصوير لسرعة

- ٤٠ غافر ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون ﴿٦٩﴾
 ٤٠ غافر الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون ﴿٧٠﴾
 ٤٠ غافر إذا أغلغل في أعناقهم والسلسل يسحبون ﴿٧١﴾
 ٤٠ غافر في الحميم ثم في النار يسجرون ﴿٧٢﴾
 ٤٠ غافر ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون ﴿٧٣﴾

ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر ومأمور والفاء الأولى للدلالة على أن ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الإحياء والإماتة به سبحانه (ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون) تعجب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله تعالى إن الذين يجادلون في آيات الله الخ بيان لا بقاء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الأمانة الفارغة فلا تكرير فيه أى انظر إلى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للإيمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعى إلى الإقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالسلبية وقوله تعالى (الذين كذبوا بالكتاب) أى بكل القرآن أو بجنس الكتب السماوية فإن تكذيبه تكذيب لها فى محل الجر على أنه بدل من الموصول الأول أو فى حيز النصب أو الرفع على الهم وإلما وصل الموصول الثانى بالتكذيب دون المجادلة لأن المعتاد وقوع المجادلة فى بعض المواد لا فى الكل وصيغة الماضى للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع فى الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها (وبما أرسلنا به رسلنا) من سائر الكتب أو مطلق الوحي والشرائع (فسوف يعلمون) كنهه ما فعلوا ٧١ من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته (إذا أغلغل فى أعناقهم) ظرف ليعلمون إذا المعنى على الاستقبال ولفظ الماضى لتيقنه (والسلاسل) عطف على الأغلال والجار فى نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الأول عليه وقيل قوله تعالى (يسحبون) بحذف العائد أى يسحبون بها وهو على الأولين حال من المستكن فى الظرف وقيل استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية حالهم ٧٢ كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون (فى الحميم) وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حلا على المعنى لأن قوله تعالى الأغلال فى أعناقهم فى معنى أعناقهم فى الأغلال أو إضمار اللبأ وبدل عليه القراءة به (ثم فى النار يسجرون) أى يحرقون من النار إذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كأنه سجر بالحب أى ملئ والمراد ٧٣ بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب وينقلون من باب إلى باب (ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون)

مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّهْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ
الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾

٤٠ غافر

ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِذَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾

٤٠ غافر

أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِيئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

٤٠ غافر

فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ ٤٠ غافر
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ
أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٤٠ غافر

- (من دون الله قالوا ضلوا عنا) أى يقال لهم ويقولون وصيغة الماضى الدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم أو ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم (بل لم تكن ندعو من قبل شيئاً) أى بل تبين لنا أننا لم نكن نعبد شيئاً بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئاً يعتد به كقولك حسبته شيئاً فلم يكن (كذلك) أى مثل ذلك الضلال الفظيع (يضل الله الكافرين) حيث لا يهتمدون إلى شيء ينفعهم فى الآخرة أو كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا (ذلكم) ٧٤ الإضلال (بما كنتم تفرحون فى الأرض) أى تبطرون وتتكبرون (بغير الحق) وهو الشرك والطفیان (وبما كنتم تمرحون) تتوسعون فى البطر والأشر والالتفات للبالغة فى التوبيخ (ادخلوا أبواب جهنم) أى أبواب السبعة المقسومة لكم (خالدين فيها) مقدراً خلودكم فيها (فيئس مثنوى المتكبرين) أى عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثنوى لكون دخولهم بطريق الخلود (فاصبر) إلى أن يلاقوا ٧٥ ما أعد لهم من العذاب (إن وعد الله) بتعذيبهم (حق) كائن لاهالة (فإما نربنك) أى فإن ترك وما مزيدة لنا كيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع إن وحدها (بعض الذى نعدهم) وهو القتل والأسر (أو نتوفينك) قبل ذلك (فإلينا يرجعون) يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نربنك محذوف مثل فذاك ويمحوز أن يكون جواباً لها بمعنى إن نعدهم فى حياتك أولم نعدهم فإنا نعدهم فى الآخرة أشد العذاب وأفظعه كما ينبى عنه الاقتصار على ذكر الرجوع فى هذا المعرض (ولقد ٨٧ أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) إذ قيل عدد الأنبياء عليهم السلام مائة وأربعة وعشرون ألفاً والمذكور قصصهم أفراد معدودة وقيل أربعة آلاف من بنى إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس (وما كان لرسول) أى وما صح وما استقام لرسول منهم (أن يأتى بآية إلا بإذن الله) فإن المعجزات على تشعب فتونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته الملية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختار فى إثارة بعضها والاستبداد بإتيان المقترح منها

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ ٤٠ غافر

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ٤٠ غافر

وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ ٤٠ غافر

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ

قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ٤٠ غافر

- * (فإذا جاء أمر الله) بالعذاب في الدنيا والآخرة (قضى بالحق) بإنجاء الحق وإثابته وإهلاك المبطل وتعذيبه (وخسر هنالك) أي وقت مجيء أمر الله اسم مكان استعير للزمان (المبطلون) أي المتمسكون بالباطل على الإطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا أولاً (الله الذي جعل لكم الأنعام) ٧٩ قيل هي الإبل خاصة أي خلقها لأجلكم ومصلحتكم وقوله تعالى (لتركبوا منها ومنها تأكلون) تفصيل لما دل عليه اللام إجمالاً ومن لا ابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والأكل منها أي تعلقهما بها وقيل للتبعية أي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على أن كلا من الركوب والأكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الإشارات بأصالة الركوب (ولكم فيها منافع) أخر غير الركوب والأكل ٨٠ كالبانها وأوبارها وجلودها (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) بحمل أثقالكم من بلد إلى بلد (وعليها وعلى الفلك تحملون) لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الأزواج الثمانية فعنى الركوب والأكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على أن كلا منهما يجوز تعلقه بكل منهما ولا على أن كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على أن بعضهما يتعلق به الأكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالإبل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها ٨١ يعم البقر (ويريكم آياته) دلالة الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته (فأي آيات الله) أي فأي آية من تلك الآيات الباهرة (تنكرون) فإن كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترىء على إنكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لأي وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لترية المهابة وتهويل إنكارها وتذكير أي هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لأن التفرقة بين المذكور والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو ٨٢ حمار وحمار غريب وهي في أي أغرب لإبهامه (أفلم يسيرا) أي أقعدوا فلم يسيرا (في الأرض) فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأمم المهلكة وقوله تعالى (كانوا أكثر منهم وأشدد قوة) الخ استئناف مسوق لبيان مبادئ أحوالهم وعواقبها (وآثارا في الأرض) باقية بعدهم من الأبنية والقصور والمصانع وقيل هي آثار أقدامهم في الأرض لعظم أجرامهم (فما أغنى عنهم ما كانوا

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾

٤٠ غافر

فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾
فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَا لِكَ
الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

٤٠ غافر

يكسبون) ما الأولى نافية أو استفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة أو مصدرية مرفوعة أى لم يغن عنهم أو أى شيء أغنى عنهم مكسبهم أو كسبهم (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات أو بالآيات الواضحة (فرحوا بما عندهم من العلم) أى أظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائفة والشبه الداحضة وتسميتها علماً للتحكم بهم أو علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك أو هو علم الأنبياء الذى أظهره رسلهم على أن معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزؤهم به ويؤيده قوله تعالى (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) وقيل الفرح أيضاً للرسول فإنهم لما شاهدوا تمادى جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم المؤدى إلى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزأتهم (فلما رأوا بأسنا) شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) يعنون الأصنام (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) أى عند رؤية عذابنا لا متنازع قبوله حيثئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الأولى بيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعماً منهم أن يغنى عنهم فلم يترتب عليه إلا عدم الإغناء فهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وإن كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما فى قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما أبهم وأجمل من عدم الإغناء وقد كثر فى الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على التفسير بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعاً لما قبلها واقعاً عقبيه لأن مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو أنهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة أن يقال فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كأنه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لأن النافع هو الإيمان الاختيارى (سنة الله التى قد خلت فى عباده) أى سن الله تعالى ذلك سنة ماضية فى العباد وهو من المصادر المؤكدة (وخسر هنالك الكافرون) أى وقت رؤيتهم البأس على أنه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفاً . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن إلا صلى عليه واستغفر له .

(تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن وأوله سورة فصلت)

فهرست

الجزء السابع من تفسير قاضي القضاة أبي السعود

صفحة	صفحة
١٤١	٢٨ - سورة القصص
١٤٨	٥ قوله تعالى : وحرمتنا عليه المراضع الآية
١٥٦	١١ فلما قضى موسى الأجل
١٥٨	١٨ ولقد وصلنا لم القول
١٥٨	٢٤ إن قارون كان من قوم موسى
١٦٥	٢٩ - سورة العنكبوت
١٧٥	٢٧ قوله تعالى : فأمن له لوط الآية
١٨٣	(الجزء الحادى والعشرون)
١٨٧	٤٢ قوله تعالى : ولا تجعلوا أهل الكتاب الآية
١٩٦	٤٩ - سورة الروم
٢٠٥	٦٠ قوله تعالى : منيبين إليه الآية
٢١٨	٦٦ الله الذى خلقكم من ضعف
٢٢٠	٣١ - سورة لقمان
٢٣١	٧٤ قوله تعالى : ومن يسلم وجهه إلى الله الآية
٢٤٠	٧٩ - سورة السجدة
٢٤٤	٨٢ قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الآية
٢٥٤	٨٩ - سورة الأحزاب
٢٥٩	٩٦ قوله تعالى : قد يعلم الله المعوقين منكم الآية
٢٦٥	(الجزء الثان والعشرون)
٢٧٢	١٠٢ قوله تعالى : ومن يقنت منكن لله الآية
٢٧٧	١١٠ ترجى من تشاء منهن
٢٨٢	١١٥ لئن لم يكن له لنا نقون
٢٨٢	١٢٠ - سورة سبا
٢٨٢	١٢٤ قوله تعالى : ولقد آتينا داود منا فضلا الآية
٢٨٢	١٣٢ قل من يرزقكم من السماء
٢٨٢	١٣٨ قل إنما أعظمكم براحة